دار القبلة للثقافة الإسلامية

إعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر

الجزء الأول

تأليف
أبي تراب الظاهري
عفا الله عنه

إعلام أهل الحاضر
برجال من الماضي الغابر

الجزء الأول

تأليف
أبي تراب الظاهري
عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على النبى الأمين
وآله وصحبه

قال أبو تراب :

هذا كتاب وضعناه بمثابة التعريف بجمهرة من رجال العلم والأدب لم نحصر مضمونه فى عصر معين ولا قصرناه على طبقة بعينها وأضربنا عن الخلاف فى تواريخ الوفيات وحسبنا فى ذلك معرفة القرن الذى كان فيه الميلاد أو الوفاة أو أى حدث مما يتعلق بالترجمة كما اننا طرحنا أسامى الرواة والمشيخة وسلاسل الأنساب مما سبيله المعاجم التى تستوفى ذلك وانما قصدنا إبراز الجوانب التى تستهوى نفوس أهل عصرنا هذا — وليس فيهم من يهتم اليوم بالمرويات والأفخاذ من القبائل والشيوخ اللهم إلا الآحاد من الناس وهم فى البلدان كالقزع فى السماء — لأن سبب تأليف هذا الكتاب تكليف الاذاعة السعودية بجدة بحر القلزم إياى ببث برنامج يومى يتناول تراجم « رجال من الماضى » يستمع له العامة والخاصة ، فالمحمود فيما كان هذا نهجه ان يذكر فيه ما يعلق بالذاكرة ويستفيد منه كل من أصغى ، وهذا عذيرى في عدم ترتيب تراجمه لأنى كتبته كيفما اتفق ، وربما لم استوعب الترجمة أو خالفت بعض ما اشترطت ، وعنونته بـ : « **إعلام أهل الحاضر برجال من الماضى الغابر** » . ذلك أن كثيراً من شبّان عصرنا هــذا أصبحوا يجهلون سير السلف الذين ذكرتهم فى كتابى هذا فهم وان كانوا مشاهير عند نقّابى كتب التراجم الّا أنهم أمسوا مغامير لدى هؤلاء الذين أردنا إعلامهم بهم ، فهم بالنسبة لخِضَمِّ هذه الموسوعات كما قيل :

فأصبحت من ليلى الغداةَ كقابضٍ
على المـاء خانتْـه فروج الأصابـع

ونسأل الله المَدَد والسَّدَد ، والسلوك على الجَدَد .

وكتب
أبو تراب الظاهرى
عفا الله عنه

الفـــــيروزابادى

محمد بن يعقوب الفيروزابادى . مؤلف القاموس ، وهو مجد الدين أبو طاهر الشيرازى الشافعى من أئمة اللغة والأدب ، كان قوى الحافظة سريعها ، يحفظ مئتى سطر كل ليلة قبل أن ينام . ولا يسافر إلا وصحبته عدة أحمال من الكتب ، وكان مرجع أهل عصره فى اللغة والحديث والتفسير ، له تصانيف كثيرة تنيف على أربعين مصنفا أجلها : (اللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب) قدر تمامه فى مئة مجلد فى مقدار صحاح الجوهرى ، ولخصه وسماه : (القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط) أى متفرقاً وهو أشهر كتبه ويعرف بالقاموس .

وشرح الفيروزابادى صحيح البخارى فبلغ ربع قسم العبادات منه عشرين مجلداً ، ذكر الفاسى فى تاريخ البلد الأمين : أنه كان يحب الانتساب الى مكة المكرمة ، ويوقع بخطه : « كتبه الملتجىء إلى حرم الله محمد بن يعقوب » وتوفى قاضيا باليمن ببلدة زبيد فى أوائل القرن التاسع الهجرى .

وللفيروزابادى شعر كثير ينمقه بغريب اللغة أحياناً لأنه اشتهر بعلمها ومن شعره:

أحبتنا الأماجد إن رحلتم ولم ترعوا لنا عهداً وإلا
نودعكم ونودعكم قلوباً لعل الله يجمعنا وإلا

وقال من باب نصيحة النفس وتقريعها :

مضى عصر الصبا لا فى انشراح ولا عيش يطيب مع الملاح
ولا فى طاعة المولى تعالى ففيه كل أنواع الفلاح
وكنت أظن يصلحنى مشيبى فشبت فأين آثار الصلاح

وذكروا أنه جمع كتباً كثيرة ، إلا أنه أذهبها بالبيع عند الاحتياج ، فما وجدوا بعد موته منها إلا قليلا .

وكان قد متعه الله بالسمع والبصر الى آخر حياته حتى أنه قرأ خطاً دقيقاً قبيل موته بيسير . وكان سريع الكتابة جيد الخط معنيا بالعلوم ، وكانت له دار بالصفا بمكة المشرفة جعلها مدرسة .

ولد ببلدة كازرون بفارس ، وحفظ بها القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم انتقل الى شيراز وأخذ عن علمائها . وانتقل الى العراق فدخل واسط وبغداد وأخذ عن قاضيها وغيره ، ونظر فى اللغة فكانت جل قصده فى التحصيل فمهر فيها الى أن بهر وفاق ، ودخل الشام فسمع بهامن ابن الخباز وابن القيم والسبكى والفرضى وابن نباتة وخليل المالكى وظهرت فضائله وكثر الآخذون عنه ، ثم دخل القاهرة وجال البلاد ودخل بلاد الروم والهند ، واتصل بخدمة السلطان مراد ونال عنده مرتبة وجاها ، وأعطاه السلطان مالاً جزيلا ، وأعطاه الأمير تيمور خمسة آلاف دينار . ودخل زبيد فى أواخر القرن الثامن فتلقاه الملك الأشرف وبالغ فى إكرامه وقرأ عليه وصرف له ألف دينار ، وتولى قضاء اليمن كله واستمر بزبيد عشرين سنة . وقدم مكة مراراً وجاور بها . وأقام بالمدينة المنورة وبالطائف ، وما دخل بلدة إلا أكرمه متوليها وبالغ فى تعظيمه .

من كتبه المطبوعة : القاموس فى اللغة وسفر السّعادة فى الحديث والسيرة وتحبير الموشين فى التعبير بالسين والشين ، وإثارة الحجُون فى إنارة الحجون ، والمغانم المطابة فى معالم طابة .

وله شرح المشارق ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ، والمرقاة الوفية فى طبقات الحنفية ، والبلغة فى تاريخ أئمة اللغة ، والمثلث المتفق المعنى ، والإرشادات الى ما فى كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات ، ونغبة الرشاف من خطبة الكشاف .

قال ابو تراب : وترجم عنه السيوطى في بغية الوعاة ص ١١٧ والسخاوى في الضوء اللامع ص ٧٩ وترجم عنه في البدر الطالع ج ٢ ص ٢٨٠ ، والعقود اللؤلؤية ج ٢ ص ٢٦٤ ، والشقائق النعمانية ج ١ ص ٣٢ ، وأنيس الجليس ج ٢ ص ١٢٣ ، وكشف الظنون ص ١٦٥٧ ، وروضات الجنات ص ٧١٦ ، ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٠٣ ، والعقيق اليماني خط ، وأزهار الرياض ج ٣ ص ٣٨ .

الزمخشـــرى

أبو القاسم محمود بن عمر المعروف بالزمخشرى ، وكان يلقب بجار الله لطول إقامته بمكة المكرمة ، واشتهر من تصانيفه الكشاف في التفسير ، ويعد من أبرع علماء اللغة والنحو والبلاغة ، ومن تصانيفه في اللغة أساس البلاغة .

وذكروا أنه كان يمشى فى جارن من خشب لأن إحدى رجليه ساقطة ، وقيل إن سبب ذلك أنه أمسك عصفوراً فى صباه وربطه بخيط فى رجله فانفلت من يده فجذبه فانقطعت رجله فتألمت والدته وقالت : قطع الله رجلك كما قطعت رجله ، فسقط الزمخشرى عن الدابة فانكسرت رجله حتى استوجبت قطعها ، وقيل : سقطت رجله من ثلج أصابه فى بعض الأسفار .

وهو الإمام الكبير فى علم البيان كان من أكابر الحنفية ثم مال الى الاعتزال وجاهر به. مولده بزمخشر إحدى قرى خوارزم ، وله فى العلوم آثار ليست لغيره من أهل عصره . ولقب بمفخر خوارزم ، قدم بغداد فجاءه الشريف ابن الشجرى مهنئاً بقدومه وأثنى عليه ، وتنقل فى البلدان . وذكروا أنه لم يصنف قبل كتابه الكشاف مثله ، وله شعر رائق ، ونثر فائق قيل من شعره وقد ذكره فى تفسيره لغيره :

يا من يرى مد البعوض جناحها فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه فى الزمان الأول

وتوفى العلامة الزمخشرى بعد رجوعه من مكة المكرمة بالجرجانية احدى قرى خوارزم وذلك فى ليلة عرفة ، فرثاه بعضهم ومن جملة ما قال :

فأرض مكة تذرى الدمع مقلتها حزناً لفرقة جار الله محمود

وكان يتندم على مفارقة مكة المكرمة ، وقال قبل وفاته يتشوق إليها :

هو النفس الصعاد من كبد حرى　　إلى أن أرى أم القرى مرة أخرى
وما عذر مطروح بمكة رحله　　على غير بؤس لا يجوع ولا يعرى
يسافر عنها يبتغى بدلًا بها　　وربك لا عذرى وربك لا عذرى

وكان الزمخشرى كاتب السلطان بخوارزم ، ثم استعفى ، وكان يجيد اللغة الفارسية .

ومن كتبه المطبوعة : الكشاف عن حقائق التنزيل فى التفسير وأساس البلاغة فى اللغة والمفصل فى النحو والاعراب ، وأطواق الذهب فى المواعظ والخطب ضمنها تسعا وتسعين مقالة كالمقامة خاطب فى صدر كل مقالة نفسه وقال : يا أبا القاسم .. ومنها أعجب العجب فى شرح لامية العرب ، والأنموذج فى النحو اقتضبه عن المفصل وجعله مقدمة نافعة للمبتدى كالكافية لابن الحاجب ، وكتاب الجبال والأمكنة والمياه والفائق فى غريب الحديث وكتاب مستقصى الأمثال ونوابغ الكلم والمقامات أو النصائح الكبرى ومقدمة الأدب وهى فى الأسماء والأفعال والحروف والتصريف ، وله كتاب ربيع الأبرار فى الأدب ، والقسطاس فى العروض ، ونكت الأعراب فى غريب الإعراب وله ايضاً ديوان شعر . وكان شديد الانكار على المتصوفة وقد أكثر من التشنيع عليهم فى تفسيره . ترجمه عنه ابن خلكان فى وفيات الأعيان والسيوطى فى بغية الوعاة وغيرهما كابن حجر وياقوت ، وقال السيوطى فى نواهد الابكار بعد ذكر قدماء المفسرين : ثم جاءت فرقة أصحاب النظر فى علوم البلاغة التى بها يدرك وجه الاعجاز وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة ، فلذا صار كتابه فى أقصى الشرق والغرب ولما علم مصنفه أنه بهذا الوصف قد تحلى قال تحدثا بنعمة الله وشكراً :

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد　　وليس فيها لعمرى مثل كشافى
إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته　　فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

وقال الزمخشرى :

تعجبت من هذا الزمان وأهله فما أحد من ألسن الناس يسلم
وأخرنى دهرى وقدم معشراً على أنهم لا يعلمون وأعلم

قال ابوتراب : ترجمته في معجم الأدباء ج ١٤٧/٧ ولسان، الميزان ج ٦ ص ٤ والوفيات ج ٢ ص ٨١ ، ونزهة الألبّاء ص ٤٦٩ ، والجواهر المضيئة ج٢ ص١٦٠، ومفتاح السعادة ج ١ ص ٤٣١ ، وظفر الوالد ج ١ ص ١٢٥ .

المحـــب الطبـــرى

محب الدين الطبرى شيخ الحجاز فى القرن السابع ، ومن مشهور مؤلفاته : القِرَى لقاصد أم القُرىَ ، وكتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة ، وكانت له عند الملك المظفر مكانة عظيمة . فكان يسافر الى اليمن لقصده ، ووصفوه بالفقيه الزاهد محدث الحجاز وشيخ الحرم .

وقال بعضهم : ما أخرجت مكة بعد الامام الشافعى مثل المحب الطبرى ، قال الفاسى فى تاريخ علماء البلد الحرام : ان هذه منقبة عظيمة ، إلا أن مكة المكرمة أخرجت بعد الشافعى أمثال ابن المنذر والحميدى صاحب الشافعى ، ولا شك فى أنه لم يكن فى زمان الطبرى مثله بالحرم المكى .

وللطبرى هذا شعر جيد يحويه ديوانه ومنه قصيدته التى يذكر فيها المنازل بين مكة والمدينة شرفهما الله وهى مئة وستون بيتاً ، وأولها :

(رحلت الى المختار خير البرية)

ومن شعره يذكر طيبة الطيبة :

صاح عرج الى العقيق وسلع ... وقباب فيها الوجوه الصباح
قف بجرعائها وناد بناد ... مشرف الروض عطره فياح
يا أهيل الحمى وأهل المصلى ... وربوع تشتاقها الارواح
المحب المشوق قلب جريح ... وبترب الحمى تداوى الجراح

ومن شعره ايضا :

مريض من صدودك لا يعاد ... به ألم لغيرك لا يعاد
وقد ألف التداوى بالتدانى ... فهل أيام وصلكمو تعاد
لحا الله العواذل كم ألحوا ... ولا أصغى وكم عذلوا وعادوا
ولو لحظوا من الأحباب معنى ... لما أبدوا هناك ولا أعادوا

وهو محب الدين ابو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الطبرى المكى حافظ الحجاز قال صاحب ديوان الاسلام : له مؤلفات منها الأحكام فى الحديث وشرح التنبيه والمناسك .

وقد تفقه الطبرى ببلدة قوص على الشيخ مجد الدين القشيرى، واستدعاه والى اليمن ليسمع عليه الحديث فتوجه اليه من مكة وأقام عنده مدة .

وكانت وفاته بمكة المشرفة ، ودفن بالمعلاة .

قال ابو تراب : وللطبرى هذا كتاب نفيس موسوم بخلاصة السير جمعه من اثنى عشر مؤلفاً لم يذكره السبكى في طبقاته ولا الاسدى ، وقد اطلع عليه يوسف سركيس اليان صاحب معجم المطبوعات .

وفى الأعلام للزركلى : ان المحب الطبرى حافظ فقيه شافعى متفنن شيخ الحرم وله : السمط الثمين فى مناقب أمهات المؤمنين ، وذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى .

قال ابو تراب : وكتاب الأحكام له لم يطبع وهو في عدة مجلدات .

وترجمة الطبرى هذا فى طبقات الشافعية للسبكى وشذرات الذهب لابن العماد ، والنجوم الزاهرة لتغرى بردى وغيرها .

وكان يكنى أبا جعفر أيضاً ، وسمع كتاب الفصيح لثعلب على التبريزى .

ومن كتبه الكافى فى غريب القرآن ، وكتاب الغريب والمعنى ، وكتاب غريب جامع الاصول ، ومجموع الخلاف ، والنكت الكبرى ، ومختصر المهذب وغير ذلك .

وكان الملك المظفر يحسن اليه كثيراً ورتب له فى كل شهر خمسين ديناراً على تدريسه بمكة المكرمة بالمدرسة المعروفة بالمنصورية .

وقد اثنى عليه الفاسى كثيراً وقال انه سمع مفتي الحجاز ابن ظهيرة يقول انه سمع القاضى أبا الفضل يقول : انه سمع الحافظ العلائى يقول ما أخرجت مكة بعد الشافعى مثل المحب الطبرى .

قال ابو تراب : ترجمته في النجوم الزاهرة ج٨ص٧٤ وشذرات الذهب ج ٥ ص ٤٢٥ وطبقات الشافعية ج ٥ ص ٨ .

التفتـــازانى

مسعود بن عمر سعد الدين التفتازانى هو العلامة الكبير صاحب « المطول » فى علم المعانى والبيان ، وهو من اعيان القرن الثامن أخذ عن أكابر أهل العلم فى عصره ، وفاق فى كثير من العلوم ، وطار صيته واشتهر ذكره ، ورحل اليه الطلبة ، وهو القائل :

طويت باحراز العلوم ونيلها ... رداء شبابى والجنون فنون
فلما تعاطيت الفنون وحظها ... تبين لى ان الفنون جنون

وكان التفتازانى شرع فى التصنيف وهو ابن ست عشرة سنة وتوفى فى أواخر القرن الثامن ، ومن تصانيفه الشهيرة بين أهل العلم : مختصر المعانى ، وهو مع المطول من الكتب التى كانت مقررة للتدريس ثم تناساها الناس اليوم .

قال الشوكانى : إنه متفرد بعلومه فى القرن الثامن لم يكن له نظير فى أهله فيها ، ومصنفاته قد طارت فى حياته إلى جميع البلدان ، وتنافس الناس فى تحصيلها .

ومع هذا لم يذكره الحافظ ابن حجر فى« الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة » مع أنه يتعرض لذكره فى بعض تراجم شيوخه أو تلامذته ، وتارة يذكر شيئا من مصنفاته عند ترجمة من درس فيها أو طلبها ، فإهمال ترجمته من العجائب المفصحة عن نقص البشر .

قال ابو تراب : هذا التعليق عندى أعجب لأنه مذكور فى الدرر الكامنة بترجمة مستقلة والعجب من القنوجى نقل هذا فى التاج المكلل ولم يعقب .

وكان التفتازانى قد اتصل بالسلطان الكبير الطاغية الشهير تيمور لنك ، وجرت بينه وبين السيد الشريف الجرجانى مناظرة فى مجلس السلطان فى مسألة :

كـون ارادة الانتقام سبباً للغضب ، أو الغضب سبباً لارادة الانتقام ، فالتفتازانى كان يقول بالقول الأول وهو أن إرادة الانتقام سبب ، والشريف الجرجانى

كان يقول بالقول الثانى وهو أن الغضب سبب . قال الشيخ منصور الكازرونى : والحق فى جانب الشريف .

وجرت أيضاً بينهما المناظرة المشهورة فى قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ويقال : إنه حكم بأن الحق فى ذلك مع الجرجانى فاغتم التفتازانى ومات كمداً .

قال ابو تراب : هذا كما يقال في موت سيبوية كمداً حين حكم للكسائى بأن الصواب معه فى المسألة الظنبورية المشهورة عند النحويين فى قولهم : « كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الظنبور فإذا هو إياها » وكان سيبويه يقول : فاذا هو هى ، والحق كان معه إلا أن قرب الكسائى من السلطان وكان مؤدب ولده شفع له فى المناظرة التى جرت بينهما حتى أنهم دبروا حيلة فى تلقين الأعرابى الذى أتى به شاهداً فقال : إن لسانى لا يقوى على اللحن ولكن قولوا ما شئتم فأقول : نعم ، وفطن سيبويه للمكيدة فطلب أن ينطق الاعرابى بالمثل فدفع دفعاً فى زحام الناس وأخرج حسيراً .

وشيوخ التفتازانى هم أمثال عضد الدين ومن فى طبقته من أجلَّة العلماء المحققين .

قال ابو تراب : وترجمته في التاج المكلّل للقنوجى ، والدرر الكامنة لابن حجر ج ٤ ص ٣٥٠ والبدر الطالع للشوكانى ، وبغية الوعاة للسيوطى ص ٣٩١ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٥ .

ومن أشهر مصنفاته كتاب التلويح فى علم الأصول وتهذيب المنطق والكلام وشرح العقائد ومقاصد الطالبين وضابطة انتاج الأشكال فى المنطق ، والنعم السوابغ والمطول والمختصر وشرح الرسالة الشمسية وشرح التصريف العزى وكلها مطبوع .

ومن تصانيفه حاشية الكشاف والارشاد فى النحو .. قال ابن حجر فى الدرر الكامنة : انتهت اليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق بل بسائر الأمصار لم يكن له نظير فى معرفة هذه العلوم ولم يخلف بعده مثله ، وتنافس الأئمة فى تحصيل كتبه والاعتناء بها .

الطبرى المفسر

محمد بن جرير الطبرى ابو جعفر صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير ، كان إماماً فى فنون كثيرة ، منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وله مصنفات جليلة فى فنون من العلم عديدة تدل على سعة العلم وغزارة الفضل ، قال القنوجى فى التاج المكلل : كان الطبرى من الأئمة المجتهدين لم يقلد أحداً ، وكان ابن طرار على مذهبه وكان ثقة فى نقله ، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها .

وذكره أبو اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء فى جملة المجتهدين .

وقال ابن الجوزى : انه بسط فى تاريخه الكلام على الوقائع بسطاً ، وان المشهور المتداول مختصر من الأصل .

وقال السيوطى فى الاتقان : ان تفسير ابن جرير أجل التفاسير وأعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض ، ويتعرض للإعراب النحوى والاستنباط من الكلام فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين .

وقال النووى : أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى ، وقال أبو حامد الأسفراييني : لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً .

وتوفى الطبرى فى أوائل القرن الرابع الهجرى .

قال ابو تراب : والإمام البخارى من أشياخه وقد روى عنه فى التاريخ .

وكان الطبرى إمام عصره ، وعلامة وقته ، وفقيه زمانه ، قال ابن النديم فى الفهرست : انه ادرك الأسانيد العالية ، فقد قرأ الفقه على داوود الظاهرى وأخذ الفقه الشافعى عن الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى وأخذ الفقه المالكى عن يونس

ابن عبـد الأعـلى وأخذ الفقه الحنفى عن أبى مقاتل ، وكلهم أئمة ، وتقلب بمصر والعراق والشام والكوفة والبصرة والرى ، وصنف كتاب اختلاف الفقهاء . لم يذكر فيه احمد بن حنبل .

وفى تاريخ بغداد : انه كان يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله ، وقد جمع من العلوم ما لم يشاركه أحد من أهل عصره . فكان حافظاً لكتاب اللهبصيراً بالمعانى فقيها فى أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها .

وذكر أبو محمد الفرغـانى ان قوماً من تلامذة ابن جرير حسبوا له منذ بلغ الحلم إلى ان مات ثم قسموا على تلك المدة أوراق مصنفاته فصار لكل يوم اربع عشـرة ورقـة .

قال ابو تراب : وفي تاريخ ابن صاعد انه لم يعرف في تاريخ الاسلام أكثر تأليفا من الامام ابن حزم إلا الامام ابن جرير الطبرى .

وتوفى الطبرى ببغداد ورثاه خلق من أهل العلم والأدب فمن ذلك قول ابن دُريد :

إن المنية لم تتلف به رجلا   بل أتلفت علماً للدين منصوبا
كان الزمان به تصفو مشاربهُ   والآن أصبح بالتكدير مقطوبا

قال ابو تراب : وقد ترجم عنه ابن الأثير وابن خلكان ج ١ ص ٤٥٦ والسبكى ج ٢ ص ١٣٥ في الطبقات ، والذهبى في تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٣٥١ وابن الشحنة وابن حجر في لسان الميزان ج ٥ ص ١٠٠ ، وابن كثير في البداية ج ١١ ص ١٤٥ ، والذهبى في سير النبلاء ، وغاية النهاية ج ٢ ص ١٠٦ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٥ ، وتاريخ الخطيب ج ٢ ص ١٦٢ ، ومعجم ياقوت ج ٦ ص ٤٢٣ ، ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٥ .

ومن كتبه: المسترشد فى علوم الدين ، والقراءات وهو من ثقات المؤرخين ، وفى تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق كما قال ابن الأثير .

ووصفوه فقالوا : كان أسمر أعين ، نحيف الجسم فصيحاً ، وعرض عليه القضاء فامتنع ، وعرض عليه الحكم فى المظالم فأبى :

السيف الآمدى

سيف الدين الآمدى هو أبو الحسن على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى الشافعى . ولد فى منتصف القرن السادس . وتوفى فى أواخر الثلث الأول من القرن السابع . وهو صاحب الكتاب المشهور فى أصول الفقه ، واسمه الأحكام فى أصول الأحكام .

كان فى أول اشتغاله حنبلى المذهب . وانحدر الى بغداد فقرأ بها على أبى الفتح نصر بن فتيان الحنبلى ، وبقى على مذهب الامام أحمد مدة ، ثم انتقل الى مذهب الامام الشافعى فأصحاب التراجم يذكرونه فى طبقات الحنابلة كما يذكرونه فى طبقات الشافعية .

ورحل الآمدى إلى الشام واشتغل بفنون المعقول ، وأحكام الأصليين ، والفلسفة وسائر العقليات ، ثم جاء مصر وتولى الاعادة بالمدرسة المجاورة لضريح الامام الشافعى ، وتصدر بالجامع الظافرى وتعصب عليه جماعة من فقهاء القاهرة فعاد إلى دمشق ومات فيها مستخفياً .

ومن مؤلفاته : منتهى السؤل فى الأصول . وكتاب منائح القرائح ، ورموز الكنوز ، ودقائق الأخبار ، ولباب الألباب ، وأبكار الأفكار وغير ذلك وكلها غير مطبوعة .

ومن المطبوع كتاب الأحكام فى أصول الأحكام ، وهو كتاب جليل رتبه على أربع قواعد ، الأولى فى مفهوم أصول الفقه ، الثانية فى الادلة السمعية ، الثالثة : فى أحكام المجتهدين ، الرابعة فى الترجيح ، فرغ من تصنيفه فى أواخر الربع الأول من القرن السابع .

قال ابو تراب : وقد ترجم عن الآمدى ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٩ ، والسبكى في طبقات الشافعية ج ٥ ص ١٢٩ والذهبى في الميزان ج ١ ص ٤٣٩ ، وابن حجر في اللسان ج ٣ ص ١٣٤ ، وابن الشحنة ومفتاح السعادة ج ٢ ص ٤٩ ، والشذرات ج ٦ ص ١٤٤ .

وفى معجم المصنفين لعمر رضا كحالة : ان سيف الدين الآمدى دفن بجبل قاسيون بدمشق . وهو فقيه أصولى متكلم منطقى حكيم ولد بآمد . ومن تصانيفه غاية المرام فى علم الكلام. ودقائق الحقائق فى الحكمة، وغاية الأمل فى علم الجدل.

قال ابو تراب : وذكره الصفدى فى الوافى والذهبى فى سير النبلاء والأسنوى فى طبقات الشافعية وابن كثير فى البداية والقفطى فى تاريخ الحكماء واليافعى في مرآة الجنان وياقوت في معجم الأدباء ج ٨ ص ٧٥ ، وأنباه الرواة ج ١ ص ٢٨٥ ، والسيوطى في البغية ص ٢١٨ .

قال الذهبى فى الميزان وكان يترك الصلاة ونفى من دمشق لسوء اعتقاده .

(تمييز) قال ابو تراب : وفقيه آخر يعرف ايضاً بالآمدى وهو علي بن محمد ابن عبد الرحمن أبو الحسن البغدادى الحنبلى توفي بعد منتصف القرن الخامس في ثغر آمـد بديار بكر وهو بغدادى الأصل والمولد ، وينسب الى آمـد لوفاته به ، وله كتاب عمدة الحاضر وكفاية المسافر في الفقه في أربعة أسفار .

وترجم عنه ابن رجب الحنبلى في طبقاته ج ١ ص ١١ وحاجى خليفة في كشف الظنون ص ١١٦٦ .

وآمدى آخر فى القرن السادس هو عبدالواحد بن محمد بن عبدالواحد التميمى صاحب كتاب غرر الحكم من كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه وجواهر الكلام ذكره صاحب روضات الجنات ص ٤٤٤ ، والفوائد الرصدية وهدية العارفين ج ١ ص ٦٣٥ ، وايضاح المكنون ، وذكره العاملى في اعيان الشيعة .

وأما الآمدى صاحب الموازنة بين أبى تمام والبحترى فهو ابو القاسم الحسن ابن بشر البصرى أحد الأدباء المشاهير .

ابن الأثير المحدّث

ابن الأثير الجزرى هو مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن أبى الكرم محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى ، وهو شقيق صاحب (الكامل) فى التاريخ .

وقد ولد بجزيرة ابن عمر ونشأ بها ، ثم انتقل الى الموصل ، وكان كاتبا مفلقاً يضرب به المثل ، وكان ذا دين متين .

اتصل ابن الأثير هذا بخدمة الأمير قايماز الى أن مات ، فاتصل بخدمة صاحب الموصل عز الدين مسعود ، وولى ديوان الانشاء .

ومن تصانيفه غير المطبوعة : كتاب الانصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف ، تفسيرى الثعلبى والزمخشرى وكتاب المصطفى المختار فى الأدعية والاذكار ، وكتاب البديع فى شرح فصول ابن الدهان ، وكتاب الاذواء والذوات وكتاب شرح غريب الطوال .

وحصل له مرض مزمن أبطل يديه ورجليه وعجز عن الكتابة .

وتوفى بالموصل ودفن برباطه . ومن شعره قوله فى صاحب الموصل يمدحه وقد زلت به بغلة :

زلـت البغلـة من تحتـه فان فى زلتهـا عـذرا
حملهـا مـن علمـه شاهقـاً ومـن نـدى راحتـه بحـرا

ومن تصانيفه المطبوعة كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول جمع فيه البخارى ومسلما والموطأ وسنن أبى داوود وسنن النسائى وجامع الترمذى .

واختصره ابن الدبيع الشيباني في كتاب سماه : (تيسير الأصول الى جامع الأصول) وقد طبع ايضاً ، ومن كتبه المطبوعة كتاب المرصع في الآباء والأمهات

والبنين والبنات والأذواء والذوات ، هكذا ذكر ياقوت اسمه ونسبه اليه ووقف على طبعه سيبولد الألمانى في ديمار بفرنسا ، وطبع بآستانة منسوباً إلى أخيه ضياء الدين ابن الأثير صاحب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .

ولصاحب الترجمة كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر ، واختصره السيوطى وسماه الدر النثير وقد طبع عدة مرات .

وترجم عنه الأسدى فى الطبقات ايضاً ، وابن خير الله فى تاريخ الموصل وصاحب روضات الجنات ومفتاح السعادة .

وهو محدث أصولى لغوى ، ذكروا انه ألف كتبه كلها زمن مرضه ، وكان يملى على طلبته وهو مصاب بالنقرس الذى أبطل حركة يديه ورجليه ، وكان الطلبة يعينونه بالنسخ والمراجعة .

وذكر الزركلى انه جمع في جامع الأصول الكتب الستة .

قال ابو تراب : الستة تشمل سنن ابن ماجة ، لكنه لم يذكرها بل ذكر الموطأ ، والعجلة هى محمل هذا الوهم الذى وقع فيه صاحب الاعلام .

وذكر من كتبه الرسائل والشافى فى شرح مسند الشافعى والمختار فى مناقب الأخيار وتجريد اسماء الصحابة .

وفى معجم المصنفين لعمر رضا كحالة : أبو السعادات ابن الأثير عالم اديب ناثر مشارك فى تفسير القرآن والنحو واللغة والحديث والفقه وغير ذلك ، كتب للأمراء وكانوا يحترمونه وسمع ببغداد .

وذكره الذهبى في سير النبلاء والأسنوي في الطبقات والطيبى في اسماء الرجال ، وابن كثير في البداية والنهاية وصاحب النجوم الزاهرة وابن العماد في الشذرات واليافعى في مرآة الجنان وبغية الوعاة ص ٣٨٥ والوفيات ج ١ ص ٤٤١

والتكملة لوفيات النقلة والكامل ج ٢ ص ١١٣ ومعجم ياقوت ج ٦ ص ٢٣٨ ، وطبقات الشافعية ج ٥ ص ١٥٣ .

وتوفى صاحب الترجمة فى أوائل القرن السابع ودفن برباطه داخل الموصل . وقد أوقف أملاكه على هذا الرباط .

وكان من محاسن الزمن . ونقل القنوجى فى التاج عن ابن المستوفى أنه أشهر العلماء ذكراً وأكبر النبلاء قدراً وأحد الأفاضل وفرد الأماثل .

ابن الأثير الكاتب

أما ضياء الدين ابن الاثير الجزرى فهو أبو الفتح نصر الدين ابن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالواحد الشيبانى شقيق مجد الدين المحدث وعز الدين المؤرخ . وهذا ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمئة وتوفى سنة سبع وثلاثين وستمئة . وقد مهر فى النحو واللغة وعلم البيان ، واستكثر من حفظ الشعر فحفظ شعر أبى تمام وشعر البحترى وشعر أبى الطيب المتنبى .

وكان وزيراً للملك الأفضل نور الدين ابن السلطان صلاح الدين . ولما اخذت دمشق من الملك الأفضل وانتقل الى صرخد هم أهلها بقتل ضياء الدين لسوء عشرته معهم فأخرجه الحاجب مستخفيا فى صندوق مقفل عليه .

ثم صار إليه وصحبه الى مصر ، ولما استقر الأفضل فى سميساط عاد الى خدمته وأقام عنده مدة ، ثم فارقه واتصل بخدمة أخيه الملك الظاهر غازى صاحب حلب .

وعاد الى الموصل واتخذها دار اقامته ، وكتب الانشاء لصاحبها ناصر الدين ابن نور الدين ارسلان شاه ، وتوفى ببغداد ، ودفن بمقابر قريش فى الجانب الغربى .

ترجم عنه السيوطى فى بغية الوعاة ، وابن خير الله العمرى فى تاريخ الموصل .

من كتبه المطبوعة المرصع فى الأدب وينسب الى أخيه مجد الدين ، والوشى المرقوم فى حل المنظوم ، رتبه على مقدمة وثلاثة فصول فى حل الشعر وحل آيات القرآن وحل الأخبار النبوية وهو يحيل عليه فى مواضع من كتابه المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر وهو الذى جمع فيه واستوعب . ولم يترك شيئاً بفن الكتابة الا ذكره . وهو لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه لاستنباط أدلة الأحكام .

وقد تصدى أبو حامد المدائنى للرد على المؤلف ومؤاخذته وسمى كتابه : الفلك الدائر على المثل السائر .

وذكر عمر رضا كحالة فى معجم المصنفين من كتبه كتاب المعانى المخترعة فى صناعة الانشاء ، وكتاب كنز البلاغة وديوان الرسائل فى عدة مجلدات .

وذكر الزركلى من مؤلفاته : الجامع الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور فى الادب ، والبرهان فى علم البيان .

وترجمته أيضاً فى : التكملة لوفيات النقلة ، والوافى للصفدى ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ، ومختصر دول الاسلام والذيل على الروضتين ، وهدية العارفين للبغدادى ، ومرآة الجنان لليافعى ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وايضاح المكنون للبغدادى ، وابن شقدة ، وكشف الظنون لحاجى خلفية والوفيات ج ١ ص ٣٤٧ ، ومفتاح السعادة وابن الشحنة والسبكى ج ٥ ص ١٢٧ وآداب اللغة ج ٣ ص ٨٠ .

وهو اديب كاتب من الوزراء والعلماء الكتاب المترسلين ، ولد فى جزيرة ابن عمر ، ونشأ بها .

قال ابو تراب : هذه الجزيرة مدينة فوق الموصل على دجلتها سميت جزيرة لأن دجلة محيطة بها ، وفي معجم المطبوعات ليوسف سركيس اليان : جزيرة عمر ، وهــو خطــأ .

قال الواقدى : هذه الجزيرة بناها رجل من اهل برقعيد يقال له عبدالعزيز بن عمر .

وتعلم صاحب الترجمة حيث نشأ أخواه المؤرخ والمحدث بالموصل . قالوا : وكان قوى الحافظة ووردت اليه أمور الناس أيام وزارته وصار الاعتماد عليه فى جميع الأحوال .

ابن الأثير المؤرخ

وأما عز الدين ابن الأثير الجزرى فهو أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيبانى ، الموصلى ، ولد بجزيرة ابن عمر فوق الموصل على دجلتها ونشأ بها ، ثم صار الى الموصل مع والده وأخويه المحدث والأديب ، وسمع بها من أبى الفضل ابن أحمد الخطيب الطوسى ومن فى طبقته .

وقدم صاحب الترجمة بغداد مراراً ، ثم رحل الى الشام والقدس ، وسمع هناك من جماعة ثم عاد الى الموصل ولزم بيته منقطعاً الى التوفر على النظر فى العلم والتصنيف ، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها .

وكان اماماً حافظاً للتواريخ خبيراً بأنساب العرب . قال ابن خلكان فى الوفيات :

اجتمعت به بحلب فوجدته مكملا فى الفضائل والتواضع وكرم الاخلاق ، فترددت إليه ، وكانت وفاته بالموصل .

ترجم عنه : الصفدى فى الوافى ، والذهبى فى سير النبلاء ، وابن الفوطى فى تلخيص مجمع الآداب ، وابن خلكان في الوفيات ج ٢ ص ١٥٨ ، وابن كثير في البداية ، والسبكى في طبقات الشافعية ، وأبو الفداء في التاريخ ، والأسدى في الطبقات ، وطاش كبرى في مفتاح السعادة ج ١ ص ١٧٨ ، والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن العماد في شذرات الذهب ج ٥ ص ١٨٧ ، واليافعي فى مرآة الجنان ، والذهبي في مختصر دول الاسلام ، وحاجى خليفة في كشف الظنون ، والعزاوى في التعريف بالمؤرخين ، والبغدادى في هدية العارفين .

وهو مذكور أيضاً فى لذيل على الروضتين والتبيان ، والتكملة لوفيات النقلة ، وابن الشحنة فى حوادث سنة ثلاثين وستمئة وكتاب العرب والروم لغازيليف وآداب اللغة .

قال الزركلى فى الاعلام :

عز الدين ابن الأثير المؤرخ الإمام من العلماء بالنسب والأدب ، تجول فى البلدان ، وكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء .

ومن كتبه المخطوطة : الجامع الكبير ، فى البلاغة ، وتاريخ الموصل لم يتمه ، وتحفة العجائب وطرفة الغرائب .

وذكر عمر رضا كحالة من كتبه : كتاب الجهاد ، أما الكامل فى التاريخ فهو من الكتب الشهيرة مرتب على السنين ، بلغ فيه عام تسعة وعشرين وستمئة وأكثر من جاء بعده من المؤرخين عيال على كتابه هذا ، وقد طبع مراراً باسم كامل التواريخ والكامل فى التاريخ .

ومن كتبه المطبوعة :

أسد الغابة فى معرفة الصحابة ذكر فيه سبعة آلاف وخمسمئة ترجمة ، واستدرك على ما فاته ممن تقدمه ، وبين أوهامهم ، وقد جمع فيه بين كتب الحافظ ابن منده وأبى نعيم وابن عبد البر وأبى موسى وزاد وأفاد .

ومن كتبه المطبوعة أيضاً : تاريخ الدولة الأتابكية بالموصل وهو قسم من تاريخ الكامل .

وكتاب اللباب فى معرفة الأنساب للحافظ أبى سعيد السمعانى قال فى كشف الظنون : كتاب السمعانى عظيم فى فنه لكنه قليل الوجود ولما كان كبير الحجم لخصه ابن الأثير وزاد فيه أشياء واستدرك ما فاته وهو أحسن من الأصل على ما قال ابن خلكان ، وصاحب الترجمة مؤرخ محدث حافظ أديب لغوى بيانى نسابة حدث بدمشق .

الامـام أحمـد بن حنبـل

الامام أبو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المروزى امام أهل السنة ، وأحد الأعلام الأربعة المشاهير ، خرجت أمه من مرو وهى حامل به فولدته فى بغداد فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة ، وقيل انه ولد بمرو وحمل الى بغداد وهو رضيع ، وكان امام المحدثين ، صنف كتابه « المسند » وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره .

وقيل : إنه كان يحفظ ألف ألف حديث ، وكان من أصحاب الامام الشافعى وخواصه ، ولم يزل مصاحبه الى أن ارتحل الشافعى الى مصر .

وقال فى حقه : خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل ، ودعى الى القول بخلق القرآن فلم يجب فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع ،وقصة هذه المحنة ، وصبره عليها مشهورة ، وكان ضربه فى العشر الأخير من رمضان سنة عشرين ومئتين فنجا من الفتنة بتأييد الله تعالى وقوة ايمانه وصلابته فى الدين .

وكان احمد بن حنبل حسن الوجه ربعة ، يخضب بالحناء خضبا ليس بالقانى وفى لحيته شعيرات سود .

وأخذ عنه الحديث جماعة من الأماثل منهم الامام محمد بن اسماعيل البخارى ، والامام مسلم بن الحجاج النيسابورى ، وخلق كثير ، ولم يكن فى آخر عصره مثله فى الورع ، وفى الصحبة التى كانت بينه وبين الشافعى قال الشافعى :

قالـــوا يزورك احمد وتـــزوره قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارنى فبفضلـه أو زرتـه فلفضله فالفضل فى الحالين له

وتوفى الامام احمد ضحوة نهار الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول — وقيل : بل لثلاث عشرة ليلة بقين من الشهر المذكور — وقيل : من ربيع

الآخر سنة احدى وأربعين ومئتين ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب ــ وباب حرب منسوب الى حرب بن عبدالله أحد أصحاب أبى جعفر المنصور والى حرب هذا تنسب المحلة المعروفة بالحربية .

وحزر من حضر جنازة الامام أحمد من الرجال ، فكانوا ثمانمئة ألف ، ومن النساء ستين ألفاً .

وقيل : انه أسلم يوم مات عشرون ألفاً من النصارى واليهود والمجوس .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه الذى ألفه فى أخبار بشر بن الحارث الحافى فى الباب السادس والأربعين عن ابراهيم الحربى قال : رأيت بشر بن الحارث فى المنام كأنه خارج من باب مسجد الرصافة ، وفى كمه شيء يتحرك ، فقلت : ما فعل الله بك فقال : غفر لى وأكرمنى ، فقلت : ما هذا الذى فى كمك ؟ قال : قدم علينا البارحة روح ابن حنبل فنثر عليه الدر والياقوت ، فهذا مما التقطت ، قلت : فما فعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ؟ قال : تركتهما وقدزارا رب العالمين ، ووضعت لهما الموائد ، قلت : فلم لم تأكل أنت ؟ قال : قد عرف ربى هوان الطعام على فأباحنى النظر الى وجهه الكريم .

وفى نسب أحمد بن حنبل بعض اختلاف مذكور فى كتب التراجم وكان له ولدان عالمان وهما صالح وعبدالله فأما صالح فكانت وفاته فى شهر رمضان سنة ٢٦٦ ، وكان قاضى أصبهان فمات بها وأما عبدالله فإنه بقى الى سنة تسعين ومئتين وبه كان يكنى الامام أحمد .

وذكر ابن رجب فى الطبقات فى ترجمة الحافظ ابن منده أنه صنف كتاب مناقب الامام أحمد فى مجلد كبير وفيه فوائد حسنة وقال فى أوله : ومن أعظم جهالات المبتدعة وغلوهم فى مقالاتهم وقوعهم في الامام المرضى إمام الأئمة وكهف الأمة ناصر الاسلام والسنة من لم تر عين مثله علماً وزهداً وديانة وأمانة إمام أهل الحديث أحمد ابن حنبل قدس الله سره وبرد عليه ضريحه الامام الذى لا يجارى والبحر الذى لا يبارى .

وقد أجمع أئمة الدين فى زمان الامام أحمد بن حنبل على تقدمه فى شأنه ونبله وعلو مكانه ، وله من المناقب ما لا يعد ولا يحصى ، قام لله تعالى مقاماً لولاه لتجهم الناس ولمشوا على أعقابهم القهقرى ، ولضعف الاسلام واندرس العلم .

ولقد صدق الامام أبو رجاء قتيبة بن سعيد البغلانى حيث قال : ان أحمد فى زمانه بمنزلة أبى بكر وعمر فى زمانهما .. وأحسن من قال : لو كان أحمد فى بنى إسرائيل لكان آية أعاشنا الله تعالى على عقيدته وحشرنا يوم القيامة فى زمرته .

قال فوران : ماتت امرأة لبعض أهل العلم فجاء يحيى بن معين والدورقى فلم يجدوا امرأة تغسلها إلا امرأة حائضاً ، فجاء أحمد وهم جلوس ، فقال ما شأنكم ؟ فقال أهل المرأة ليس نجد غاسلة إلا امرأة حائضاً ، فقال أحمد : أليس تروون عن النبى ﷺ : يا عائشة ناولينى الخمرة — وهى قطعة من الحصير — قالت : إنى حائض ، فقال : ان حيضتك ليست فى يدك .

قال : فيجوز أن تغسلها حائض ، فخجلوا .

ومن أقواله : الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء فمن لم يعمل هنا ندم هناك .

وسئل عن الفتوة ؟ فقال : ترك ما تهوى لما تخشى .

ولقد ذكر له رجل من أهل العلم كانت له زلة وأنه تاب من زلته فقال : لا يقبل ذلك الله حتى يظهر التوبة والرجوع عن مقالته ، وليعلمن أنه قال مقالته كيت وكيت وأنه قد تاب الى الله تعالى عن مقالته ورجع عنها ، فاذا ظهر منه ذلك فحينئذ تقبل توبته ، ثم تلا : « إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا » .

وروى عنه انه قال : طلب اسناد العلوم من السنة .

وقيل له : إن ههنا رجلا يفضل عمر بن عبدالعزيز على معاوية بن أبى سفيان فقال أحمد : لا تجالسه ، ولا تؤاكله ، ولا تشاربه ، وإذا مرض فلا تعده .

وكان يقول : سبحانك ما أغفل هذا الخلق عما أمامهم ، الخائف منهم مقصر والراجى منهم متوان .

وسئل عن رجل عليه تحرير رقبة مؤمنة ؟ وعنده عبد يقول بخلق القرآن فقال : لا يجزى عنه عتقه لأن الله تبارك وتعالى يقول بتحرير رقبة مؤمنة ، والقائل بخلق القرآن ليس بمؤمن ، هذا كافر .

وقال أحمد : أصول الايمان ثلاثة ، دال ودليل ومستدل ، فالدال الله تعالى ، والدليل القرآن ، والمستدل المؤمن ، من طعن على حرف من القرآن فقد طعن على الله عز وجل وعلى كتابه وعلى رسوله .

وقال : ثلاثة كتب ليس لها أصول ، المغازى والملاحم والتفسير ، ومن لم يجمع علم الحديث وكثرة طرقها واختلافها فلا يحل له الحكم على الحديث ولا الفتيا به .

وقال : اذا روينا عن رسول الله ﷺ فى الحلال والحرام والسنن والاحكام تشددنا فى الاسانيد ، واذا روينا فى فضائل الأعمال وما لا يضيع حكما ولا يرفع ، تساهلنا في الأسانيد .

وقال قتيبة : أحمد إمام ومن لا يرضى بإمامته فهو مبتدع ضال ، وقال ابن مندة : أحمد إمام المسلمين وسيد المؤمنين وبه نحيا وبه نموت وبه نبعث إن شاء الله ، فمن قال غير هذا فهو عندنا من الجاهلين .

وحدث شيخ من أهل سجستان بمكة ذكر عنه فضل ودين قال : رأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقلت : يارسول الله من تركت لنا فى عصرنا هذا من امتك نقتدى به فى ديننا ؟ قال أحمد بن حنبل ، قال ابن مندة : فما قاله رسول الله ﷺ فى نومه ويقظته فهو حق وقد ندب ﷺ الى الاقتداء به فلزمنا جميعاً امتثال مرسومه واقتفاء أموره .

وفى كتاب صفة الصفوة : قال خلف جاءنى أحمد بن حنبل يستمع حديث أبى عوانة فاجتهدت أن أرفع مجلسه فأبى ، وقال : لا أجلس إلا بين يديك أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه .

وقال أبو عفيف كان أحمد بن حنبل معنا فى الكتاب وهو غليم يعرف فضله ، وكان الخليفة بالرقة فيكتب الناس الى منازلهم ، فيبعث نساؤهم الى المعلم :

ابعث الينا بأحمد بن حنبل ليكتب لهم جواب كتبهم فيبعثه فكان يجىء إليهم مطأطىء الرأس فيكتب جواب كتبهم فربما أملوا عليه الشىء من المنكر فلا يكتبه لهم .

وقال أبو زرعة : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث ، فقيل له :وما يدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذت عليه الابواب .

وقيل لأبى زرعة : من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ قال : أحمد بن حنبل ، حزرت كتبه اليوم الذى مات فيه فبلغت اثنى عشر حملًا وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلبه .

وقال ابراهيم الحربي : رأيت أحمد بن حنبل كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول ما شاء ويمسك ما شاء .

وعن أحمد بن سنان قال : ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيما منه لأحمد بن حنبل ولا رأيته أكرم أحداً إكرامه لأحمد بن حنبل ، وكان يقعد الى جنبه إذا حدثنا ، وكان يوقره ولا يمازحه ، ومرض أحمد فركب اليه فعاده .

قال ابن الجوزى : كانت مخايل النجابة تظهر من أحمد من زمان الصبا ، وكان حفظه للعلم من ذلك الزمان غزيراً وعلمه به متوفراً فلذلك كان مشايخه يعظمونه ، فكان اسماعيل بن علية يقدمه وقت الصلاة يصلى بهم ، وضحك أصحابه يوماً فقال : أتضحكون وعندى أحمد بن حنبل .

وقال عبدالرزاق : ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل ، وقال وكيع وحفص بن غياث : ما قدم الكوفة مثل احمد بن حنبل ، وقال الطيالسى : ما بالمصرين أحد أحب الى من أحمد بن حنبل ، وكان ابن مهدى يقول : ما نظرت اليه إلا ذكرت به سفيان الثورى ، ولقد كاد هذا الغلام أن يكون إماماً فى بطن أمه .

وقال يحيى بن سعيد : ما قدم على مثل احمد ، وقال أبو عاصم النبيل وقد ذكر طلاب العلم : ما رأينا فى القوم مثل احمد بن حنبل ، وقد ذكر ابن الجوزى هذه الأطراف وأمثالها فى مجلد مفرد فى ترجمته .

وعن ابى بكر المروزى قال : كنت مع احمد بن حنبل نحواً من أربعة أشهر بالعسكر لا يدع قيام الليل وقراءة النهار ، فما علمت بختمة ختمها، كان يسر ذلك .

وعن أبى عصمة ابن عصام البيهقى قال : بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه فلما أصبح نظر فى الماء فإذا هو كما كان ، فقال سبحان الله ، رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل ــ استغرب من تركه قيام الليل استدلالًا بعدم استعمال الماء ــ .

وعن أبى داوود السجستانى قال : لم يكن أحمد يخوض فى شىء مما يخوض الناس فيه من أمور الدنيا فإذا ذكر العلم تكلم . وقال القاسم بن سلام : جالست أبا يوسف ومحمد بن الحسن ويحيى بن سعيد وابن مهدى فما هبت أحداً منهم مثلما هبت أحمد بن حنبل ،ولقد دخلت عليه في السجن لأسلم عليه، فسألنى رجل عن مسألة فلم أجبه هيبة له ، وقال الميمونى : ما رأيت أحداً أنظف ثوباً ولا أشد تعاهداً لنفسه فى شاربه وشعر رأسه وبدنه ولا أنقى من أحمد .

وقال على بن المدينى : قال لى أحمد بن حنبل : إنى لأحب أن أصحبك إلى مكة المكرمة ، وما يمنعنى من ذلك إلا أنى أخاف أن أملك أو تملنى ، قال : فلما ودعته قلت : يا أبا عبدالله توصينى بشىء ؟ قال : نعم ألزم التقوى قلبك ، وألزم الآخرة أمامك .

وقال أبو داوود السجستانى : كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة ، لا يذكر فى شىء من أمر الدنيا ، وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط .

ولما ماتت امرأته أم صالح قال أحمد لامرأة عندهم : اذهبى الى فلانة ابنة عمى فاخطبيها لى من نفسها ؟ فأتتها فأجابتها فلما رجعت اليه قال : هل كانت أختها تسمع كلامك وكانت بعين واحدة ؟ قالت له : نعم قال : فاذهبى فاخطبى التى بعين واحدة فأتتها فأجابتها ، وهى أم ابنه عبدالله ، فأقام معها سبعاً ثم قالت له : كيف رأيت يا ابن عم ، أنكرت شيئاً ؟ قال : لا ، الا أن نعلك هذه تصر .

وكان أحمد يأتى العرس والختان والأملاك ويجيب ويأكل ، ولما خرج الى عبدالرزاق انقطعت به النفقة ، فأكرى نفسه من بعض الجمالين الى أن وافى

صنعاء ، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً .

وذكر عبدالرزاق الصنعانى صاحب المصنف فى الحديث أحمد بن حنبل فدمعت عيناه ، فقال : قدم وبلغنى أن نفقته نفدت ، فأخذت عشرة دنانير ، وأقمته خلف الباب وما معى ومعه أحد ، وقلت له : انه لا تجتمع عندنا الدنانير ، وقد وجدت الساعة عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شىء فتبسم وقال لى : يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك ، ولم يقبل .

وقال ابنه صالح : جاءتنى حسن فقالت : يا مولاى قد جاء رجل بتلبسة فيها فاكهة يابسة وبهذا الكتاب فاذا فيه الى أحمد بن حنبل يا أبا عبدالله أبضعت لك بضاعة الى سمرقند فوقع فيها كذا وكذا ورددتها فوقع فيها كذا وكذا ، وقد بعثت بها اليك وهى أربعة آلاف درهم ، وفاكهة أنا لقطتها من بستانى ورثته عن أبى وأبى عن أبيه ، قال صالح فجمعت الصبيان فلما دخل أبى دخلنا عليه فبكيت وقلت له : يا أبت أما ترق لى من أكل الزكاة ، ثم كشفت عن رأس الصبية ، فبكيت — وهو يريد أن يقبل هذا المال الذى ورد اليه فيستفيدوا منه فقال : من أين علمت ؟ — يعنى بوجود هذه الرسالة — دع حتى أستخير الله الليلة ، فلما كان من الغد قال : يا صالح انى استخرت الله فعزم على ان لا آخذها ، وفتح التلبسة ، وفرقها على الصبيان وكان عنده ثوب عشارى فبعث به اليه ورد المال ، قال صالح : فبلغنى ان الرجل اتخذ ثوب احمد بن حنبل الذى بعثه اليه كفناً له .

وكان لعلى بن الجهم جار أخرج له كتاباً فقال : أتعرفون هذا الخط قالوا : نعم هذا خط أحمد بن حنبل كيف كتب لك قال : كنا بمكة مقيمين عند سفيان ابن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياماً لم نره ثم جئنا اليه لنسأل عنه فقال لنا أهل الدار التى هو فيها : هو فى ذلك البيت فجئنا اليه والباب مردود عليه ، واذا عليه خلقان — وهى الثياب البالية — فقلنا له : يا أبا عبدالله ما خبرك لم نرك منذ أيام ؟ فقال : سرقت ثيابى ، فقلت له معى دنانير فإن شئت فخذ قرضاً وإن شئت فصلة فأبى أن يفعل فقلت : تكتب لى بأجرة ؟ قال : نعم فأخرجت ديناراً فأبى أن يأخذه وقال : اشتر لى ثوباً واقطعه بنصفين ، فأومأ الى أن يأتزر بنصف ويرتدى بالنصف الآخر ففعلت فجئت بورق فكتب لى وهذا خطه .

وروى عن صالح بن أحمد بن حنبل قال : دخلت على أبى فى أيام الواثق والله يعلم فى أى حالة نحن ، وقد خرج لصلاة العصر . وكان له جلد يجلس عليه قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلى ، فاذا تحته كتاب فيه : بلغنى يا أبا عبدالله — يعنى أحمد بن حنبل — ما أنت فيه من الضيق وما عليك من الدين ، وقد وجهت اليك بأربعة آلاف درهم على يدى فلان لتقضى بها دينك وتوسع بها على عيالك ، وما هى من صدقة ولا زكاة ، وانما هو شيء ورثته من أبى ، فقرأت الكتاب ووضعته فلما دخل قلت له : يا أبه ما هذا الكتاب فآحمر وجهه ، وقال : رفعته منك ، ثم قال : تذهب بجوابه ، فكتب الى الرجل : وصل كتابك الى ، ونحن فى عافية ، فأما الدين فانه لرجل لا يرهقنا ، وأما عيالنا فهم بنعمة الله والحمد لله ، فذهبت بالكتاب الى الرجل الذى كان أوصل كتاب الرجل ، فقال ويحك لو أن أبا عبدالله قبل هذا الشيء ورمى به مثلا فى دجلة كان مأجوراً ، لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف ، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك فرد عليه الجواب بمثل ما رد ، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها ، فقال : لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت .

وحمل الى الحسن بن عبدالعزيز الحروى من ميراثه من مصر مئة ألف دينار فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس فى كل كيس ألف دينار فقال : يا أبا عبدالله هذه من ميراث حلال فخذها فاستعن بها على عائلتك ؟ فقال : لا حاجة لى فيها ، أنا فى كفاية فردها ولم يقبل منها شيئاً .

وجاء أحمد بن صالح يوضيء أحمد بن حنبل يوماً وقد بل خرقة فألقاها على رأسه فقال له : يا جدى أنت محموم قال : وأنى لى بالحمى .

وعن رحيلة قال : كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مجاف وأم ولده تكلمه وتقول له : أنا معك فى ضيق منزل ، بيت صالح يأكلون ويفعلون . ويقول :قولى خيراً ، وخرج الصبى معه فبكى فقال له : أى شيء تريد ؟ قال : زبيب ، قال : اذهب وخذ من البقال حبة .

وكان يقول : إنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس وانها أيام قلائل ، وأسرُّ أيامى الي يوم أصبح وليس عندى شيء .

وقال صالح : ربما رأيته يأخذ الكسرة فينفض الغبار عنها ، ثم يصيرها فى قصعة ، ثم يصب عليها ماءاً حتى تبتل ، ثم يأكلها بالملح ، وما رأيته قط آشترى رماناً ولا سفرجلًا ، ولا شيئاً من الفاكهة الا أن يكون يشترى بطيخة فيأكلها بخبز أو عنباً أو تمراً ، فأما غير ذلك فما رأيته قط آشتراه وربما خبز له فيجعل فى فخارة عدساً وشحماً وتمرات شِهْرِيز فيخص الصبيان بقصعة ، فيصوت بعضهم فيدفعه اليهم فيضحكون ولا يأكلون ، وكان كثيراً ما يأتدم بخل ، وكان يشترى له شحم بدرهم وكان يأكل منه شهراً ، فلما قدم من عند المتوكل أدمن الصوم وجعل لا يأكل الدسم فتوهمت انه كان جعل على نفسه ان سلم ان يفعل ذلك .

وقال النيسابورى صاحب اسحاق بن ابراهيم قال لى الأمير : اذا جاء إفطاره أرنيه ؟ قال : فجاءوا برغيفين ، خبز ، وخيارة ، فأريته الأمير ، فقال : هذا لا يجيبنا اذا كان هذا يقنعه .

وجاء المتطبب وأحمد بن حنبل عليل فقال : ما حالك ؟ قال : احتجمت أمس قال وما أكلت ؟ قال : خبزا وكامخا ، قال : يا أبا عبدالله تحتجم وتأكل هذا ؟ قال : فما آكل ؟

قال ابو تراب : الكامخ مخلل من دقيق ولبن ناشف وملح .

وكان أحمد بن حنبل اذا مشى فى الطريق يكره أن يتبعه أحد وكان يقول : الخوف من النار يمنعنى من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه ، وبال فى مرضه دماً فرآه عبدالرحمن المتطبب فقال : هذا رجل قد فتت الغم والحزن كبده .

وقال ابراهيم بن شماس : كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام يحيى الليل ، وقال المروزى : سمعت أبا عبدالله يقول : وقد وجد البرد فى أطرافه : ما أراه الا من ادمانى أكل الخل والملح .

وقال فوران : كنا عند أحمد بن حنبل قبل أن يموت بليلتين وكان ثم غلام أسود لأبى يوسف ــ يعنى عمه ــ اشتراه من هذا المال فذهب يروح أحمد فنهاه . ورهن أحمد سطلاً عند فامِيّ فأخذ منه شيئاً يتقوته فجاء فأعطاه فكاكه فأخرج اليه سطلين فقال : أنظر أيهما سطلك فخذه ، قال : لاأدرى أنت فى حل منه ومما أعطيتك ولم يأخذ ، قال الفامِيّ : والله أنه سطله ، وانما أردت ان امتحنه فيه .

وذكروا أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طعم فيها ، فبعث الى صديق له فاستقرض شيئاً من الدقيق فعرفوا فى البيت شدة حاجته الى الطعام فخبزوا عاجلًا ، فلما وضع بين يديه قال : كيف خبزتم هذا بسرعة ؟ قيل له : كان التنور فى دار ابنه صالح مسجورا فخبزنا عاجلًا فقال : ارفعوا ولم يأكل ، وأمر بسد بابه الى دار صالح .

وقال ابنه عبدالله : كان أبى أصبر الناس على الوحدة ، لم يره أحد إلا فى المسجد ، أو حضور جنازة ، أو عيادة مريض ، وكان يكره المشى فى الأسواق .

وكان يصلى فى كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة ، فلما مرض من الأسواط التى ضرب بها أيام المحنة أضعفته ، فكان يصلى فى كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة ، وقد كان قرب من الثمانين ،وكان يقرأ فى كل يوم سبعاً ، يختم فى كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة فى كل سبع ليال ، سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلى العشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم الى الصباح يصلى ويدعو ، وحج خمس حجات ثلاث حجج ماشياً واثنتين راكباً وأنفق فى بعض حجاته عشرين درهماً .

وكان يقول فى دبر الصلاة : اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك .

قال ابن زاذان : صلينا وأحمد بن حنبل حاضر فسمعته يقول : اللهم من كان على هوى أو على رأى وهو يظن انه على الحق وليس هو على الحق فرده الى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحد ، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به ، ولا تجعلنا فى رزقك خولًا لغيرك ، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ، ولا ترنا حيث نهيتنا ، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا ، أعزنا ولا تذلنا ، أعزنا بالطاعة ، ولا تذلنا بالمعصية .

وأرسلت امرأة مقعدة نحو عشرين سنة ابنها الى أحمد تريد أن يدعو لها فدق عليه الباب فقال : من هذا؟ قال : أنا من أهل ذلك الجانب أرسلتنى أمى وهى زمنة مقعدة تسألك أن تدعو الله لها ، فقال كالغضبان نحن أحوج أن تدعو لنا ، قال : فوليت منصرفاً فخرجت عجوز من داره فقالت : يا هذا تركته يدعو لأمك فجئت من فورى إلى البيت فخرجت أمى على رجلها تمشى ففتحت لى الباب فوهبها الله العافية .

وذكر ميمون بن الاصبغ قال : كنت ببغداد فسمعت ضجة فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : احمد بن حنبل يمتحن ، فدخلت ، فلما ضرب سوطاً قال : بسم الله ، فلما ضرب الثانى قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، فلما ضرب الثالث قال : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فلما ضرب الرابع قال : (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) فضرب تسعة وعشرين سوطاً . وكانت تكة سراويله حاشية ثوب ، فانقطت ، فنزلت السراويل إلى عانته فرمى أحمد طرفه الى السماء وحرك شفتيه فما كان بأسرع أن بقى السراويل لم ينزل ، فدخلت عليه بعد سبعة أيام فقلت : يا أبا عبدالله رأيتك تحرك شفتيك فأى شىء قلت ؟ قال قلت : اللهم انى اسألك باسمك الذى ملأت به العرش إن كنت تعلم أنى على الصواب فلا تهتك لى سترا .

وقال شاباص النائب : لقد ضربت احمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربتها فيلًا لهدته .

وقال عبدالله بن أحمد : كنت كثيراً ما أسمع والدى يقول : رحم الله أبا الهيثم ، غفر الله لأبى الهيثم ، عفا الله عن أبى الهيثم فقلت : يا أبت من أبو الهيثم ؟ فقال : لما أخرجت للسياط ، ومدت يدى للعقابين اذا أنابشاب يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى : تعرفنى ؟ قلت لا ، قال : أنا أبو الهيثم العيار ، اللص الطرار ، مكتوب فى ديوان امير المؤمنين أنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق — أي في فترات — قال : وصبرت فى ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت فى طاعة الرحمن لأجل الدين قال الامام أحمد : فضربت ثمانية عشر سوطاً بدل ما ضرب ثمانية عشر ألفاً ، وخرج الخادم فقال : عفا عنه امير المؤمنين .

قال ابو تراب : العقابان خشبتان يمد بينهما المجلود ، ولم يذكر هذا المعنى المعجم الوسيط ولا محيط المحيط وانما وجدته في كتاب ابن منظور فليستدرك .

ومرض الامام أحمد تسعة أيام ، وتسامع الناس فأقبلوا لعيادته ، ولزموا الباب الليل والنهار ، يبيتون فربما أذن للناس فيدخلون أفواجاً يسلمون عليه فيرد عليهم بيده .

ووضىء فأمر بتخليل الأصابع ، واجتمع الناس يوم قبض حتى ملأوا السكك والشوارع ، فلما توفى فى صدر النهار من يوم الجمعة صاح الناس وعلت الأصوات

بالبكاء ، حتى كأن الدنيا ارتجت ، وما خلف إلا ست قطع أو سبعاً قدر دانقين كانت فى خرقة يمسح بها وجهه .

قلت : الدانق سدس الدرهم وهو حبة خرنوب وثلثا حبة خرنوب لأن الدرهم الاسلامى ست عشرة حبة خرنوب وهو عند اليونان حبة خرنوب لأن درهمهم اثنتا عشرة حبة خرنوب .

وكان بعض ولد الفضل بن ربيع أعطى أحمد بن حنبل وهو فى الحبس ثلاث شعرات ، فقال : هذا من شعر النبى ﷺ ، فأوصى أبو عبدالله عند موته ان يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه ففعل ذلك به عند موته .

وقال ابنه صالح قال لى أبى جئنى بالكتاب الذى فيه حديث « أنه كان يكره الأنين » فقرأته عليه ، فلم يئن إلا فى الليلة التى مات فيها .

وقال ابنه عبدالله لما حضرت الوفاة أبى جلست عنده وبيدى الخرقة لأشد بها لحيته فجعل يعرق ، ثم يفيق ، ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا : (لا بعد) (لا بعد) ففعل هذا مرة وثانية ، فلما كان فى الثالثة قلت له : يا أبت أى شىء هذا قد لهجت به فى هذا الوقت تعـــرق حتى نقول قد قضيت ثم تعود فتقول : (لا بعد) فقال : يا بُنَىَّ ما تدرى ما قلت ، قلت : لا ، فقال ابليس وهو قائم حذائى عاض على أنامله : يا أحمد فتنى ، فقلت : لا ، بعد حتى أموت .

وفى صفة الصفوة لابن الجوزى : قال صالح بن الامام أحمد بن حنبل : ورد على أبى كتاب على بن الجهم أن أمير المؤمنين المتوكل قد وجه اليك يعقوب القوصرة ومعه جائزة ، ويأمرك بالخروج فالله الله أن تستعفى أو ترد المال فيتسع القول لمن يبغضك .

فلما كان من الغد ، جاء يعقوب فدخل على أحمد بن حنبل فقال : يا أبا عبدالله ، ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول : قد أحببت ان آنس بقربك ، وأن أتبرك بدعائك ، وقد وجهت اليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك ، وأخرج صرة فيها بدرة ــ نحو مئتى دينار والباقى دراهم صحاح ــ فلم ينظر اليها ، ثم شدها يعقوب ، وقال له : أعود غدا حتى أبصر ما تعزم عليه ، وانصرف فجئت باجانة خضراء فكببتها على البدرة .

قال ابو تراب : الإجانة هى الزهرية ، وهى التى يقال لها المركن ، والبدرة هى عشرة آلاف درهـــم .

فلما كان عند المغرب قال أحمد : ياصالح خذ هذا صيره عندك ، فصيرتها عند رأسى فوق البيت ، فلما كان السحر اذا هو ينادى : ياصالح ، فقمت فصعدت اليه ، فقال : ما نمت ليلتى هذه ، فقلت : لم يأأبت ، فجعل يبكى ، وقال : سلمت من هؤلاء حتى اذا كان فى آخر عمرى بليت بهم ، قد عزمت على أن أفرق هذا الشىء اذا أصبحت ، فقلت : ذاك اليك ، فلما أصبح قال : جئنى يا صالح بميزان ، وقال : وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار ، ثم قال : وجه الى آل فلان يفرق فى ناحيته ، والى آل فلان ، فلم يزل يفرقها حتى نفضت الكيس ، ونحن فى حالة الله تعالى بها عليم ، فجاء بُنَىٌّ لى فقال : يا أبه أعطنى درهماً فنظر الى فأخرجت قطعة فأعطيته ، وكتب صاحب البريد انه قد تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدق بالكيس .

قال على بن الجهم فقلت : يا أمير المؤمنين قد علم الناس أنه قد قبل منك ، وما يصنع أحمد بالمال ، وانما قوته رغيف ، فقال لى : صدقت يا على .

قال صالح : ثم أخرجنا ليلاً معنا حراس معهم النفاطات ـــ يعنى السرج ـــ فلما أضاء الفجر قال لى : يا صالح معك دراهم ؟ قلت : نعم قال : أعطهم فأعطيتهم درهما درهما ، ودخلنا العسكر وأبى منكس الرأس ، ثم أنزل فى دار ايتاخ وجاء على ابن الجهم فقال : قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف ، مكان التى فرقها ، وأمر أن لا يعلم بذلك فيغتم ، ثم جاءه أحمد بن معاوية فقال : ان أمير المؤمنين يكثر ذكرك ويشتهى قربك ، وتقيم ههنا تحدث ، فقال أنا ضعيف ، ثم حمل الى دار الخلافة فأخبرنى بعض الخدم ان المتوكل كان قاعداً وراء ستر فلما دخل أحمد ابن حنبل الدار قال لأمه : يا أماه قد أنارت الدار ، ثم جاء خادم بمنديل فيه ثياب فألبس وهو لا يحرك يديه فلما صار الى الدار نزع الثياب عنه ثم جعل يبكى ثم قال : سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى اذا كان فى آخر عمرى بليت بهم ، ثم قال : ياصالح وجه هذه الثياب الى بغداد تباع وتصدق بثمنها ولا يشترى أحد منكم شيئاً منها .

وأجريت له مائدة وثلج ، وضرب الخيش — يعنى حول الدار للتبريد — فلما رآه تنحى فألقى نفسه على مضربة له ، وجعل يواصل ويفطر فى كل ثلاث على تمر شهريز — وهو نوع منه مشهور — فمكث كذلك خمسة عشر يوما ، ثم جعل يفطر ليلة وليلة ولا يفطر إلا على رغيف ، وكان اذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكى لا يراها فيأكل من حضر ، وأمر المتوكل ان تشترى لنا دار فقال : يا صالح لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بينى وبينك ، ثم خرجت وخلفت عنده أخى عبدالله فإذا به قد جاء بثيابى وقال انه أمره بالخروج قائلا : أنتم كنتم آفتى فلولاكم لمن كانت توضع هذه المائدة ؟ ثم مرض فأذن له المتوكل بالعودة إلى بغداد .

قال أبو بكر المروزى : رأيت الامام احمد بن حنبل فى النوم ، كأنه فى روضة وعليه حلتان خضراوان وعلى رأسه تاج من النور ، واذا هو يمشى مشية لم أكن أعرفها : فقلت : يا أحمد ما هذه المشية التى لم أعرفها لك ؟ فقال : هذه مشية الخدام فى دار السلام ، فقلت : ما هذا التاج الذى أراه على رأسك ؟ فقال : إن ربى عز وجل أوقفنى وحاسبنى حسابا يسيرا ، وحبانى وقربنى ، وأباحنى النظر اليه ، وتوجنى بهذا التاج ، وقال لى : يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به كما صبرت على الأذى ، ولم ترجع عن أن القرآن كلامى غير مخلوق .

وعن أبى يوسف ابن لحيان قال : لما مات احمد بن حنبل رأى رجل فى منامه كأن على كل قبر قنديلا ، فقال : ما هذا ؟ فقيل له : أما علمت أن أحمد بن حنبل كان نوراً لأهل القبور ، نور الله قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم ، وقد كان فيهم من يعذب فرحمه الله بسببه .

ولما ماتت أم القطيعى أحد رواة المسند دفنها فى جوار احمد بن حنبل فرآها بعد ليال ، فقال : ما فعل الله بك ؟ فقالت : يابنى رضى الله عنك فلقد دفنتنى فى جوار رجل تنزل على قبره فى كل ليلة رحمة تعم جميع أهل المقبرة وأنا منهم .

هذا وترجمة هذا الامام واسعة الذيل وقد ألفت فيها كتب مفردة وحسبنا فى معرض الاقتضاب أن نشير الى أهم مصادرها فمنها : تاريخ ابن عساكر وسير النبلاء للذهبى ، وتاريخ بغداد والحلية لأبى نعيم وتذكرة الحفاظ للذهبى وتهذيب التهذيب لابن حجر ، والبداية لابن كثير ومناقبه لابن الجوزى ، ووفيات ابن خلكان ،

وطبقات الحنابلة ، والشذرات ، والوافى ، والكاشف ، ومرآة الجنان ، والمختصر فى أخبار البشر ، وتاريخ الاسلام للذهبى ، وتهذيب الكمال للمزى ، والعطاء المعجل في طبقات الامام المبجل وغيرها .

وقد رحل الامام احمد فى طلب الحديث والعلم الى الكوفة والبصرة ومكة المكرمة والمدينة النورة ، واليمن والشام والجزيرة والثغور، والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف .

ومن كتبه المطبوعة المسند الكبير وهو من أعظم كتب الحديث لا يضاهيه إلا مسند بقى بن مخلد ، وطبع أخيراً بأنقرة كتاب العلل فى الحديث وهو الذى أشار اليه الحافظ العراقى فى الفيتة فى المصطلح ، وكتاب الزهد ، وله كتاب الناسخ والمنسوخ ، وكتاب الرد على من ادعى التناقض فى القرآن ، وكتاب التفسير ، وكتاب المناسك ، وطبع كتاب فضائل الصحابة ، وكتاب الأشربة ، وكتاب المسائل أمّا كتاب المعرفة والتعليل والجرح والتعديل ، فأخشى أن يكون هو كتاب العلل وكتاب التأريخ ، ووصفوا احمد بن حنبل فقالوا : كان أسمر اللون حسن الوجه طويل القامة يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء . وفى أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن ومات قبل مناظرة احمد بن حنبل وسجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهرا ثم اطلق سنة عشرين ومئتين ولم يصبه شر زمن الواثق ، وأكرمه المتوكل فتوفى وهو متقدم عنده مستشار رحمه الله رحمة واسعة .

قال ابو تراب : وترجمته في تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٢٨ وحلية أبى نعيم ج ٩ ص ١٦١ وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٢ وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٩٠ وابن خلدون ج ١ ص ١٧ والبداية ج ١٠ ص ٣٢٥ .

البيهقي

أبو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى الخُسْرُوجَرديُّ هو الحافظ الكبير الفقيه الشافعى الشهير صاحب كتاب السنن الكبرى الذى طبع بالهند فى عشر مجلدات كبار وهو من أعظم كتب الحديث .

وكان مولده فى شعبان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة وتوفى فى العاشر من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربع مئة بنيسابور ، ونقل الى بيهق رحمه الله تعالى وهى قرى مجتمعة بنواحى نيسابور على عشرين فرسخاً منها ، واليها ينسب ومن قراها خُسْرَوْجِردْ ضبطها ابو الفداء فى تقويم البلدان والسمعانى فى الأنساب ، وابن الأثير فى اللباب .

وكان الامام البيهقى أحد زمانه وفرد أقرانه فى الفنون ، وهو من كبار أصحاب الإمام الحاكم أبى عبدالله ابن البيع فى الحديث ، ثم الزائد عليه فى أنواع العلوم ، هكذا ذكره النواب الصديق القنوجى فى التاج المكلل .

وأخذ الفقه عن ابى الفتح ناصر بن محمد العمرى المروزى ، وغلب عليه علم الحديث واشتهر به ، ورحل فى طلبه الى العراق ، والجبال ، والحجاز ، وسمع بخراسان من علماء عصره ، وكذلك ببقية البلاد التى انتهى اليها .

وشرع فى التصنيف ، فصنف كثيراً حتى قيل : تبلغ تصانيفه ألف جزء . وهو أول من جمع نصوص الامام الشافعى فى عشر مجلدات ، ومن مشهور مصنفاته السنن الكبير ، والسنن الصغير ، ودلائل النبوة ، والسنن والآثار ، وشعب الايمان ، ومناقب الشافعى المطلبى ، ومناقب احمد بن حنبل ، وغير ذلك .

وكان البيهقى قانعاً من الدنيا بالقليل ، وقال امام الحرمين فى حقه : ما من شافعى المذهب إلا وللشافعى عليه منة إلا أحمد البيهقى فان له على الشافعى منة ،

وكان من أكثر الناس نصرا لمذهب الشافعى ، وطلب الى نيسابور لنشر العلم فأجاب وانتقل اليها .

وكان على سيرة السلف الصالح ، وأخذ عنه الحديث جماعة من الاعيان منهم زاهر الشحامى ، ومحمد الفراوى ، وعبدالمنعم القشيري وغيرهم .

قال ابو تراب :

ومن أنفس كتبه كتاب الأسماء والصفات ، وطالما تمنيت لو جرد من تعليقات الكوثرى ، كما تمنى ذلك أكثر السلفيين ، كما لو عرى كتاب السنن من تعليقات التركماني المعنونة بالجوهر النقي، وللوالد رحمة الله رد عليه فى الانتصار لأهل الحديث سماه « الحجر البقى لكسر الجوهر النقى » .

قال الذهبى فى سير النبلاء : لو شاء البيهقى أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف ، وله كتاب المعارف والآداب والترغيب والترهيب والمبسوط والقراءة خلف الامام والبعث والنشور والاعتقاد وفضائل الصحابة والمبسوط عشر مجلدات وهو فى نصوص الشافعى وبسط آرائه وتأييدها .

قال ابو تراب : وترجم عنه الذهبي في سير النبلاء والأسنوى في الطبقات والصفدى في الوافي والنووى في المبهمات والطيبى في أسماء الرجال وابن الجوزى في المنتظم ج ٨ ص ٢٤٢ وابن خلكان في الوفيات ج ١ ص ٢٠ واليافعى في المرآة وابن كثير في البداية والسبكي في الطبقات ج ٣ ص ٣ والذهبي في تذكرة الحفاظ وابن العماد في الشذرات ج ٣ ص ٣٠٤ وابن الأثير في الكامل واللباب ج ١ ص ١٦٥ ومعجم ياقوت ج ٢ ص ٣٤٦ .

أبـــو داوود

الإمام أبو داوود سليمان بن الاشعث بن اسحاق الأزدى السجستانى أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله ، وكان فى الدرجة العالية من النسك والصلاح ، طوف البلاد ، وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين ، والمصريين والجزريين ، وجمع كتاب السنن — وهو من الكتب الستة — وعرضه على الامام أحمد بن حنبل فاستجاده واستحسنه ، وعده الشيخ أبو اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء من جملة أصحاب الامام أحمد بن حنبل .

وقال ابراهيم الحربى : لما صنف أبو داوود كتاب السنن ألين لأبى داوود الحديث كما ألين لداوود الحديد .

وكان يقول : كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمئة ألف حديث ، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعنى « السنن » جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمئة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ،ويكفى الانسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث .

احدها : قوله ﷺ : إنما الأعمال بالنيات .

والثانى : قوله ﷺ : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

والثالث : قوله ﷺ : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه .

والرابع : قوله عليه السلام : الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه .

وجاء سهل بن عبدالله التسترى فقيل له : يا أبا داوود هذا سهل بن عبدالله قد جاءك زائراً ، فرحب به وأجلسه ، فقال له : يا أبا داوود لى إليك حاجة ، قال :

وما هى ؟ قال : حتى تقول : قضيتها مع الامكان قال : قال قد قضيتها مع الامكان ، قال : أخرج لسانك الذى حدثت به عن رسول الله ﷺ حتى أقبله ، قال : فأخرج أبو داوود لسانه فقبله التسترى .

وكانت ولادة أبى داوود سنة اثنتين ومئتين ، وقدم بغداد مراراً ، ثم نزل الى البصرة ، وتوفى بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومئتين رحمه الله .

وكان ولده ابو بكر عبد الله بن أبى داوود من أكابر الحفاظ ببغداد عالماًمتفقاً فهو إمام ابن إمام ، وله كتاب المصابيح ، شارك أباه فى شيوخه بمصر والشام ، ولمع ببغداد وخراسان ، وأصبهان ، وسجستان وشيراز وتوفى سنة ست عشرة وثلاثمئة . واحتج به ممن صنف الصحيح أبو على الحافظ النيسابورى ، وابن حمزة الأصبهانى . والسجستانى نسبة إلى سجستان الاقليم المشهور ، وقيل : بل نسبة الى سجستانة قرية من قرى البصرة .

وكان ابو داوود امام أهل الحديث فى زمانه وهو حافظ فقيه رحالة سمع الكثير ، وكتاب السنن له أحد الكتب الستة الشهيرة . وله كتاب المراسيل وكتاب مسائل الامام أحمد وكلها مطبوع ومن المخطوطات كتاب البعث ، وتسمية الاخوة ، وللجلودى كتاب فى أخباره .

قال ابو تراب : وترجمته في تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢٤٤ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ج ٢ ص ١٥٢ ، وتاريخ بغداد للخطيب ج ٩ ص ٥٥ ، وصفة الصفوة لابن الجوزى ، وسير النبلاء للذهبى ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ، وتهذيب الاسماء للنووى ، والبداية لابن كثير والمنتظم لابن الجوزى ، وطبقات الحنابلة لابن الفراء ص ١١٨ وطبقات الشافعية للسبكى ، والكامل لابن الأثير ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وأخبار البشر لأبى الفداء ، وابن خلكان ج ١ ص ٢١٤ والذريعة ج ١ ص ٣١٦ .

النســـائى

الإمام النسائى هو الحافظ ابو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب منسوب الى مدينة نساء بخراسان ولد بها فى سنة خمس عشرة ومئتين ، وقيل : سنة أربع عشرة ومئتين .

وخرج من هذه المدينة جماعة من الأعيان . قال ابن خلكان : رأيت بخطى في مسوداتى ان النسائى ولد بهذه البلدة .

وكان النسائى إمام عصره فى علم الحديث ، وكتاب السنن له من الكتب الستة المشهورة ، والذى بأيدى الناس هو السنن الصغرى ، وله كتاب السنن الكبرى طبع منه جزء بعناية صديقنا الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبى ببومباى .

وكان الإمام النسائى سكن بمصر وانتشرت بها تصانيفه ، وأخذ عنه الناس .

وسمع النسائى الكثير . ورحل الى نيسابور ، والعراق ، والشام ، ومصر والحجاز ، والجزيرة ، وروى عنه خلق ، قال الدارقطنى : امتحن النسائى بدمشق فأدرك الشهادة ، وتوفى يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمئة بمكة ، وقيل : بالرملة من أرض فلسطين .

قال ابو تراب : وقيل أنه مات فى شعبان ، وذكر الدارقطنى أنه لما امتحن قال : احملونى إلى مكة فحمل اليها فتوفى بها ودفن بين الصفا والمروة .

وقيل : استوطن مصر فحسده مشايخها فخرج الى الرملة فضربوه فى الجامع فى مسائل التفضيل بين الصحابة وبين معاوية فأمسك وأخرج عليلا فمات ودفن ببيت المقدس ، وقيل : خرج حاجا فمات بمكة المكرمة .

وكان قاضيا يلقب بشيخ الاسلام ، ومن تصانيفه الخصائص فى فضائل على ابن أبى طالب وأهل البيت ، وكتاب الضعفاء والمتروكين فى علم اسماء الرجال والجرح والتعديل ، وكتاب المناسك ، وكتاب جمع مسند مالك بن أنس ومسند على بن أبى طالب .

وأما كتاب السنن الصغرى من الصحاح الستة فهو المجتبى وكتاب الضعفاء مطبوع بالهند قديما جدا .

قال الحافظ ابو نعيم الأصفهانى : لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول ، وأكثر رواياته فى كتاب الخصائص فى فضل على بن أبى طالب وأهل البيت عن الامام أحمد بن حنبل ، وقيل له : ألا تصنف كتابا فى فضائل الصحابة فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن على كثير ، فأردت أن يهديهم الله بهذا الكتاب ، وكان الامام النسائى من الناسكين العباد يصوم يوما ويفطر يوماً ويكثر الجماع .ويضرب به فى ذلك المثل .

قال الحافظ ابن عساكر : وكان له أربع زوجات يقسم لهن . وله سرارى . وفى تاريخ مصر لأبى سعيد بن يونس : انه كان إماماً حافظاً ثبتاً ، وكان خروجه من مصر فى ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثمئة .

وقال محمد بن اسحاق الأصبهانى : سمعت مشايخنا بمصر يقولون : إنه فارق مصر فى آخر عمره وخرج إلى دمشق .

قال ابو تراب : وضربه الأعداء هناك بالدوى فى خصاه وداسوه رحمه الله واتهم بالتشيع حين قال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأسا برأس وما أعرف له فضيلة الا لا أشبع الله بطنك ذكره ابن كثير فى البداية ج ١١ ص ١٢٣ والسبكى فى طبقات الشافعية ج ٢ ص ٨٣ والذهبى فى تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٤١ وابن العماد فى شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٣٩ والذهبى فى سير النبلاء والعاملى فى أعيان الشيعة وابن حجر فى التهذيب والذهبى فى العبر ج ٢ ص ١٢٣ والخزرجى فى الخلاصة ج ١ ص ٦ وهو فى الرسالة المستطرقة ص ١٠ .

الترمذى

الإمام الترمذى هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمى الضرير البوغى الحافظ المشهور أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث . صنف كتاب الجامع والعلل تصنيف رجل متقن . وبه كان يضرب المثل . وهو تلميذ الامام البخارى حافظ الدنيا أبى عبد الله محمد بن اسماعيل . وشاركه فى بعض شيوخه ، وتوفى الترمذى لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين سنة تسع وسبعين ومئتين ببلدة ترمذ . وقال السمعانى فى كتاب الأنساب : توفى بقرية بوغ فى سنة خمس وسبعين ومئتين ، وبوغ قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها .

ويجوز فى الترمذى فتح التاء وكسرها وضمها .

ومن العجب أن الامام ابن حزم لم يعرف الترمذى ، وقد ولد سنة تسع ومئتين ، وكتابه الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذى أحد الكتب الستة المشهورة المتداولة المحفوظة المشروحة وهو يثلثها أو يربعها ، وقد نقل عنه أنه قال : قد صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز والعراق وخراسان ، فرضوا به ، ومن كان فى بيته فكأنما النبى فى بيته يتكلم .

ومن مصنفاته الشمائل النبوية والخصائل المصطفويةوتعرف بشمائل الترمذى نسبة اليه ، وعليها شروح كثيرة .

وقد خلط بعض المتأخرين من معاصرينا بين الترمذى هذا وبين الترمذى الحكيم المؤذن صاحب نوادر الأصول وهو من علماء القرن الثالث واسمه محمد بن على وترجمته في لسان الميزان ج ٥ ص ٣٠٨ ، ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١٧٠ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٩٣٨ والرسالة ص ٤٣ .

وفى كتاب نكت الهميان فى نكت العميان لصلاح الدين الصفدى : أبو عيسى الترمذى الحافظ مصنف الكتاب الجامع سمع خلقاً كثيرا ، وأخذ العلم عن الامام البخارى ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر .

وقال أصحاب التواريخ انه من أئمة علماء الحديث ، وحفاظه ، وعمى فى آخر عمره ، وكان يضرب به المثل فى الحفظ .

قال ابو تراب : والترمذى نسبة الى بلد على نهر جيحون ، ومن تصانيفه كتاب التاريخ وكتاب العلل فى الحديث وهو مؤرخ فقيه صاحب دراية تامة وسمع منه شيخه البخارى . وله رسالة فى الخلاف والجدل وترجم عنه كثيرون . منهم الذهبى فى التذكرة ج ٢ ص ١٨٧ وسير النبلاء . وابن حجر فى تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٨٧ وابن كثير فى البداية . وابن النديم فى الفهرست ص ٢٣٣ وابن عبد الهادى فى تذكرة الحفاظ ، وابن الأثير فى اللباب ج ١ ص ١٧٤ والسمعانى فى الأنساب ص ٩٥ والذهبى فى ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٧ وابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ١ ص ١٨٤ والطيبى فى كتاب الرجال ، والصفدى فى الوافى واليافعى فى مرآة الجنان ، وأبو الفداء فى أخبار البشر ، وابن الأثير فى الكامل ، وابن العماد فى شذرات الذهب ونكت الهميان ص ٢٦٤ .

ويمتاز كتابه دون سائر الكتب بتصحيح الحديث تصريحاً ، وبيان مذاهب الصحابة ، وعمل أهل العلم والفقهاء .

ابن مــاجــة

الإمام ابن ماجة مصنف كتاب السنن فى الحديث هو ابو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعى بالولاء القزوينى ، الحافظ المشهور ، وكان اماماً فى الحديث عارفاً بعلومه وجميع ما يتعلق به ، ارتحل الى العراق والبصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام والرى ومصر لتحصيل علم الحديث وكتبه ، وله تفسير القرآن الكريم ، وكتاب التاريخ وهو مليح ، وكتابه فى الحديث احد الكتب الستة وهو سادسها ، وأحل بعضهم سنن الدارمى محله .

وكانت ولادة ابن ماجة سنة تسع ومئتين وتوفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين ومئتين ، وصلى عليه أخوه ابو بكر وتولى دفنه أخواه ابو بكر وعبد الله وابنه عبد الله .

ومحدثو الهند يضبطون (ماجة) بالتاء المربوطة فى الآخر ، وعلماء العرب يجعلونها هاء مفتوحة ، وقد أشار الى ذلك محشى الترغيب والترهيب للمنذرى ورأيت فى كتاب التاج المكلل للقنوجى قال : ماجة بفتح الجيم والميم وبينهما ألف وفى الآخر هاء ساكنة . وقد حقق هذا الضبط فؤاد عبد الباقى فى مقدمة طبعته للسنن .

والربعى نسبة الى ربيعة وهى اسم لعدة قبائل لا أدرى إلى أيها ينسب ابن ماجة ، والقزوينى نسبة الى مدينة شهيرة بالعراق خرج منها جماعة من العلماء .

ومن شروح كتاب ابن ماجة « انجاح الحاجة » لعبد الغنى الدهلوى ، ومصباح الزجاجة للجلال السيوطى ، أما تاريخ ابن ماجة فهو تاريخ بلدة قزوين . وكان مؤرخا الى كونه أحد الائمة فى الحديث ، ومفسراً وحافظاً ، وقد سمع الكثير .

وفى القاموس المحيط للفيروز ابادى ما نصه : ماجة لقب والده لا جده ، وفى تاريخ العروس للزبيدى وهناك قول آخر وهو أن ماجة اسم لأمه .

وفى سنن ابن ماجة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ترجمة له اشتملت على صحة القول : « ابن ماجه » بالهاء ، و « ابن ماجة » بالتاء المربوطة .

وترجم عن ابن ماجة الذهبى فى سير النبلاء ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٨٩ ، وابن الجوزى فى المنتظم ج ٥ ص ٩٠ ، وابن حجر فى تهذيب التهذيب ج ٩ ص٥٣٠ ، والمزى فى تهذيب الكمال ، وابن كثير فى البداية ، وابن الأثير فى الكامل ، واليافعى فى مرآة الجنان ، وابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ، وحاجى خليفة فى كشف الظنون ص ٣٠٠ والطيبى فى اسماء الرجال ، والصفدى فى الوافى ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٨٤ ، والذهبى فى دول الاسلام ، وابو الفداء فى أخبار البشر ، وابن العماد فى شذرات الذهب ، وطاش كبرى زاده فى مفتاح السعادة والعجب ان لم يذكره الخطيب فى تاريخ بغداد فليستدرك .

الإمـــام مســـلم

الإمام مسلم صاحب الصحيح هو ابو الحسين ابن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أحد الائمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، رحل الى الحجاز والعراق والشام ومصر ، وسمع أحمد بن حنبل الإمام ، واسحاق بن راهويه وروى عنه الترمذى وكان من الثقات . قدم بغداد غير مرة . فروى عنه أهلها وآخر قدومه اليها سنة تسع وخمسين ومئتين .

وقال الإمام مسلم : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمئة الف حديث مسموعة . وقال الحافظ ابو على النيسابورى : ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم فى علم الحديث .

وقال الخطيب البغدادى : كان مسلم يناضل عن الامام البخارى حتى أوحش ما بينه وبين الذهلى بسببه ولما استوطن البخارى نيسابور أكثر مسلم من التردد عليه ولما هجر الناس البخارى بسبب الإمام الذهلى لم يتخلف مسلم عن زيارته ، بل ترك الذهلى وأخذ الرداء فوق عمامته فى آخر مجلسه وقام على رؤوس الناس وخرج من مجلسه وجمع كل ماكتب منه وبعث به على ظهر حمال الى الذهلى ، فاستحكمت بذلك الوحشة بينهما وتخلف عنه وعن زيارته .

وتوفى مسلم عشية يوم الأحد ودفن بنصر اباد ظاهر نيسابور يوم الاثنين لخمس وقيل لست بقين من شهر رجب الفرد سنة احدى وستين ومئتين وعمره خمس وخمسون سنة .

قال النواب فى التاج المكلل : هكذا وجدته فى بعض الكتب ولم أر أحدا من الحفاظ ضبط مولده ولا تقدير عمره وأجمعوا على أنه ولد بعد المئتين .

قال ابن خلكان : وكان شيخنا ابن الصلاح يذكر مولده وغالب ظنى أنه قال : سنة اثنتين ومئتين ، ثم كشفت ما قاله ابن الصلاح فاذا هو فى سنة ست ومئتين نقل ذلك من كتاب علماء الأمصار تصنيف الحافظ الحاكم النيسابورى .

والذهلى المذكور هو أحد الحفاظ الأعيان روى عنه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجة وكان ثقة مأمونا ، والبخارى لم يترك عنه الرواية على رغم الوحشة بينهما بسبب الخلاف فى مسألة خلق اللفظ المشهورة فقد روى عنه فى صحيحه فى نحو ثلاثين موضعا فى الصوم .والطب والجنائز والعتق وغيرها وأبهم فى اسمه قال ابو تراب : وترجمته في التذكرة ج ٢ ص ١٠٠ والتهذيب ج و ص ٥١١ وطبقات أبى يعلى ج ١ ص ٣٢٧ وتاريخ الخطيب ج ٣ ص ٣١٥ .

وقد جمع الإمام مسلم فى صحيحه اثنى عشر ألف حديث كتبها فى خمس عشرة سنة وهو أحد الصحيحين المعوّل عليهما عند أهل السنة فى الحديث وقد شرحه كثيرون .

ومن تصانيفه المسند الكبير ، الجامع ، والاسماء والكنى ، والأفراد والوحدان وهذا مطبوع بالهند والأقران ومشايخ الثورى . وتسمية شيوخ مالك وسفيان وشعبة ، وكتاب المخضرمين ، وكتاب أولاد الصحابة ، وأوهام المحدثين ، والطبقات وأفراد الشاميين والتمييز ، والعلل ، وقد أخذ الحديث عن البخارى .

قال أبو تراب : وترجمته مبسوطة في كتب كثيرة منها تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٠ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٥٠ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢٦ وابن خلكان ج ٢ ص ٩١ وطبقات الحنابلة ج ١ ص ٣٣٧ والبداية ج ١١ ص ٣٣ وفهرست ابن خير ص ٢١٢ .

الإمــام البخــارى

الإمام البخارى حافظ الدنيا على الإطلاق وإمام الحديث بالاجماع ، هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفى أبو عبد الله الفقيه المؤرخ المشارك فى علوم كثيرة ، حتى الخط فقد قرأت فى طبقات الخطاطين انه كان جميل الخط متقنا لفنه وأصوله ، وهذه الفائدة لا تجدها فى كتب التراجم والتاريخ .

ولد البخارى لثلاث عشرة ليلة أو اثنتى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ١٩٤ هـ ورحل فى طلب العلم الى كافة محدثى الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها وبالحجاز والشام ومصر وفى ذلك قيل :

فطـوراً حجازيـا وطـوراً يمانيـا وطـوراً عراقيـا وطـوراً أتـى مصـرا

وتوفى ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومئتين ، ودفن بقرية خرتنك على فرسخين من سمر قند ، وكان مقيما فى بلدة بخارى فتعصب عليه جماعة من الفقهاء حسداً ورموه بالتهم فأخرج الى تلك القرية ، وكان يقول ليلة وفاته : اللهم ان الأرض ضاقت علىّ بما رحبت فاقبضنى اليك ، وكان راكباً على حماره ومعه الإمام مسلم فلما وصل الى خرتنك قال : انزلونى فمات بها فى تلك الليلة . وقيل انه مكث بخرتنك نحو شهر .

وكان حبر الاسلام لا يبارى فى حفظ حديث رسول الله ﷺ . وكان يحفظ ثلاثمئة ألف حديث بأسانيدها ومتونها وعللها واسماء رواتها ورجالها وأحوالهم وما يتعلق بتوثيقهم وتضعيفهم لذلك وصفوه بجبل الحفظ .

ولد فى بخارى بعد صلاة الجمعة ونشأ يتيما فى حضن أمه وقام برحلة طويلة سنة عشر ومئتين فى طلب الحديث وسمع من نحو ألف شيخ وجمع نحو ستمئة ألف

حديث اختار منها فى صحيحه ما وثق برواته وهو أول من وضع فى الاسلام كتابا على هذ ا النحو ، كتابه فى الحديث أوثق الكتب المعوّل عليها .

وتوفى ليلة السبت بعد صلاة العشاء ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر ، وكان أمير خراسان هو الذى آذاه فلما خرج الأمير حاجاً ووصل الى بغداد حبسه أخو المعتمد الخليفه فمات فى الحبس .

وكان البخارى نحيف الجسم لا بالطويل ولا بالقصير أبيض لايطيق النظر فى الشمس ويكتب فى ضوء القمرحجت به أمه فلما رأى بمكة حلقات المحدثين أحب أن يجاورها فتركته أمه ورجعت الى بخارى مع أخيه أحمد ودعت الله تعالى أن يرد على ابنها البصر وقد ذهبت عيناه فى الصغر فلما كان بالليل رأت ابراهيم الخليل عليه السلام يقول لها : ان الله قد رد على ابنك البصر فأصبح البخارى يبصر ، وكانت أمه مستجابة الدعوة امرأة صالحة تقية .

وصنف الجامع الصحيح وكتبه بمكة فما كان يكتب حديثا الا اغتسل بماء زمزم وطاف وصلى ركعتين ، وروى عنه انه قال : صنفته فى ست عشرة سنة وخرجته من ستمئة ألف حديث وجعلته حجة فيما بينى وبين الله ، وسمع صحيح البخارى تسعون ألف رجل ، وقدم البخارى بغداد فاعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده فى علم الدراية والرواية .

حكى الحميدى فى جذوة المقتبس والخطيب فى تاريخ بغداد ان البخارى لما قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا اليه وعمدوا الى مئة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر ودفعوا إلى عشرة رجال الى كل رجل عشرة احاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخارى وأخذوا الموعد للمجلس فحضر جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها من البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة المتون والأسانيد ؟ فقال البخارى : لا أعرفه . فسأله عن آخر ؟ فقال : ما أعرفه فما زال يلقى عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من العشرة الأحاديث التى عنده والبخارى يقول فى كل ذلك : لا أعرفه .

وكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم ضد ذلك يقضى على البخارى بالعجز والتقصير وقلة الفهم .

ثم انتدب رجل آخر من العشرة فصار يسأله عن الأحاديث العشرة التى عنده . ويقول البخارى فى ذلك لا أعرفه ، ثم انتدب الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة المئة والبخارى لا يزيدهم على قوله لا أعرفه .

فبعض الناس شكوا فى علم البخارى وبعضهم قالوا : انه فهم ما فعلناه من القلب والإبدال ، وبينما هم كذلك اذا البخارى التفت الى الرجل الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا واسناده كذا ، وأما حديثك الثانى فاسناده كذا ومتنه كذا وكذلك الثالث والرابع على الترتيب والولاء حتى صحح أحاديثه العشرة كلها ، يرد كل متن الى إسناده وكل اسناد إلى متنه . وفعل كذلك بإخوانه الآخرين رد متون أحاديثهم الى أسانيدها واسانيدها الى متونها . فعجب الناس وأقروا له بالفضل والحفظ والدراية التامة النادرة وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول الكبش النطاح .

قال الإمام مسلم : ما عجبت من صنيع البخارى فى تصحيح أحاديثهم لأنه كان حافظاً ولكنى عجبت من حفظه ترتيب الأحاديث التى ألقوها عليه فقد أجاب عن كل حديث بحسب الترتيب الذى أتوا به . الأول فالثانى حتى المئة ، فاعجبوا من رجل تلقى عليه مئة حديث وهو ساكت ثم يجيب عنها بالترتيب الذى ألقيت عليه به ، ان هذا لحفظ خارق وذكاء نادر ، وكان إذا سئل عن رجل من الرواة يجيب عنه ويسرد أخباره كأنما عاش معه .

وكان المحدثون اذا مرّ بهم البخارى وهم فى حلقات الدرس والاملاء تسقط الكتب من أيديهم هيبة له ، وربما تلجلجوا فى القراءة والكتاب بين أيديهم ، أما هو فلا يتعثر وهو يلقى ويملى من حفظه كأنما الدفاتر أمام عينيه ، وكان يفجع خفظه .

وجاء الامام مسلم وهو مسجى بثوب الكفن ، فكشف عن وجهه وقبّل ما بين عينيه وأنشد :

قد عشت تفجع بالأحبة كلهم ووفاة شخصك لا أبا لك أفجع

ومن مصنفاته التاريخ الكبير والأوسط والصغير وخلق أفعال العباد والاسماء والكنى والسنن فى الفقه والأدب المفرد والضعفاء والمسند الكبير وهو محفوظ عند الروس لا يستطاع الاطلاع عليه .

وأخذ البخارى علم الحديث سماعا من نحو ألف شيخ محدث منهم الإمام أحمد بن حنبل وعلي بن المدينى ويحيى بن معين وأمثالهم ، وعاش اثنتين وستين سنة الا ثلاثة عشر يوماً .

قال ابو جعفر الوراق النحوى : قلت للبخارى كيف كان بدء أمرك فى طلب الحديث ؟ قال : ألهمت حفظ الحديث وأنا فى الكتّاب ، قال : وكم أتى عليك اذ ذاك ؟ قال : عشر سنين أو أقل . ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أتردد على مجلس المحدث الداخلى وغيره . وكان يوماً يقرأ للناس فقال : (سفيان عن ابى الزبير عن ابراهيم) فقلت له : ياأبا فلان ان أبا الزبير لم يرو عن ابراهيم فانتهرنى . فقلت له ارجع الى الأصل ان كان عندك فدخل ونظر فيه ثم قال لى : كيف هو يا غلام ؟ فقلت هو الزبير بن عدى عن ابراهيم فأخذ القلم منى وأحكم كتابه فقال : صدقت . فقال له بعض أصحابه : ابن كم كنت إذ رددت عليه ؟ فقال البخارى : ابن احدى عشرة ، فلما طعنت فى ست عشرة سنة حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، ثم خرجت مع أمى وأخى أحمد الى مكة فلما حججنا رجعت أمى مع أخى وتخلفت فى طلب الحديث ، فلما طعنت فى ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك فى مسجد النبى ﷺ عند قبره فى الليالى المقمرة ، وقلّ اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة إلا أنى كرهت تطويل الكتاب . ولو نشر بعض اسنادى لم يفهموا كيف صنفت كتاب التاريخ ولا عرفوه ، وصنفت ثلاث مرات ، وأخذ ابن راهويه الحافظ كتابى الذى صنفته فى التاريخ ، فأدخله على ابن طاهر فقال : ايها الأمير ألا أريك سحراً ؟ فنظرفيه فتعجب منه وقال : لست أفهم تصنيفه . وقال العباس ابن سعيد : لو أن رجلًا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب التاريخ للبخارى . وقال ابو بكر المدينى كنا يوماً بنيسابور عند اسحاق بن راهويه والبخارى حاضر فى المجلس فمر اسحاق بحديث فى سنده عطاء الكيخارانى فقال له اسحاق : ايش كيخاران ؟ قال البخارى : هى قرية باليمن كان معاوية بعث هذا الرجل من الصحابة الى اليمن فسمع منه عطاء حديثين فقال اسحاق كأنك قد شهدت القوم .

وقال البخارى : ما أدخلت كتابى الجامع الصحيح الا ما صح وتركت من الصحاح ما طال ، وكتب البخارى تاريخه عند منبر النبى ﷺ فكان يصلى عند كل ترجمة ركعتين . وقال محمد البخارى بخوارزم رأيت الامام البخارى فى المنام خلف النبى ﷺ والنبى ﷺ يمشى وكلما رفع النبى ﷺ قدمه وضع البخارى قدمه فى ذلك الموضع ، وقال النجم بن الفضيل رأيت البخارى خلف النبى ﷺ يتبع أثره ، وقال الفربرى : رأيت النبى ﷺ فى النوم فقال لى أين تريد قلت البخارى قال : اقرأه منى السلام .

قال البخارى : كنت عند أبى حفص أسمع كتاب الجامع لسفيان فمر على حرف لم يكن كما ذكر فراجعته فكرر كما قال فى الأولى ثم راجعته فقال كما قال فى الثانية ، ثم راجعته فسكت سويعة ثم قال : من هذا ؟ فقالوا : هذا البخارى ، فقال احفظوا كما يقول ، فانه سيصير يوماً رجلاً .

وقال البخارى : منذ ولدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئاً ، ولا بعت من أحد بدرهم شيئا قط ، فقالوا : كيف شراء الحبر والكواغد ؟ فقال : كنت آمر من يشترى لى . وحملت اليه بضاعة أرسلت اليه فا جتمع عنده بعض التجار بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم فقال لهم : انصرفوا الليلة فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوها بربح عشرة آلاف فردهم وقال : إنى نويت أن أدفع الى الذين طلبوا منى البارحة بخمسة آلاف فلا أحب أن أنقض نيتى . واذا كان أول ليلة من شهر رمضان كان البخارى يجتمع اليه أصحابه فيصلى بهم ويقرأ فى كل ركعة عشرين آية وكذلك الى أن يختم القرآن . وكان يقرأ فى السحر ما بين النصف الى الثلث من القرآن فيختم عند السحر فى كل ثلاث ليال ، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة ، ويكون ختمه عند الافطار ويقول : عند كل ختم دعوة مستجابة . وكان البخارى يصلى ذات يوم فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة فلما قضى قال : انظروا ايش هذا الذى آذانى فى صلاتى فنظروا فاذا الزنبور قد ورمه فى سبعة عشر موضعاً ولم يقطع صلاته ، وتورم من ذلك جسده والآثار ظاهرة .

ورفع انسان من لحيته قذاة فطرحها على الأرض فى مجلس البخارى وهو بالمسجد فصار ينظر اليها فلما غفل الناس رفعها وأدخلها فى كمه فلما خرج من

المسجد طرحها تنظيفاً للمسجد . وقال عمر بن حفص الأشقر كنا مع البخارى بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياماً فطلبناه فوجدناه فى بيت وليس عنده ثوب وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شىء فجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له الثوب فكسوناه ثم اندفع معنا فى كتابة الحديث ، كان يتورع عن السؤال .

وقال محمد بن أبى حاتم الوراق : كان البخارى اذا كنت معه فى السفر يجمعنا بيت واحد الا فى القيظ أحياناً فكنت أراه يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة الى عشرين مرة فى كل ذلك يأخذ القداحة فيورى بيده ناراً ويسرج ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه ، وكان يصلى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة وكان لا يوقظنى فى كل ما يقوم به فقلت له انك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظنى ؟ قال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك . ورأيته استلقى على قفاه يوماً ونحن ببلدة فربر فى تصنيف كتاب التفسير وكان أتعب نفسه فى ذلك اليوم فى كثرة اخراج الحديث فقلت له سمعتك تقول يوماً أنى ما أتيت شيئا بغير علم قط منذ عقلت ، فأى علم فى هذا الاستلقاء ؟ فقال : أتعبنا أنفسنا فى هذا اليوم . وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العدو فأحببت ان أستريح وآخذ أهبة ذلك ، فإن غافصنا العدو كان بنا حراك .

وقال حاشد بن اسماعيل : كان البخارى يختلف معنا الى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام وكنا نقول له : انك تتردد معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع ؟ فقال لنا بعد ستة عشر يوماً انكم قد أكثرتم علىّ وألححتم ، فاعرضوا علىّ ما كتبتم فأخرجنا ما عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه ، ثم قال : أترون أنى أتردد هدراً وأضيع أيامى ؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد ، وكان أهل المعرفة بالبصرة يغدون خلفه فى طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه فيجلس فى بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه ، وكان عند ذلك شابا لم يخرج وجهه .

وقال ابو بكر الأعين كتبنا عن البخارى على باب الفريابى وما فى وجهه شعرة . وقال المروروذى : كنت بالبصرة فى جامعها اذ سمعت مناديا ينادى يا أهل العلم قد قدم البخارى فقاموا فى طلبه وكنت معهم فرأينا رجلًا شابا لم يكن فى لحيته

شيء من البياض يصلى خلف الاسطوانة فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه ان يعقد لهم مجلس الاملاء فأجابهم الى ذلك فقام المنادى ثانيا فنادى فى جامع البصرة : قد قدم البخارى فسألناه ان يعقد مجلس الاملاء فقد أجاب بأن يجلس غداً فى موضع كذا ، فلما كان بالغداة حضر الفقهاء والمحدثون ، والحفاظ والنظار حتى اجتمع قريب من كذا وكذا ألفاً فجلس البخارى للاملاء فقال قبل الاملاء : يا أهل البصرة أنا شاب وقد سألتمونى أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون ، فبقى الناس متعجبين كيف يحدثنا عنا ثم نستفيد فلما أخذ فى الاملاء ظهر لهم البرهان . إنه كان يملى عليهم أحاديث يعرفونها بغير الأسانيد التى يأتى بها فيقول : هذا الحديث هكذا ليس عندكم وانما عندكم كذا وعلى هذا النسق .

ووصفه البصريون فقال محمد بن سيار يوم قدومه : دخل اليوم سيد الفقهاء ، وقال بندار : حفاظ الدنيا أربعة ابو زرعة بالرى ، ومسلم بنيسابور ، والدارمى بسمرقند ، والبخارى ببخارى . وما قدم علينا مثل البخارى ، قال البخارى لما دخلت البصرة صرت الى مجلس بندار فلما خرج وقع بصره على فقال : من أين الفتى ؟ قلت : من أهل بخارى . قال : كيف تركت أبا عبد الله البخارى ؟ فأمسكت فقال له بعض أصحابه : رحمك الله هذا هو ابو عبد الله البخارى ، فقام فأخذ بيدى وعانقنى وقال . مرحباً بمن أفتخر به منذ سنين . قال البخارى : وكان على بن المدينى يسألنى عن شيوخ خراسان فكنت أذكر له محمد بن سلام فلا يعرفه إلى أن قال يوماً : يا أبا عبد الله كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضا ، قال البخارى : وما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى ، وربما كنت أغرب عليه ، وما سمعت الحديث من انسان أشهى عندى منه ، وذكر ذلك لعلى بن المدينى فقال : ذروا قوله ، هو مارأى مثل نفسه ، كلاهما أكبر صاحبه وكان البخارى يجلس عن يمينه فاذا حدث التفت إليه كأنه يهابه . وكانوا يقولون : حديث لا يعرفه البخارى ليس بحديث . وكانوا يقولون : هذ الغلام يناطح الكباش .

قال ابو سهل الشافعى : دخلت البصرة والشام والحجاز و الكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر البخارى فضلوه على أنفسهم ، وقال ابو مصعب المدينى : لو أدركت مالكاً ونظرت الى وجهه ووجه البخارى لقلت : كلاهما واحد فى الفقه والحديث . قال والبخارى عندنا أبصر وأفقه من ابن حنبل .

وقال أحمد بن حنبل الإمام : انتهى الحفظ الى أربعة من أهل خراسان : أبو زرعة الرازى ومحمد بن اسماعيل البخارى وعبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى والحسن بن شجاع البلخى وقال : ما أخرجت خراسان مثل البخارى . وقال يعقوب الدورقى : البخارى فقيه الامة وقال موسى بن هارون الحمال : لو أن أهل الإسلام اجتمعوا على أن ينصبوا مثل البخارى آخر ما قدروا عليه :

وقال ابو على صالح بن محمد الأسدى : البخارى أعلمهم بالحديث وابو زرعة أحفظهم وأكثرهم ، وما رأيت خراسانياً أفهم من البخارى وكتب أهل بغداد الى البخارى :

المسلمون بخير ما بقيت لهم　　　　وليس بعدك خير حين تفتقد

وكان البخارى يجالس الامام أحمد بن حنبل في بغداد فقال له أحمد في آخر مرة ودعه : تترك العلم والناس وتصير الى خراسان ، فكان البخاري : يتذكر قوله هذا .

وقال الفضل بن العباس الرازى : استقبلنى البخارى مابين حلوان وبغداد فرجعت معه مرحلة وجهدت الجهد على أن أجيء بحديث لا يعرفه فما أمكننى ، وأما أبو زرعة فأنا أغرب عليه عدد شعره . وقال محمد بن ادريس الرازى يقدم عليكم رجل من خراسان لم يخرج منها أحفظ منه ولا قدم العراق أعلم منه فقدم علينا البخارى .

وقال ابو حاتم الرازى : البخارى أعلم من دخل العراق وقال عبدان : ما رأيت بعينى شابا أبصر من هذا وأشار الى البخارى ، وقال نعيم بن حماد : البخارى فقيه هذه الأمة . وكتب محمد بن سلام عند الأحاديث التى أحكمها البخارى فى كتبه : رضى الفتى ، وفى الأحاديث التى كانت ضعيفة : لم يرض الفتى ، فقيل له : من هذا الفتى ؟ قال : هو الذى ليس مثله ، وهو البخارى . وقال يحي بن جعفر : لو قدرت أن أزيد فى عمر البخارى لفعلت فان موتى موت رجل واحد وموت البخارى ذهاب العلم .

وقال سليم بن مجاهد كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لى : لو جئت قبل ذلك لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث ، فخرجت فى طلبه حتى لقيته فاذا هو البخارى فقلت : أنت الذى تقول : أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم ، وأكثر منه ، ولا أجيئك بحديث من الصحابة أو التابعين الا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم .

وقال اسحاق بن راهويه فى معرض الحفظ ذات مرة كأنى أنظر الى سبعين ألف حديث من كتابى ، فقال البخارى أو تعجب من هذا ؟ لعل فى هذ الزمان من ينظر الى مئتى ألف حديث من كتابه ، بعينى نفسه . وقال البخارى مرة : أنا أحفظ مئة ألف حديث صحيح ومئتى ألف حديث غير صحيح . وقال : تركت عشرة آلاف حديث لرجل لى فى حقه نظر .

وقال رجاء بن المرجى : فضل البخارى على العلماء كفضل الرجال على النساء . هو آية من آيات الله يمشى على الأرض ، قال الترمذى : دعا عبد الله بن منير للبخارى فقال : جعلك الله زين هذه الأمة فاستجيب له ، قال ولم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخارى .

قال ابو بكر محمد بن اسحاق : ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من البخارى . وكان عمرو بن زرارة ومحمد بن رافع عند البخارى يسألانه عن علل الحديث فلما قاما قالا لمن حضر المجلس : لا تخدعوا عن البخارى فإنه أفقه منى وأعلم وأبصر ، وقال اسحاق بن راهويه : يا معشر أصحاب الحديث انظروا الى هذا الشاب يعنى البخارى واكتبوا عنه .والناس فى حاجة اليه لمعرفته بالحديث وفقهه .

وقال الخفاف : البخارى أعلم فى الحديث من ابن راهويه واحمد بعشرين درجة ، ولو دخل البخارى من هذا الباب لملئت منه رعبا لا أقدر أن أحدث بين يديه وهو النقى التقى العالم الذى لم أر مثله . وقال عبد الله بن حماد الآملى وددت أنى شعرة فى صدر البخارى . وقال عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندى : رأيت العلماء بالحرمين والحجاز والشام والعراقين فما رأيت فيهم أجمع من البخارى . وقال الحافظ بن يعقوب سمعت أبى يقول : رأيت الامام مسلم بن الحجاج بين يدى

البخارى وهو يسأله سؤال الصبى المتعلم وكان البخارى أمة من الأمم وكان ديناً فاضلاً ، وكان يقول : الحامد والذام عندى سواء .

ولما ورد البخارى نيسابور قال الذهلى : اذهبوا الى هذا الرجل العالم الصالح فاسمعوا منه .

وقال أبو حامد الأعمش : رأيت البخارى فى جنازة سعيد بن مروان والذهلى يسأله عن الأسامى والكنى وعلل الحديث ويمر فيه البخارى مثل السهم كأنه يقرأ : « قل هو الله أحد » وقال ابراهيم بن محمد : أنا توليت دفن ابى عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى بخرتنك . أردت حمله الى سمرقند لكى أدفنه بها فلم يتركنى صاحب لنا فدفناه حيث مات .

وبعث الأمير خالد بن أحمد والى بخارى الى محمد بن اسماعيل البخارى : ان احمل إليَّ كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال البخارى لرسوله : أنا لا أذل العلم ولا أحمله الى أبواب الناس فان كانت لك الى شىء منه حاجة فاحضرنى فى مسجدى أو فى دارى ، وان لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعنى من الجلوس ليكون لى عذر عند الله يوم القيامة لأنى لا أكتم العلم لقول النبى ﷺ : من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار ، وسأله خالد المذكور ان يحضر منزله فيقرأ الجامع والتاريخ على أولاده فامتنع البخارى من الحضور فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع من ذلك وقال : لا يسعنى أن أخص بالسماع قوما دون قوم فاستعان خالد ببعض الفقهاء حتى تكلموا فى البخارى فنفاه عن بخارى فدعا عليهم البخارى فقال : اللهم أرهم ما قصدونى به فى أنفسهم وأولادهم وأهاليهم فأراه الله فيهم البلايا كما ذكره التاريخ .

ونزل البخارى بخرتنك وكان له بها اقرباء فما تم شهر حتى قبض حين اختاره الله ، وكان يدعو . اللهم انه قد ضاقت علىّ الأرض فاقبضنى اليك . قال الطواويسى : رأيت النبى ﷺ فى النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف فى موضع فسلمت عليه فرد السلام فقلت : ما وقوفك يارسول الله ؟ فقال : أنتظر محمد بن اسماعيل البخارى ، فلما كان بعد أيام بلغنى موت البخارى فنظرنا فاذاهو قد مات فى الساعة التى رأيت النبي ﷺ فيها واقفا ينتظر .

رحم الله البخارى وجزاه عن الأمة المسلمة التى طوق عنقها بخدمة حديث المصطفى خيراً .

قال ابو تراب : وترجمته في تاريخ بغداد ج ٢ ص ٤ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٢٢ ، والتهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٤٧ ، والوفيات ج ١ ص ٤٥٥ ، وتهذيب الأسماء للنووى ق ١ ص ٦٧ ، وطبقات السبكى ج ٢ ص ٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٤٢ ، وطبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٧١ ، ومقدمة القسطلانى ودائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٤١٩ .

الامـــام مالـــك

الامام مالك امام دار الهجرة وأحد الائمة الأعلام هو ابو عبد الله ابن أبى عامر الأصبحى المدنى . صاحب الحديث والفتوى . كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . فقيل له فى ذلك ؟ فقال : أحب ان أعظم حديث رسول الله ﷺ ، ولا أحدث به الا متمكنا على طهارة . وكان يكره ان يحدث على الطريق أو قائما أو مستعجلاً ويقول : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله . وكان لا يركب فى المدينة مع ضعفه وكبر سنه ويقول : لا أركب فى مدينة فيهاجثة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة . وكان يأتى المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضى الحقوق ، ويجلس فى المسجد ويجتمع بأصحابه ، ثم ترك الجلوس فى المسجد وكان يصلى وينصرف الى مجلسه ، وترك حضور الجنائز وكان يأتى أهلها فيعزيهم ثم ترك ذلك كله حتى الصلوات فى المسجد ويقول ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره .

وسبب ذلك انه سعى به الى جعفر بن سليمان عم ابى جعفر المنصور وقيل انه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشىء . فغضب جعفر ودعا به وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه . وارتكب منه أمراً عظيما ، فلم يزل بعد ذلك الضرب فى علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً حلّى به .

وذكر ابن الجوزى فى شذور العقود : ان مالكاً ضرب سبعين سوطاً لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان .

وكانت ولادة الامام مالك فى سنة خمس وتسعين وحمل به ثلاث سنين أو سنتين وتوفى فى ١٤ ربيع الاول أو صفر المظفر سنة تسع وسبعين ومئة فعاش اربعا وثمانين سنة . وقال الواقدى : مات وله تسعون سنة . وقال ابن الفرات فى تاريخه : انه توفى بعشر مضين من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومئة وقيل : ثمان وسبعين

ومئة وقيل : مولده سنة تسعين وقال السمعانى فى الأنساب : ولد سنة ثلاث أو أربع وتسعين . وأخذ مالك القراءة عن نافع بن أبى نعيم وهو الذى دفن قريبا منه والناس يظنون ان نافعا المدفون بالبقيع قرب قبر مالك هو نافع مولى ابن عمر وهذا ليس بصحيح . وسمع مالك نافعا مولى ابن عمر والزهرى وروى عنه الأوزاعى ويحيى بن سعيد ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأى وأفتى معه عند السلطان . وقال مالك : قل رجل كنت أتعلم منه مات حتى يجيئنى ويستفتينى .

وحكى الحميدى فى جذوة المقتبس عن القعنبيّ قال : دخلت على مالك فى مرضه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكى فقلت : يا أبا عبد الله ما الذى يبكيك ؟ فقال لى : يا ابن قعنب ومالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى ، والله لوددت انى ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيي بسوط سوط . وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت اليه . وليتنى لم أفت برأيي . وكان مالك شديد البياض الى الشقرة طويلاً عظيم الهامة أصلع ، يلبس الثياب العدنية الجياد ، ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه ، ورثاه السراج بقوله :

سقى جدثاً ضم البقيع لمالك ... من المزن مرعاد السحائب مبراق
امام موطاه الذى طبقت به ... أقاليم فى الدنيا فساح وآفاق
اقام به شرع النبى محمد ... له حذر من ان يضام واشفاق
له سند عال صحيح وهيبة ... فللكل منه حين يرويه إطراق
وأصحاب صدق كلهم علمه فسل ... بهم انهم ان أنت ساءلت حذاق
ولو لم يكن الا ابن ادريس وحده ... كفاه إذا أن السعادة أرزاق

وذكر الحافظ ابن عبد البر فى كتاب الانتقاء عن الامام الشافعى قال : إذا جاءك الخبر فمالك النجم ، وعن الامام أحمد بن حنبل قال : مالك أحسن حديثا وأتقن وهو أحب إلىّ ، وعن البخارى قال : كان مالك اماماً ، وعن النسائى قال : مالك من أمناء الله على علم رسوله عليه الصلاة والسلام وعن ابى داوود قال : رحم الله مالكاً كان اماماً ، وقال عبد الرحمن بن مهدى : ما رأيت أعقل من مالك . ولما جاء نعى الامام مالك إلى حماد بن زيد سالت دموعه فقال : يرحم الله أبا عبد الله لقد كان من الدين بمكان .

وأورد ابن عبد البر فى ذكر ثناء العلماء على مالك أقوال الأكابر أمثال سفيان ابن عيينة وأيوب السختيانى وحماد بن زيد وشعبة بن الحجاج والمغيرة المخزومى . ومحمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، ووهيب بن خالد ، ويحيى بن سعيد القطان ، وأبى الأسود شيخ مالك ، وعبد الله بن وهب ، وعبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المدينى ، وأبى حاتم الرازى ، وأبى زرعة الرازى ، وأيوب بن سويد وكلهم أثنوا عليه ، وهؤلاء هم من هم جلالة قدر ، وعلو كعب ، وقد اتفق العلماء على ان اسناد مالك أصح الاسانيد كالشمس . ومما رثى به الامام مالك قول عبد الله بن سالم الخياط يصفه :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان

ومن تلك المراثى قول أبى المعافى :

ألا قل لقوم سرهم فقد مالك ... ألا ان فقد العلم اذراح مالك
فمالى لا أبكى على فقد مالك ... وفى فقده سدّت علينا المسالك
ومالى لا أبكى عليه وقد بكت ... عليه الثريا والنجوم الشوابك
حلفت بمن أهدت قريش وحللت ... صبيحة عشر حين تقضى المناسك
لنعم وعاء العلم والفقه مالك ... إذا عزّ مفقود من الناس هالك

وسألوا ماذا قال مالك عند موته ؟ قالوا : تشهد ثم قال : لله الأمر من قبل ومن بعد . وكانت محنته حين ضرب بالسياط حتى انخلعت كتفه فى مسألة طلاق المكره .

وكان من وجاهة الامام مالك فى علم الدين عند العامة والسلاطين أن أبا جعفر المنصور سأله تصنيف الموطأ ، وكان يجلس فى منزله على نمارق مطروحة يمنة ويسرة للأضياف ، وكان مجلسه مجلس وقار وحلم وكان مهيبا نبيلاً لا يحب كثرة السؤال وتزيد العلم دون الفهم والتثبت لذلك كان اذا رأى من يفعل ذلك أمر خدمه السودان يخرجونه ، وليس أحد ممن حضر يدنو منه ولا ينظر فى كتابه ولا يستفهمه هيبة واذا أخطأ قارئه فتح عليه مالك وكان ذلك قليلاً .

ورأى الدراوردى رسول الله ﷺ فى المنام يخطب فدخل مالك من باب المسجد فأبصره النبى ﷺ فقال : الىّ الىّ فأقبل مالك حتى دنا منه فسل خاتمه من خنصره فوضعه فى خنصر مالك . وعن مصعب بن عبد الله الزبيرى عن أبيه أنه دخل المسجد فسلم على مالك وضمه الى صدره وقال : لقد رأيت النبى ﷺ البارحة فى المنام فى هذا الموضع وهو يقول : ائتونى بمالك فأتى بك ترعد فرائصك فقال : ليس بك بأس يا أبا عبد الله وكنّاك . وقال : اجلس فجلست ، وقال : افتح حجرك ففتحته فملأه مسكا منثورا وقال : ضمه اليك وبثه فى أمتى فبكى مالك حين سمع هذه الرؤيا وفسرها بالعلم الذى أودعه الله . وفى الحديث : يضرب الناس أكباد الابل ولا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة ، وقال : سفيان بن عيينة أظن أنه أراد مالكاً رحمه الله .

وقال ابو نعيم الحافظ فى حق الامام مالك : انه امام الحرمين المشهور فى البلدين . الحجاز والعراقين ، المستفيض مذهبه فى المغربين والمشرقين ، كان أحد النبلاء وأكمل العقلاء ورث حديث الرسول ، ونشر فى أمته علم الأحكام والأصول ، تحقق بالتقوى ، فابتلى بالبلوى . وكان يقول : ما أفتيت حتى شهد لى سبعون بأنى أهل لذلك ، وما أجبت فى الفتيا حتى سألت من هو أعلم منى .

قال : دخلت على مالك فقال لى : انظر ما ترى تحت مصلاى أو حصيرى ، فنظرت فاذا أنا بكتاب فقال : اقرأه فإذا فيه رؤيا رآها له بعض إخوانه فقال : رأيت النبى ﷺ فى المنام فى مسجده قد اجتمع الناس عليه . فقال لهم : انى قد خبأت لكم تحت منبرى طيبا أو علما ، وأمرت مالكا ان يفرقه على الناس ، فا نصرف الناس وهم يقولون : اذن ينفذ مالك ما أمره به رسول الله ﷺ ، قال خلف : ثم بكى مالك فقمت عنه ، وقال : ابو عبد الله مولى الليثيين وكان مختاراً : رأيت النبى ﷺ وبين يديه مسك وهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها الى مالك . ومالك ينشرها على الناس ، قال مطرف راوى هذا الخبر عنه : فأولت ذلك العلم واتباع السنة .

وكان مالك يقول : ما بت ليلة الا رأيت رسول الله ﷺ وكان لا يحدث الا على الطهارة جالسا بوقار مسرحا لحيته أجلالاً للحديث النبوى ، وقد مر على بن

حازم يوماً فجازه وهو يحدث ، فقيل له فى ذلك ؟ فقال : لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث الرسول وأنا قائم . وقال الشافعى : كان مالك كالنجم وهو وسفيان القرينان . وقال ابن مهدى : ما بقى على وجه الأرض آمن على الحديث من مالك .

وقال خالد بن خراش : ودعت مالكاً فقلت : أوصنى يا أبا عبد الله ؟ قال : تقوى الله وطلب الحديث من عند أهله ، وقال : ابن وهب قال مالك : العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية . وسئل مالك عن الداء العضال ؟ فقال : الخبث فى الدين ، وقال : بلغنى ان العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء ، وقيل لمالك : ما تقول فى طلب العلم ؟ قال : حسن جميل ، ولكن انظر الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه . وقال مالك : أدركت سبعين كلهم يحدث بين هذه الاسطوانات فى المسجد فلم آخذ منهم لا لشىء إلا لأنهم لم يكونوا أهلاً للحديث . وقال مالك :حق على من طلب العلم ان يكون له وقار وسكينة ، وخشية ، والعلم حسن لمن رزق خيره ، وهو قسم من الله فلا تمكن الناس من نفسك فان من سعادة المرء ان يوفق للخير ، وان من شقوة المرء ان لا يزال يخطىء ، وذل وإهانة للعلم ان يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه ، وكان الرجل يختلف الى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه ، واذا لم يكن للانسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير .

وقال القعنبى : أتينا سفيان بن عيينة فوجدناه حزينا فقيل بلغه موت مالك فقال : ما ترك على الأرض مثله ، وقال القطان : ما أقدم على مالك فى زمانه أحداً . وسئل احمد بن حنبل عن كتاب مالك ، فقال : ما أحسنه لمن تدين به . وقال الشافعى : إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يديك به ولولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . وكان مالك لا يأخذ الحديث الا من جيده ، وينتقى الرجال ولا يحدث عن كل أحد .

وقال الامام مالك : لا يؤخذ العلم الا عمن يعرف ما يقول وانما يكتب الحديث عن أهله . وأدركت سبعين تابعياً فى هذا المسجد فما أخذت العلم إلا عن الثقات المأمونين ، وقال : عبد الرحمن بن مهدى : سأل رجل مالكاً عن مسألة

فقال : لا أحسنها ، فقال الرجل : انى ضربت اليك من كذا وكذا لأسألك عنه ، فقال مالك : فاذا رجعت الى مكانك وموضعك فأخبرهم أنى قد قلت لك انى لا أحسنها ، وقال سعيد بن سليمان : قلما سمعت مالكاً يفتى بشىء الا تلا « ان نظن الاّ ظنا وما نحن بمستيقنين » .

وعن عمرو بن زيد — وهو شيخ من أهل مصر وصديق لمالك قال : قلت لمالك : يا أبا عبد الله يأتيك ناس من بلدان شتى قد أنضوا مطاياهم ، يسألونك عما جعل الله عندك من العلم ، وأنت تقول لهم : لا أدرى ! ! فقال يا عبد الله يأتينى الشامى من شامه والعراقى من عراقه ، والمصرى من مصره ، فيسألوننى عن الشىء لعلّى ان يبدو لى فيه غير ما أجيب به فأين أجدهم ؟ .

وقال مالك : لو أن الرجل ارتكب الكبائر كلها وهو لا يشرك بالله ، ثم تخلى عن هذه الاهواء والبدع دخل الجنة .

وقال عبد العزيز بن عبد الله : كان نقش خاتم مالك : « حسبنا الله ونعم الوكيل » فقيل له فى ذلك ؟ فقرأ : (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وقال الشافعى : ما بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك . وقال الشافعى سمعت محمد بن الحسن يعنى صاحب أبى حنيفة — يقول : أقمت على مالك ثلاث سنين وكسراً وسمعت منه أكثر من سبعمئة حديث ، وكان محمد اذا حدث الناس عن مالك امتلأ منزله وكثر الناس عليه حتى يضيق المكان ، واذا حدث عن غيره لم يجئه أحد وكان يقول : اذا حدثتكم عن أصحابكم انما تأتوننى متكارهين .

قال الشافعى : قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيت فى هذه الليلة عجباً فقلت لها : وما هو ؟ قالت : رأيت كأن قائلاً يقول : مات الليلة أعلم أهل الأرض ، قال الشافعى فحسبنا ذلك فاذا هو يوم مات مالك . وقال مالك لفتى من قريش : يا ابن أخى تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم . وقال ابن المبارك : ما رأيت رجلاً ارتفع مثل مالك ليس له كثير صلاة ولا كثير صيام الا ان تكون له سريرة . وقال ابن مهدى : قلت لمالك يوماً وأردت أن أرققه على نفسى فى مسجد رسول الله ﷺ : يا أبا عبد الله قد غبت عن أهلى ، ما أدرى ما حدث عليهم بعدى ؟ فتبسم ثم

قال : وأنا قد غبت عن أهلى ، هوذا ، هم فى الدار لا أدرى ما حدث عليهم . وقال مالك : ليس شيء أشبه بثمار الجنة من الموز لا تطلبه فى الشتاء ولا فى الصيف الا وجدته وقرأ « أكلها دائم » وقال ابو خليفة : أقمت على مالك فقرأت الموطأ فى أربعة أيام فقال مالك : علم جمعه شيخ فى ستين سنة أخذتموه فى أربعة أيام ، لا فقهتم أبداً . وقال : لا يبلغ أحد ما يريد من هذا العلم حتى يضربه الفقر ويؤثره على كل حاجة . وقال المأمون لمالك تعال معنا ، فقال : لا سبيل إلى الخروج معك فإن النبى ﷺ قال : « والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » وقال « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد » وقال ابن مهدى : مالك امام فى السنة والحديث ، وشاور هارون الرشيد الامام مالكاً فى جعل منبر النبى ﷺ جوهراً وذهباً وفضة فقال : لا أرى ان تحرم الناس من أثر النبى ﷺ . وكان مالك أوذى فى سبيل العلم ضربه جعفر بن سليمان وحلق وحمل على بعير فكان يقول : ألا من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فانا مالك وطلاق المكره غير واقع فقال جعفر أدركوه ، أنزلوه .

قال ابو تراب : ترجمة الامام مالك في حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٦ ص ٣١٦، وصفوة الصفوة لابن الجوزى ج ٢ ص ٩٩ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٥ ، والديباج ص ١٧ والوفيات ج ١ ص ٤٣٩ ، وذيل المذيّل ص١٠٦ ، والانتقاء لابن عبد البر ص ٩ ، واللباب ج ٣ ص ٨٦ ، وتزيين الممالك للسيوطى ، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٢ .

الامـــام الشـــافعي

الامام الشافعى هو ابو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس القرشى المطلبى يجتمع فى نسبه مع النبى ﷺ فى عبد مناف ، وجده شافع بن السائب لقى رسول الله ﷺ وهو مترعرع ، وكان أبوه السائب صاحب راية بنى هاشم يوم بدر فأسر وفدى نفسه ثم أسلم فقيل له : لم لم تسلم قبل ان تفدى نفسك فقال : ما كنت أحرم المؤمنين مطمعاً لهم فىّ .

وكان الامام الشافعى كثير المناقب ، جم المفاخر ، منقطع القرين اجتمع فيه من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وكلام الصحابة وآثارهم رضى الله عنهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة العربية والشعر ، حتى أن الأصمعى مع جلالة قدره فى هذا الشأن قرأ عليه من أشعار الهذليين مالم يجتمع فى غيره ، حتى قال الامام أحمد بن حنبل ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعى وقال : ابو عبيد القاسم بن سلام : ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعى . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت لأبى : أى رجل كان الشافعى ، فانى سمعتك تكثر من الدعاء له ! فقال : يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن هل لهذين من خلف أوعنهما من عوض ؟ .

وقال الامام أحمد : ما بت منذ ثلاثين سنة أو أربعين الا وأنا أدعو للشافعى واستغفر له ، وقال يحيى بن معين : كان أحمد بن حنبل يمشى خلف الشافعى وهو راكب بغلة فقلت يا أبا عبد الله تنهانا عن الشافعى وتمشى خلفه فقال : اسكت لو لزمت البغلة لانتفعت واعترض عليه ابن معين فقال : اذا أردت أن تتفقه فخذ بركابه أما يستحى أحمد من ذلك وقال الشافعى قدمت على الامام مالك وقد حفظت الموطأ فقال لى : احضر من يقرأ لك فقلت : أنا قارئ فقرأت عليه الموطأ حفظاً.

فقال : ان يك أحد يفلح فهذا الغلام . وكان سفيان بن عيينة اذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت الى الشافعى فقال : سلوا هذا الغلام ، وقال الحميدى : سمعت الزنجى بن خالد يعنى مسلما يقول للشافعى : أفت يا أبا عبد الله فقد والله آن لك ان تفتى ، وهو ابن خمس عشرة سنة أو عشرين . وقال محفوظ بن أبى توبة البغدادى : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعى فى المسجد الحرام فقلت : يا أباعبد الله هذا سفيان بن عيينة فى ناحية المسجد يحدث فقال : ان هذا يفوت وذاك لا يفوت .

وقال ابو حسان الزيادى : ما رأيت محمد بن الحسن ــ يعنى صاحب أبى حنيفة الامام ــ يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه الشافعى ، ولقد جاءه يوماً فلقيه وقد ركب محمد بن الحسن فرجع إلى منزله وخلا به يومه الى الليل ولم يأذن لأحد عليه .

والامام الشافعى هو أول من تكلم فى أصول الفقه وهو الذى استنبط هذا العلم ، وقال ابو ثور : من زعم أنه رأى مثل الشافعى فى علمه وفصاحته ، ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب ، كان منقطع القرين فى حياته فلما مضى لسبيله لم يعتض منه .

وقال الامام أحمد بن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق الا وللشافعى فى رقبته منة ، وكان الزعفرانى يقول : كان أصحاب الحديث رقوداً حتى جاء الشافعى فأيقظهم فتيقظوا ، ومن دعائه : اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير وهذا مشهور بين العلماء بالإجابة وهو مجرب وفضائله أكثر من أن تعد .

ومولده سنة خمسين ومئة ، وقيل انه ولد فى اليوم الذى توفى فيه الامام ابو حنيفة وكان ذلك بمدينة غزة أو بعسقلان أو باليمن والأول أصح ، وحمل منها الى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها وقرأ القرآن .

وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على توثيق الإمام الشافعى وأمانته ، وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه . وذكر الشيخ ابو اسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء : حكى الزعفرانى عن أبى عثمان ابن الشافعى قال : مات وهو ابن

ثمان وخمسين سنة وأخبرنى أحد المشايخ الأفاضل أنه عمل فى مناقب الشافعى ثلاثة عشر تصنيفاً .

وحديث رحلته إلى الامام مالك مشهور ، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومئة فأقام بها سنتين ثم خرج الى مكة ثم عاد إلى بغداد فأقام بها شهراً ثم خرج إلى مصر وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومئة ولم يزل بها الى أن توفى يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومئتين ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى وقبره يزار بها . قال الربيع بن سليمان المرادى : رأيت هلال شعبان وأنا راجع من جنازة الامام الشافعى ، ورأيته فى المنام بعد وفاته فقلت : يا أبا عبد الله ما صنع الله بك ؟ فقال : أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر علىّ اللؤلؤ الرطب .

والامام الشافعى أحد الائمة الأربعة عند أهل السنة . وكان من أحذق قريش بالرمى يصيب من العشرة عشرة أو تسعة برع فى ذلك أولاًكما برع فى الشعر واللغة وأيام العرب ، ثم أقبل على الفقه والحديث ، وأفتى وهو ابن عشرين سنة أو خمس عشرة سنة ، وكان ذكيا مفرطاً ، قال المبرد : كان الشافعى أشعر الناس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات .

ومن تصانيفه الكثيرة المسند فى الحديث وأحكام القرآن ، واختلاف الحديث والسنن والرسالة فى أصول الفقه وكتاب الأم فى الفقه وكل هذه الكتب مطبوع ومن مصنفاته اثبات النبوة والرد على البراهمة والمبسوط فى الفقه والسبق والرمى وفضائل قريش وأدب القاضى والمواريث ، وأشهرها « الأم » وهو كتاب عظيم يدل على عظمة الإمام وكذلك الرسالة فهى كتاب عقل ودراية . وفى طبقات الشافعية بعض ما صنف فى مناقب الامام الشافعى .

قال ابو تراب : وفى زماننا هذا ألف أناس كتبا مفردة فى سيرته كمصطفى عبد الرازق وحسين الرفاعى ومحمد أبى زهرة ، ولزكى مبارك رسالة حاول فيها اثبات ان الأم ألفه البويطى وليس هو الشافعى ورد عليه الشيخ أحمد شاكر المحدث رحمه الله رداً مفحماً ، وقد ألف الحافظ المناوى مجلداً فى مناقب الشافعى ، كما فعل ذلك البيهقى .

وفى كتاب الانتقاء للحافظ ابن عبد البر . ان الشافعى كان خفيف العارضين وكان يخضب بالحناء ، وأمه من الأزد وامرأته من ذرية عثمان بن عفان ،

وقال الشافعى رحمه الله لم يكن لى مال ، وكنت أطلب العلم فى الحداثة ، وكنت أذهب الى الديوان استوهب الظهور فاكتب فيها . وقال سفيان بن عيينة وقد نظر الى الشافعى : هذا أفضل فتيان أهل زمانه ، وقال يحيى القطان : إنى لأدعو للشافعى فى الصلاة وغيرها منذ أربع سنين لأنه أظهر القول بما صح عن رسول الله ﷺ . وقيل لسفيان بن عينية ان هذا الفتى يعنى الشافعى يقول دعوا الرأى وعليكم بالحديث فقال : جزاه الله خيراً ثم قرأ: « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » وقرأ عبد الرحمن بن مهدى رسالة الشافعى ، فقال : هذا كلام شاب مفهم .

قال الحافظ بن حجر : انتهت رياسة الفقه با لمدينة الى مالك ورحل اليه الشافعى ولازمه وأخذ عنه ، وانتهت رياسة الفقه بالعراق الى أبى حنيفه فأخذ الشافعى عن صاحبه محمد بن الحسن وقر بعير سماعاً فاجتمع له علم أهل الحديث والرأى فتصرف فى ذلك حتى أصل الأصول وقعد القواعد وأذعن له المخالف والموافق .

وأورد الحافظ ابن عبد البر عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال : لولا الشافعى ما عرفت كيف أرد على أحد ، وكان صاحب سنة وأثر وفضل وخير مع لسان فصيح طويل وعقل صحيح رصين . وهو الذى علمنى القياس . وبه عرفت ما عرفت . قال وقال لى أبى : الزم هذا الشيخ يعنى الشافعى فما رأيت أبصر بأصول العلم منه .

وقال أحمد بن حنبل لاسحاق بن راهويه : تعال حتى أريك رجلاً لم تر عينك مثله فأراه الشافعى .

وقال يعقوب بن اسحاق : كنا نأتى الشافعى فنجد أحمد بن حنبل عنده قد سبقنا إليه وما زال معنا حتى سمع كتب الشافعى كلها ، وقال أحمد بن حنبل : كان الشافعى من أفصح الناس ، قرأ على مالك وكانت قراءته تعجبه ، وقال الشافعى لأحمد بن حنبل : أما أنتم فأعلم بالحديث منى فإذا كان الحديث صحيحاً فأعلمونى .

وقال اسحاق بن راهويه فقيه خراسان : الشافعى عندنا امام ، وله معه مناظرتان مشهورتان .

وقال هارون بن سعيد الأيلى : ما رأيت مثل الشافعى قط وكان حسن الصلاة حسن المنطق حسن الوجه ذا قدرة على المناظرة . وكان الشافعى يقول : طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة . وددت أن الناس يفهمون ما فى كتبى من معانى الكتاب والسنة وينشرون ذلك وان لم ينسبوه الىّ .

قال المزنى : كنت عند الشافعى يوماً ودخل عليه جار له خياط فأمره باصلاح ازراره فأصلح فأعطاه الشافعى ديناراً ذهباً فنظر اليه الخياط وضحك فقال له : خذه فلو حضرنا أكثر منه ما رضينا لك به فقال له الخياط : أبقاك الله إنما دخلنا عليك لنسلم عليك قال الشافعى : فأنت اذن ضيف زائر وليس من المروءة الاستخدام بالضيف الزائر .

وقال هلال بن العلاء : الشافعى فتح أقفال العلم ، ورأى الشافعى فى المنام كأن على بن أبى طالب خلع خاتمه من أصبعه فجعله فى أصبع الشافعى فى سواء الطواف بالمسجد الحرام ، وفسرت رؤياه بطيران صيته فى الآفاق والأمان يوم الحساب والنجاة من النار .

وكان الشافعى يعتم بعمامة كبيرة كأنه أعرابى وكان اذا خلا فى بيته يهدر كالسيل فى أيام العرب وذاكره ابن هشام صاحب المغازى وكان عالم مصر بالغريب والشعر فأخذا فى أنساب النساء بعد الرجال فقال ابن هشام : ما ظننت أن الله عز وجل خلقه هكذا ، انه حجة فى اللغة . دخل الشافعى بغداد فانصب الناس عليه وجاءه أبو ثور بمسألة فقال له الشافعى يا أبا ثور : الايناس قبل الإبساس فلم يدر ما قال ؟ فسأل ما معنى هذا الكلام فقال له الشافعى : الايناس مسح الناقة بيدك قبل حلب ضرعها والابساس هو حلبها .

قال ابو تراب : هكذا المثل فى مجمع الأمثال ، وجاء فى كتاب الانتقاء لابن عبد البر : الاسناس وهو غلط لم يصححه الكوثرى ولا القدسى . وكان الشافعى من أهل السخاء تأتيه الألوف فيفرقها فى الناس ، ومن كلامه ما جرى مجرى الحكمة وكان يخضب بالحناء أحمر قانيا .

وذكر الخطيب البغدادى فى تاريخه : عن الربيع بن سليمان قال : كان الشافعى يختم فى كل ليلة ختمة فاذا كان شهر رمضان ختم فى كل ليلة منه ختمة وفى كل يوم ختمة فكان يختم فيه ستين ختمه . وقال بحر بن نصر : كنا اذا أردنا أن

نبكى قلنا بعضنا لبعض : قوموا بنا الى هذا الفتى المطلبى يعنى الشافعى نقرأ القرآن فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى تتساقط الناس بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته .

وعن الشافعى قال : أقمت فى بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها ، وحفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشرين سنة ، وما خفى على معنى شيء من القرآن ما خلا حرفين أحدهما (دسَّاها) . قال ابو تراب : أصله دسس أبدلت أحدى السينين ياء للمبالغة والمعنى أخفاها بالفجور .

وكان الشافعى يصلى نحو ثلث الليل ، وكتب اليه عبد الرحمن بن مهدى وهو شاب ان يضع له كتاباً فى معانى القرآن وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة فوضع له كتاب الرسالة . فكان عبد الرحمن بن مهدى يدعو له فى كل صلاة . وكان ابراهيم الحربى يقول فى حقه : انه استاذ الأستاذين ، وكان الامام أحمد بن حنبل يمشى مع بغلته فبعث إليه يحيى بن معين يقول له : أما رضيت الا أن تمشى مع بغلته فقال الامام أحمد : يا أبا زكريا لو مشيت أنت من الجانب الآخر لانتفعت به وكان ابو عبيد يقول : ما رأيت أعقل منه ، وقال قتيبة بن سعيد : الشافعى امام ، وقال ابو ثور : من زعم انه رأى مثل الشافعى فى علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب . وقال ابو الوليد بن أبى الجارود ما رأيت أحداً الا وكتبه أكثر من مشاهدته الا الشافعى فان لسانه كان أكثر من كتابه . وقال هارون الأيلى لو ان الشافعى ناظر على هذا العمود من حجارة انه من خشب لغلب لاقتداره على المناظرة .

قال ابو تراب : ومثل هذا يروى فى حق الامام أبى حنيفة ايضاً .

وكان الحميدى اذا جرى ذكر الشافعى يقول : سيد الفقهاء ، وقال الشافعى عن نفسه : سميت ببغداد ناصر الحديث . ولما قدم الشافعى الى بغداد سنة خمس وتسعين ومئة كان فى الجامع نيف وأربعون حلقة أو خمسون فما زال يقعد فى حلقة حلقة ويقول لهم : قال الله وقال الرسول ، وهم يقولون قال أصحابنا . حتى ما بقى فى المسجد حلقة غيره . وقال بعضهم :

مثل الشافعى فى العلمـــاء مثل البدر فى نجوم السمـاء

وقال الربيع سمعت الشافعى يقول فى قصة ذكرها :

لقد أصبحت نفسى تتوق الى مصر ومن دونها أرض المهامه والقفر
فو الله ما أدرى أللفوز والغنى أساق اليها أم أساق إلى قبرى

قال : فو الله ما كان الا بعد قليل حتى سيق اليهما جميعاً . ورثاه ابن دريد الأزدى فقال فى بعض مراثيه :

ألم تر آثار ابن ادريس بعده دلائلها فى المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهى خوالد وتنخفض الأعلام وهـى فوارع
أبى الله الا رفعـه وعلـوه وليس لما يعليه ذو العرش واضع
ولاذ بآثار الرسول فحكمه لحكم رسول الله فى الناس تابع
وعول فى أحكامه وقضائه على ما قضى فى الوحى والحق ناصع
جرت لبحور العلم أمداد فكره لها مدد فى العالمين يتابع
فمن يك علم الشافعى امامه فمرتعه فى باحة العلم واسع
سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المدجنات الهوامع
لقد غيبت أثراؤه جسم ماجد جليل اذا التفت عليه المجامع

قال ابو تراب : وترجمته في الحلية ج ٩ ص ٦٣ ، والانتقاء ص ٦٦ ، وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٢٩ ، والتهذيب ج ٩ ص ٢٥ ، والوفيات ج ١ ص ٤٤٧ ، ومعجم ياقوت ج ٦ ص ٣٦٧ ، وغاية النهاية ج ٢ ص ٩٥ ، وصفة الصفوة ج ٢ ص ١٤٠ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٥٦ ، والحلية ج ٩ ص ٦٣ ، والانتقاء ص ٦٦ ، ونزهة الجليس ج ٢ ص ١٣٥ ، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣٥ وتهذيب الاسماء ق ١ ص ٤٤ ، وطبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٨٠ ، وطبقات السبكي ج ١ ص ٢٨٠ ، والبداية ج ١٠ ص ٢٥١ ، وكشف الظنون ص ٧ و ١٣ ، واشراق التاريخ .

الامـــام ابو حنيفـــة

الإمام ابو حنيفة : هو النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفى أحد الائمة الأعلام صاحب المذهب المشهور أدرك أربعة من الصحابة وهم أنس بن مالك بالبصرة ، وعبد الله بن أبى أوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدى بالمدينة ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه ، وأصحابه يقولون : أنه لقى جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند أهل النقل ، وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد : انه رأى أنس بن مالك وأخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان ، وسمع عطاء بن أبى رباح ونافعاً مولى ابن عمر ومن فى طبقتهم ، وروى عنه عبدالله بن المبارك ووكيع بن الجراح ، والقاضى أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم .

وكان ابو حنيفة رحمه الله خزازاً يبيع الخز وجده زوطى من أهل كابل أو بابل أو الأنبار أو من أهل نسا أو ترمذ ، وهو الذى مسه الرق فأعتق وأبوه ثابت ولد على الاسلام . وقيل : ما وقع عليهم الرق قط . وذهب ثابت الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفى ذريته .

وكان الامام أبو حنيفة عالماً عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقيا كثير الخشوع دائم التضرع الى الله تعالى ، وحبس أيام المنصور وضرب أيام مروان بن محمد لامتناعه عن القضاء ، وكان أحمد بن حنبل اذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبى حنيفة وذلك بعد أن ضرب أحمدفى مسألة القرآن .

وكان ابو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس كثير الكرم حسن المواساة لإخوانه ، وكان ربعة من الرجال ، وقيل : كان طوالاً تعلوه سمرة ، أحسن الناس منطقاً وأحلاهم نغمة .

وذكر الخطيب فى تاريخه : أن أبا حنيفة رأى فى المنام كأنه ينبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من سأل ابن سيرين عن ذلك فقال : صاحب هذه الرؤيا يثور علماً لم يسبقه اليه أحد قبله .

قال الشافعى : قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة ؟ فقال : نعم رأيت رجلاً لو كلمته فى هذه السارية ـــ يعنى الاسطوانة ـــ أن يجعلها ذهباً لقام بحجته .

وقال الشافعى : من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة ، وكان ممن وفق له الفقه .

وقال جعفر بن ربيع : أقمت على أبى حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتا منه ، فاذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادى وسمعت له دويا وجهارة فى الكلام ، وكان اماما فى القياس ، وقال على بن عاصم : دخلت على أبى حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره ، فقال للحجام : تتبع مواضع البياض ، فقال الحجام : ولاتزد ، فقال : ولِمَ ؟ قال : لا يكثر قال : فتتبع مواضع السواد لعله يكثر ، وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك ، وقال : لو ترك ابو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام .

وقال ابن المبارك : قلت لسفيان الثورى يا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ، ما سمعته يغتاب عدوا له قط ، فقال : هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها ومناقبه وفضائله كثيرة .

ولد الامام ابو حنيفة بالكوفة سنة ثمانين وتوفى ببغداد ليلة النصف من شعبان سنة خمسين ومئة وعاش سبعين سنة ، وكان حسن الوجه والثياب وقد أثنى عليه الائمة قال ابو جعفر محمد بن على بن حسن : ما أحسن هديه وسمته وما أكثر فقهه ، وقال حماد بن ابى سليمان فى حقه : هذا مع فقهه يحيى الليل ويقومه ، وقال مسعر بن كدام : رحم الله أبا حنيفة ان كان لفقيهاً عالماً ، وقال حماد بن زيد : أردت الحج فأتيت أيوب السختيانى أودعه فقال : بلغنى أن فقيه الكوفة أبا حنيفة يريد الحج فاذا لقيته فأقرئه منى السلام . وخرج الأعمش يريد الحج فلما صار بالحيرة ـــ وهى مدينة بقرب الكوفة ـــ قال لعلى بن مسهر : اذهب الى أبى حنيفة

حتى يكتب لنا المناسك ، قال أراه بورك فى علمه ، وكان شعبة بن الحجاج حسن الرأى فى أبى حنيفة ، وكان يستنشد أبيات مساور الوراق :

اذا ما الناس يوماً قايسونا ... بآبدة من الفتيا طريفة
رميناهم بمقياس مصيب ... صليب من طراز أبى حنيفة
اذا سمع الفقيه به وعاه ... وأثبته بحبر فى صحيفة

وقيل لشعبة بن الحجاج : مات أبو حنيفة فقال : لقد ذهب معه فقه الكوفة تفضل الله علينا وعليه برحمته ، وسئل يحيى بن معين عنه فقال : ثقة ، هذا شعبة يكتب اليه أن يحدث ويأمره ، وشعبة شعبة . وسئل سفيان الثورى عن مسألة وقيل له قال فيها أبو حنيفة كذا وكذا فقال : هو كما قال . وقال أبو يوسف : كان سفيان أكثر متابعة منى لأبى حنيفة .

وقال الحسن بن صالح : كان أبو حنيفة فهماً عالماً متثبتاً فى علمه اذا صح عنده الخبر عن رسول الله ﷺ لم يعده إلى غيره . وقال سفيان بن عينية :أول من أقعدنى للحديث بالكوفة ابو حنيفة فى الجامع فحدثت الناس ، وأتينا سعيد بن أبى عروبة يوماً فقال : أتتنى هدية من عند أبى حنيفة أفنجعل لك فيها حظاً فقلت : متعك الله بنفسك وجزى المهدى اليك عمّا أهداه خيراً ، قال : كان لأبى حنيفة مروءة وكثرة صلات . وقال سعيد بن عروبة : كان ابو حنيفة عالم العراق ، وكان حماد بن زيد يحب أبا حنيفة ، وروى عنه أحاديث كثيرة . وقال القاضى شريك النخعى : كان ابو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المجادلة للناس . وقال ابن شبرمة عجزت النساء أن يلدن مثله .

وقال سعيد بن القطان حين سئل عنه : والله لا يكذب . انا ربما استحسنا الشىء من رأيه فأخذنا به ، وقال عبد الله بن المبارك : كان ابو حنيفة قديما أدرك الشعبى والنخعى وغيرهما من الأكابر ، وكان بصيراً بالرأى يسلم له فيه ، وكان ابن المبارك : يذكر عن ابى حنيفة كل خير ويزكيه ويثنى عليه ، وقال لرجل : لو رأيت أبا حنيفة لرأيت عقلاً ونبلاً ، وما رأيت أحداً أتقى لله من سفيان الثورى ، ولا أحداً أعقل من أبى حنيفة ، وقال ابن المبارك :

رأيت أبا حنيفة كل يوم	يزيد نباهة ويزيد خيرا
وينطق بالصواب ويصطفيه	اذا ما قال أهل الجور جورا
يقايس من يقايسه بلب	ومن ذا تجعلون له نظيرا
كفانا فقد حماد وكانت	مصيبتنا به أمراً كبيرا
رأيت أبا حنيفة حين يؤتى	ويطلب علمه بحرا غزيرا
اذا ما المشكلات تدافعتها	رجال العلم كان بها بصيرا

ومما يذكر من أقوال العلماء الأكابر فى ترجمة الإمام أبى حنيفة أن الامام الشافعى قال : من أراد علم المغازى والسير فهو عيال على محمد بن اسحاق ومن أراد الفقه فهو عيال على أبى حنيفة ، وكان مسلّما له فيه . وقال حجر بن عبد الجبار : ما رأى الناس أحداً أكرم مجالسة من أبى حنيفة ولا أشد إكراما لأصحابه منه ، وقيل للقاسم بن معن : أنت ابن عبد الله بن مسعود ترضى أن تكون من غلمان أبى حنيفة ؟ فقال : ما جلس الناس الى أحد أنفع مجالسة من أبى حنيفة ، تعال معى اليه فلما جاء جلس اليه ولزمه وقال ما رأيت مثل هذا ، قال سليمان بن أبى شيخ : كان ابو حنيفة حليماً ورعاً سخياً . وقال على بن الجعد : كنا عند زهير بن معاوية فجاءه رجل فقال له زهير : من أين جئت ؟ فقال من عند أبى حنيفة ، فقال زهير : ان ذهابك الى أبى حنيفة يوما واحدا أنفع لك من مجيئك الى شهراً وقال ابن جريج : بلغنى عن كوفيكم هذا — يعنى الامام أبا حنيفة انه شديد الخوف لله ، فلما مات ابو حنيفة قال ابن جريج : رحمه الله قد ذهب معه علم كثير . وقال عبد الرزاق بن همام : ما رأيت أحدا قط أحلم من أبى حنيفة لقد رأيته فى المسجد الحرام والناس يتحلقون حوله .

وقال خالد الواسطى ليزيد بن هارون : انظر فى كلام أبى حنيفة لتتفقه فانه قد احتيج اليه . وقال الفضل بن موسى السينانى : ان أبا حنيفة جاءهم بما يعقلونه وبما لا يعقلونه من العلم ولم يترك لهم شيئا فحسدوه .

وقال عيسى بن يونس : ما رأيت أفضل من أبى حنيفة ولا أورع منه ولا أفقه منه .

وقد أثنى على أبي حنيفة أكابر العلماء والفضلاء منهم زفربن الهذيل ومعمر بن راشد وعثمان البتى وابو مقاتل وأبو يوسف القاضى ويحيى بن آدم ومحمد بن السائب والفضل بن دكين ويحيى بن معين وابو بكر بن عياش وشقيق البلخى وغيرهم .

قال أبو يوسف : كنا نختلف فى المسألة فنأتى أبا حنيفة وكأنما يخرجها من كمه فيدفعها الينا . وقال حمزة بن المغيرة : كنا نصلى مع عمر بن ذر صلاة القيام فى رمضان فكان ابو حنيفة يجىء من موضع بعيد ومعه أمه فيصلى إلى قرب السحر ، وكان أبو يوسف يدعو له دبر صلاته مع دعائه لوالديه .

وقال سفيان الثورى : كان ابو حنيفة شديد الأخذ للعلم ذاباً عن حرمات الله ان تستحل يأخذ بما صح عنده .. وتزوج زفر بن الهذيل وحضر ابو حنيفة فقال له زفر : تكلم فخطب وقال : هذا زفر وهو امام من أئمة المسلمين وعلم من أعلامهم . وقال بعض قوم زفر : يحضر أشراف قومك وتسأل أبا حنيفة أن يخطب ؟ فقال : لو حضر أبى لقدمت أبا حنيفة عليه . وقال الامام مالك : لو جاء ابو حنيفة الى هذه الاساطين يعنى السوارى فقايسكم على أنها خشب لظننتم أنها خشب . ورأى ابو حنيفة كأنما نبش قبر النبى ﷺ فأخرج عظامه فاحتضنها ففسرها ابن سيرين باحياء سنة الرسول ، ورؤى فى المنام كأن نجما سقط فمات ابو حنيفة ورأى ابو رجاء محمد بن الحسن فى المنام فقال ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، قال : وأبو يوسف ؟ قال هو أعلى درجة منى — قال : فما صنع ابو حنيفة ؟ قال : هيهات هو فى أعلى عليين .

قال ابو تراب : ترجمته في تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢٣ والبداية ج ١٠ ص ١٠٧ والجواهر المضيئة والانتقاء ص ١٢٢ ومرآة الجنان ج ١ ص ٣٠٩ والوفيات ج ٢ ص ١٦٣ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ١٢ ونزهة الجليس للموسوى ج ٢ ص ١٧٦ وذيل المذيّل ص ١٠٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٢٦ والذريعة ج ١ ص ٣١٦ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ٦٣ ومطالع البدور وهادى المسترشدين .

ابن تيميـــة

شيخ الاسلام ابن تيمية هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرانى الدمشقى الحنبلى الملقب بتقى الدين ،قال الشوكانى فى « شرح الصدور فى تحريم رفع القبور » هو الإمام المحيط بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها ، وقال ابن فضل الله العمرى فى « مسالك الأبصار » هو العلامة الحافظ المجتهد الحجة المفسر شيخ الاسلام نادرة العصر علم الزهاد . وقال ابن رجب فى « طبقات الحنابلة » هو الامام الفقيه المجتهد المحدث المفسر الأصولى . وقال ابن عبد الهادى فى « تذكرة الحفاظ » هو شيخنا الامام الربانى امام الائمة ومفتى الأمة بحرالعلوم سيد الحفاظ ، فارس المعانى والألفاظ ، فريد العصر ، قريع الدهر شيخ الاسلام قدوة الأنام علامة الزمان ، ترجمان القرآن ، علم الزهاد ، أوحد العباد ، قامع المبتدعين ، علامة المجتهدين . وقال الشوكانى فى « البدرالطالع » هو شيخ الاسلام ، وإمام الائمة المجتهد المطلق ولد سنة احدى وستين وستمئة . وقال الحافظ ابن حجر فى « الدررالكامنة » نظر فى الرجال والعلل ، وتفقه ، وتمهر وتقدم وصنف ، ودرس وأفتى ، وفاق الأقران ، وصار عجبا فى سرعة الاستحضار وقوة الجنان ، والتوسع فى المنقول والمعقول ، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف ، وقال النواب القنوجى فى « التاج المكلل » لا أعلم بعد ابن حزم مثله ، وما أظن سمح الزمان ما بين عصرى الرجلين بمن يشابهما أو يقاربهما .

وقال الحافظ الذهبى : كان يقضى منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف استدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه ، وما رأيت أسرع منه انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التى يوردها ، ولا أشد منه استحضاراً للمتون ، كانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة ، وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه ، ولعل فتاواه فى الفنون تبلغ ثلاثمئة مجلد بل أكثر ، وكان

قوالاً بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وكان أبيض ، أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين ، جهورى الصوت فصيحا سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم ، ولم أر مثله فى اشتغاله واستعانته بالله وكثرة توجهه اليه وكبارهم خاضعون لعلمه معترفون بأنه بحر لا ساحل له وكنز ليس له نظير ، ولم يكن متلاعبا بالدين ولا يتفرد بمسائل بالتشهى ، ولا يطلق لسانه بما اتفق ، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر أسوة بمن تقدمه من الائمة فله أجر على خطئه وأنا أخالفه فى مسائل أصلية وفرعية فانه كان بشراً .

وقد ترجم عنه جماعة ومنهم من أفرد مناقبه فى مجلد ، وشهرته تغنى عن الإطناب ، وقد عنى بالحديث وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبرانى وما لا يحصى من الكتب ، وأقبل على العلوم فى صغره وبرع فى ذلك ، وقرأ العربية وبرز فى التفسير وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب ونظر فى الفلسفة وبرز فيها حتى على أهلها ورد على المنطقيين .

وتأهل ابن تيمية رحمه الله للفتوى والتدريس وله دون عشرين سنة ، وأفتى منذ ذلك ، وأمد بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الادراك والفهم وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد : انه لم يكن يحفظ شيئا فينساه ،وعظمه الناس وأثنوا عليه كثيراً ، ولم يزل فى علو وازدياد من العلم والقدر الى آخر عمره .

قال الذهبى : انه فريد الزمان علما ومعرفة وشجاعة وذكاء ،وتنويراً إلٓهياً وكرماً ونصحاً للأمة وأمراً بالمعروف ونهيا عن المنكر ، وحصل مالم يحصل غيره ، وغاص فى دقيق معانى التفسير بطبع سيال ،وخاطر الى مواقع الاشكال ميال ، واستنبط أشياء لم يسبق اليها ، وبرع فى حفظ الحديث مع شدة استحضاره وقت إقامة الدليل ، وفاق الناس فى معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين ، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً وتعليلا واختلافاً وعرف أقوال المتكلمين ونبه على أخطائهم ونصر السنة بأوضح حجج ،وأوذى فى سبيل الله من المخالفين ، حتى أعلى الله مناره ، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته ، وكبت اعداءه ، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل ، ولو حلفت بين الركن والمقام وبالطلاق ألف طلقة أنى ما رأيت مثله بعينى وأنه ما رأى مثل نفسه ما حنثت .

وقد قرأت بخط العلامة الزملكانى :كان ابن تيمية إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لايعرف غيره ، وحكم أن أحدا لا يعرف مثله ، وكان الفقهاء اذا جالسوه استفادوا منه اشياء حتى في مذاهبهم ، ولا يعرف انه ناظر أحداً فانقطع معه ، ولا تكلم فى علم الا فاق فيه أهله ، قال الذهبى : لا يبلغ أحد فى عصره رتبته ولا يقاربه وهو عجب فى استحضاره واستخراج الحجج واليه المنتهى فى الحديث بحيث يصدق عليه أن يقال : كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث .

وكان الحافظ المزى يبالغ فى تعظيم ابن تيمية والثناء عليه حتى كان يقول : لم ير مثله منذ اربعمئة سنة .

وأما شجاعة ابن تيمية فى المعارك الحربية فهى نادرة المثال وكان الملك شقحب يتعجب من اقدامه على المغول ، وكانت فيه قوة حدة وكأنه ليث حرب وله نظم قليل وسط ، ولم يتزوج قط ، ولا تسرى ، ولم يكن له من المعلوم إلا شىء قليل وأخوه كان يقوم بمصالحه وما كان يطلب منهم غداء ولا عشاء فى غالب الوقت .

وكان كريماً يسعى فى مصالح الناس وملبوسه كالفقهاء وهو فقيه لا مال له ، ولم ينحن لأحد قط ، وإنما كان يسلم ويصافح ويبتسم ، والمحن التى ابتلى فيها كثيرة ، وشرحها يطول ، وله مع أهل عصره قلاقل وزلازل تغلب فيها بالحق المؤيد والنصر المؤزر والتوكل على الله العزيز .

وتصانيفه أشهر من أن تذكر وقد سارت مسير الشمس فى الأقطار وامتلأت بها البلاد والأمصار وقد جاوزت حد الكثرة ، وكانت وفاته فى سحر ليلة الاثنين لعشر بقين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمئة ، وكان بالقلعة مريضاً محبوساً وامتد مرضه بضعة وعشرين يوماً ولم يفجأهم الا موته وختم فى القلعة ثمانين ختمة فلما انتهى الى قوله تعالى : « ان المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » فاضت روحه وحضر جنازته مئة ألف وصلى عليه فى غالب البلاد الاسلامية حتى الصين .

قال ابو تراب : ترجمته في الدرر الكامنة ج ١ ص ١٤٤ ، والبداية ج ١٤ ص ١٣٥ ، والنجوم الزاهرة ج ١ ص ٩٧١ ، والفوات ج ١ ص ٣٥ ، والمنهج الأحمد وابن الوردى ج٢ ص ٢٨٤ ، ودائرة المعارف ج ١ ص ١٠٩ .

ابن حجـــــر

الحافظ ابن حجر العسقلانى هو ابو الفضل احمد بن على بن محمد شهاب الدين المصرى الشافعى . قال سليم الخورى فى آثار الأدهار : وينعت بشيخ الاسلام ، ولد بمصر سنة أربع وسبعين وسبعمئة ونشأ بها يتيماً وحفظ القرآن وهو ابن تسع سنين ، وتفقه على الأنباسى والبلقينى ولازمهما مدة ، واشتغل بالعلم وحصل ، وارتحل الى الشام والحجاز فأخذ عن جماعة ثم اقتصر على علم الحديث ، وصنف كثيراً ، وله نظم جيد وخطب بليغة ، وتصانيفه شيء كثير ، وتوفى بمصر سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة ، وقد ترجمه تلميذه السخاوى فى كتاب مفرد سماه الجوهر والدرر فى ترجمة شيخ الاسلام ابن حجر وترجمه البلقينى أيضاً فى كتاب وقف عليه فى حياته . وترجم عنه آخرون كابن فهد والسيوطى وجمهرة من أصحاب رتب التراجم .

وفى دائرة المعارف للبستانى : جد فى الفنون حتى بلغ الغاية ، وعكف على الزين العراقى وانتفع به ، وأخذ عن الشيوخ وأذن له فى الافتاء والتدريس وتصدى لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفاً وشهد له أعيان شيوخه بالحفظ ، وزادت تصانيفه التى معظمها فى فنون الحديث وفنون الأدب والفقه وغير ذلك على مئة وخمسين تصنيفاً . ورزق فيها السعد والقبول خصوصاً : فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ، الذى لم يسبق لنظيره ، وقد بيع بثلاثمئة دينار . وله النظم البليغ الذى أفحم الشعراء والخطب البليغة .

قال ابو تراب : له ديوان شعر أبرزه الدكتور السيد ابو الفضل استاذ اللغة العربية بالجامعة العثمانية بالهند ونال به شهادة الدكتوراه وقد طبع هناك طباعة حجرية عادية سنة احدى وثمانين بعد ثلثمئة وألف فى نحو ستين ومئة صفحة .

قال الشوكانى في البدر الطالع : انه قال : لست راضيا عن شيء من تصانيفى لأنى عملتها في ابتداء الأمر ، ثم لم يتهيأ لى من يحرِّرها معى سوى شرح البخارى ومقدمته ، وكتاب المشتبه ، والتهذيب ، ولسان الميزان ، وقد أثنى على شرح البخارى بنفسه والتعليق والنخبة . ولا ريب ان اجل مصنفاته فتح البارى ، وكان تصنيفه على طريق الاملاء ، ثم صار يكتب من خطه مداولة بين الطلبة شيئا فشيئا ، والاجتماع في يوم من الأسبوع للمقابلة والمباحثة الى أن انتهى في سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة سوى ما ألحق فيه بعد ذلك . وقد سبقه إلى هذه التسمية شيخه صاحب القاموس ، فانه وجد في اسماء مصنفاته أن من جملتها فتح البارى في شرح صحيح البخارى وأنه كمل ربعه في عشرين مجلداً .

ولما كمل شرح البخارى تصنيفاً وقراءة عمل مصنفه رحمه الله وليمة عظيمة ، وقرأ المجلس الأخير وجلس المصنف على الكرسىّ ، قال تلميذه السخاوى : وكان يوماً مشهوداً لم يعهد أهل العصر مثله بمحضر من العلماء والقضاة والرؤساء والفضلاء ، وقال الشعراء في ذلك فاكثروا ، وفرق عليهم الذهب ، وكان المستغرق في الوليمة خمسمئة دينار . ووقعت في ذلك اليوم مطارحة أدبية .

قال النواب القنوجى في التاج المكلَّل : ولمَّا وقفت على هذه الحكاية عملت وليمة عظيمة على تفسيرى : « فتح البيان في مقاصد القرآن » عندما ختم طبعه في مصر ، وجمعت علماء البلد والطلبة ، وحضرت الرئيسة المعظمة « شاهجهان بيغم » وفرقت على الجماعة الحاضرة مبالغ من الفضة كثيرة ، وكان المصروف في أمر هذا التفسير خمسةً وعشرين ألف ربية وانما عملت هذا تشبهاً بالأئمة الكبار وأهل الحديث الأبرار وكانت تلك الوليمة على الحديث وهذه على التفسير .

وقال السخاوى في الضوء اللامع : إن الحافظ ابن حجر العسقلانى حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين عند الصدر السفطى وفي تاريخ مختصر التبريزي : وصلى به على العادة بمكة حيث كان بها مع وصيه الزكى الخروبى . كذلك حفظ العمدة وألفية العراق والحاوى الصغير ومختصر ابن الحاجب والملحة وغيرها . وبحث في صغره وهو بمكة العمدة على ابن ظهيرة ، ثم قرأ على الصدر الابشيطى بالقاهرة شيئاً من

العلوم وبعد بلوغه لازم وصيه الشمس ابن القطان في الفقه والعربية والحساب وغيرها . وقرأ عليه جانبا كبيراً من الحاوى ، وكذا لازم في الفقه والعربية البدر الأدمى ، وتفقه بالأنباسى ، وبحث عليه في المنهاج وغيره . وأكثر من ملازمته لاختصاصه بأبيه ، ولازم البلقينى مدة وحضر دروسه الفقهية وقرأ عليه الكثير من الروضة ومن كلامه على حواشيها ، سمع عليه بقراءة البرماوى في مختصر المزنى وقرأ على ابن الملقى قطعة كبيرة من شرحه الكبير على المنهاج ، ولازم العز ابن جماعة في غالب العلوم التى كان يقرئها دهراً ، ومما أخذه عنه في شرح المنهاج الأصل وفي شرح جمع الجوامع وشرحه للعز وفي المختصر الأصل والنصف الأول من شرحه للعضد . وفي المطول من علق عنه بخطه أكثر من شرح جمع الجوامع .

وحضر ابن حجر دروس الهمام الخوارزمى ، ومن قبله دروس قنبر العجمى ، وأخذ ايضا عن البدر ابن الطنبدى وابن الصاحب والشهاب البوصيرى والجمال الماردانى الحاسب ، وأخذ اللغة عن صاحب القاموس والعربية عن الغمارى والمحب ابن هشام ، والأدب والعروض ونحوهما عن البشتكى ، والكتابة عن الزفتاوى والبدماصى ، والقراءات عن التنوخى قرأ عليه بالسبع ، وجوده قبل ذلك على غيره .

وجد في الفنون حتى بلغ الغاية . ثم حبب الله اليه الحديث فأقبل عليه بكليته ، وطلبه من سنة ثلاث وتسعين وسبعمئة وهلم جرا ، ولم يلزم الطلب الا من سنة ست وتسعين وسبعمئة فعكف على الزين العراق وتخرج به وانتفع بملازمته وقرأ عليه ألفيته وشرحها ، والنكت على ابن صلاح دراية وتحقيقا .

قال ابو تراب : وتوجد منه نسخة عتيقة مخطوطة في مكتبة الشيخ سليمان الصنيع رحمه الله . وقرأ ابن حجر على الحافظ العراقى الكثير من الكتب الكبار والأجزاء القصار ، وحمل عنه من أماليه جملة ، واستملى عليه بعضها .

وتحول إلى القاهرة فسكنها قبيل القرن ، وارتحل الى البلاد الشامية والمصرية والحجازية ، وأكثر جدا من المسموع والشيوخ فسمع العالى والنازل ، وأخذ عن الشيوخ والأقران ممن دونهم ، واجتمع له من الشيوخ المشار اليهم والمعول عليهم في المشكلات ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره لأن كل واحد منهم كان متبحراً في علمه رأسا في فنه الذى اشتهر به لا يلحق فيه فالتنوخى في معرفة القراءات وعلو قدره

فيها ، والعراقي في معرفة الحديث وعلومه ومتعلقاته ، والهيثمى في حفظ المتون واستحضارها ، والبلقينى في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع وابن الملقن في كثرة التصانيف والفيروزابادى في حفظ اللغة واطلاعه عليها والغمارى في معرفة العربية ومتعلقاتها ، والمحب ابن هشام كان حسن التصرف فيها لوفور ذكائه وكان الغمارى فائقا في حفظها ، وابن جماعة في تفننه في علوم كثيرة بحيث انه كان يقول : أنا أقرىء في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصرى اسماءها ، وأذن له جلهم أو جميعهم في الافتاء والتدريس .

قال ابو تراب : وقد اطلعت على مجلد ضخم من تصانيفه اسمه : المعجم المفهرس فيه أسماء شيوخه ومروياته وأسانيده وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية وذكر فيه البدر العينى .

وتصدى الحافظ ابن حجر لنشر الحديث النبوي وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وحفظاً وتدريساً وتصنيفاً وافتاء وشهد له أعيان شهوده بالحفظ وزادت تصانيفه التى معظمها في الحديث وفنونه ، وفيها من فنون الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مئة وخمسين مصنفا ، ورزق فيها من السعد والقبول أمراً عجباً ، حتى ان فتح البارى بشرح صحيح البخارى الذى لم يسبق له نظير ، وقيل لمن تصدى بعده للشرح : « لا هجرة بعد الفتح » اشتد في طلبه ملوك الأطراف ، وبيع في زمنه بنحو ثلاثمئة دينار . وانتشر في الآفاق . وطبع مراراً بالهند ومصر وهو الآن يطبع باشراف وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس المجلس الأعلى للبحوث الاسلامية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية وخرجت منه عدة مجلدات .

وآعتنى بتصانيفه وتحصيلها كثير من شيوخه وأقرانه ومن دونهم ، وكتبها الأكابر وانتشرت في حياته ، وأقرأ الكثير منها وحفظ غير واحد من الابناء عدة منها . وعرضوها على جارى العادة على مشايخ العصر ، وأنشد من نظمه في المحافل ، وخطب على المنابر من ديوانيه لبليغ نظمه ونثره .

وقبل الدخول في القضاء في أيام المؤيد بعد تصميمه على الرفض وصرف عنه ثم أعيد الى أن أخلص في الاقلاع عنه سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة ، وتولى القضاء نحو

أكثر من احدى وعشرين سنة ، ثم زهد فيه وتوكل ولم تبق شعره في بدنه تقبله لكثرة النكد وكان مبتلى بولده .

ودرس ابن حجر في أماكن عديدة فالتفسير بالحسينية والمنصورية ، والحديث بالبيبرسية والجمالية المستجدة والحسنية والزينبية والشيخونية ، وجامع طولون ، والقبة المنصورية ، والاسماع بالمحمودية ، والفقه بالخروبية البدوية بمصر ، والشريفية الفخرية والشيخونية والصالحية النجمية والصلاحية المجاورة للشافعى والمؤيدية وولـي مشيخة البيبرسية ونظرها ، والافتاء بدار العدل والخطابة بجامع الأزهر ثم بجامع عمرو ، وخزن الكتب بالمحمودية وأشياء غير ذلك . وأملى الحافظ ابن حجر ما ينيف على ألف مجلس من حفظه .

قال أبو تراب : وقد اطلعت على مجلدات كثيرة من أماليه في دار الكتب المصرية والحمد لله . واشتهر ذكره وبعد صيته وارتحل إليه الائمة ، وكان رؤوس العلماء من كل مذهب من طلبته وتلامذته ، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى ، وألحق الأبناء بالآباء والأحفاد بل ابناءهم بالأجداد بالأسانيد العوالى ، وقهرهم بذكائه ، وتفوق تصوره ، وسرعة إدراكه واتساع نظره ووفور آدابه ، وامتدحه فحول الشعراء وطارت فتواه التى لا يمكن دخولها تحت الحصر فى الآفاق ، وحدث بأكثر مروياته كل ذلك مع شدة تواضعه وحلمه وبهائه وتحريه فى مأكله ومشربه وملبسه وصيامه وقيامه وبذله وحسن عشرته ومزيد مداراته ولذيذ محاضراته ورضى أخلاقه وميله لأهل الفضائل وإنصافه في البحث ورجوعه إلى الحق وخصاله التى لم تجتمع لأحد من أهل عصره .

وقد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامة والذهن الوقاد والذكاء المفرط وسعة العلم في فنون شتى وشهد له شيخه العراق بأنه أعلم أصحابه بالحديث ، وقال كل من التقى الفاسى والبرهان الحلبى ، ما رأينا مثله ، وسأله الفاضل تغرى برمش الفقيه : أرأيت مثل نفسك؟ فقال : قال الله تعالى «فلا تزكوا أنفسكم » ولما مات ابن حجر سنة اثنتين وخمسين وثمانمئة كان له مشهد لم ير مثله في عصره وشهد صلاته أمير المؤمنين والسلطان ودفن تجاه قبر الديلمى بالقرافة .

وقال ابن فهـد المكى في كتاب : « لحظ الألحاظ » .. ابن حجـر العسقلانى هو الامام العلامة الحافظ فريد الوقت مفخر الزمان بقية الحفاظ علم

الائمة الأعلام عمدة المحققين خاتمة الحفاظ المبرزين والقضاة المشهورين ، أدخل الكتاب بعد إكمال خمس سنين وكان لديه ذكاء وقوة حافظة بحيث أنه حفظ سورة مريم في يوم واحد ، وكان يحفظ الصحيفة من كتاب الحاوى من مرتين الأولى تصحيحا والثانية قراءة في نفسه ثم يعرضها حفظا في الثالثة . وحج وجاور بمكة سنة خمس وثمانين وثمانمئة فسمع بها اتفاقاً على العفيف النشاورى صحيح البخارى وهو أول شيخ سمع عليه الحديث ، ثم سمع البخارى بمصر على عبد الرحيم بن رزين ، وطلبه بعد ذلك من جماعة من شيوخها والقادمين اليها من ذوى الإسناد العالى كابن أبى المجد والبرهان الشامى وعبد الرحمن بن الشيخة والحلاوى والسويداوى ومريم ابنة الأذرعى ، ورحل الى دمشق فأدرك بها أصحاب القاسم بن عساكر . والحجار ، وممن أجاز له سليمان بن حمزة وأشباههم .

وحج ابن حجر مرات وسمع بالاسكندرية والحرمين وبيت المقدس والخليل ونابلس والرملة وغزة وبلاد اليمن وغيرها على جمع من الشيوخ ، ومسموعاته لا تعد ، وكان أول ما نظر في الأدب والتاريخ ففاق فيهما وله الشعر الحسن الذى هو أرق من النسيم وطارح به الأدباء ، وكان أحسن الله إليه في حال طلبه مفيداً في زى مستفيد الى ان انفرد في الشعوبية بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لاسيما رجاله وما يتعلق بهم فألف التآليف المفيدة المليحة الجليلة السائرة ، الشاهدة له بكل فضيلة والدالة على غزارة فوائده ، والمعربة عن حسن مقاصده ، جمع فيها فأوعى ، وفاق أقرانه جنساً ونوعاً التى تشنفت بسماعها الأسماع ، وانعقد على كمالها لسان الإجماع ، فرزق فيها الحظ السامى عن اللمس ، وسارت بها الركبان سير الشمس .

قال ابو تراب : ومن كتبه « تغليق التعليق » وهو كتاب عظيم وقفت عليه بمكتبة الأزهر وصل فيه ما ذكره البخارى في صحيحه تعليقاً ولم يفته في ذلك الا القليل ، وشهد له كبار الشيوخ بأنه لم يسبق إلى مثاله وهو له مفخرة ، وقدره كقدر مقدمة فتح البارى ، واختصره أيضا مرتين باسم التشويق وباسم التوفيق ، ومن كتبه تهذيب التهذيب والتقريب والاصابة واتحاف المهرة وهو موجود بالآستانة وحيدر أباد ، وأطراف المسند ولسان الميزان وغيرها ، وقد عاده في مرضه الذى توفى فيه القاضى سعد الدين الديرى فأنشده :

قرب الرحيل الى ديار الآخرة يا ربّ فاجعل خير عمرى آخره
وارحم مبيتى في القبور ووحدتى وارحم عظاما حين تبقى ناخرة
فأنا المسيكين الذى ايامه ولّت بأوزار غدت متواترة
ولئن رحمت فأنت أكرم راحم فبحار جودك يا آلهى زاخرة

قال السيوطى في ذيل طبقات الحفاظ للذهبى ص ٢٨٢ : وقد غلّق ابن حجر باب الحديث بعده وختم هذا الشأن وأمطر السماء على نعشه وأنشد شهاب المنصورى في الحال :

قد بكت السحب على قاضى القضاة بالمطر
وانهدم الركن الذى كان مشيداً من حجر

قال ابو تراب : ترجمته فى التبر المسبوك ص ٢٣٠ ، وابن شقدة خط والدرر خط والضوء اللامع ج ٢ ص ٣٦ ، والبدر الطالع ج ١ ص ٨٧ ، ورفع الإصر ج ١ ص ٥٨ .

ابن الجـــوزى

الحافظ ابن الجوزى هو ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد القرشى التيمى البكرى البغدادى من بنى محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو من فقهاء الحنابلة ، كان واعظاً منقطع النظير ، ولقبه جمال الدين ، توفى سنة سبع وسبعين وخمسمئة رحمه الله .

وكان علّامة عصره ، وامام وقته في الحديث ، والوعظ ، وصنف في فنون عديدة ، وله في الحديث تصانيف كثيرة ، ومنها كتاب الموضوعات في اربعة أجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع للتنبيه .

وكتبه كثيرة جدّاً ، وكتب بخطه شيئا كثيراً ، قال النواب والناس يغالون في ذلك حتى قالوا : جمعت الكراريس التى كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة وكان ما خص كل يوم تسع كراريس ، وهذا شيء لا يكاد يقبله العقل .

ويقال : انه جمعت براية أقلامه التى كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذى يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك فكفت ، وفضل منها .

وله أشعار كثيرة ، وكانت له في مجلس الوعظ أجوبة نادرة ، فمن أحسن ما يحكى عنه أنه وقع النزاع ببغداد في المفاضلة بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما فرضى الكل بما يجيب به الشيخ ابو الفرج فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك وهو على الكرسى في مجلس وعظه ، فقال : أفضلهما بعد الرسول من كانت ابنته تحته ، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك فقال أهل السنة : هو أبوبكر لأن ابنته عائشة تحت رسول الله ﷺ ، وقال آخرون : هو علي بن أبي طالب لأن فاطمة بنت الرسول تحته ،

وهذه من لطائف الأجوبة ، ولو حصل مثل هذا الجواب بعد الذكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة وقد لجأ الى ذلك خوفاً من الفتنة وتخلصاً من تألب الناس عليه في ذلك المأزق ، وله محاسن كثيرة يطول شرحها .

وكانت ولادته بطريق التقريب سنة ثمان وخمسمئة أو سنة عشر ، وتوفي ليلة الجمعة ، لاثنتى عشرة مضين من رمضان سنة سبع وتسعين من القرن السادس ببغداد في بيته ودفن بباب حريب ، والجوزى نسبة الى فرضة الجوز ، وهو موضع مشهور .

وفي طبقات ابن رجب وصفه بالحافظ المفسر الفقيه الواعظ الأديب شيخ عصره وإمام وقته ، ولمّا ترعرع حملته أمه الى مسجد الحافظ ابن ناصر ، فاعتنى به وأسمع الحديث وحفظ القرآن ، وقرأه على جماعة من ائمة القراء ، وسمع بنفسه الكثير وعنى بالطلب .

وقال ابن الجوزى : كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم ، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، وكانت همتى تجويد العدد ، لا تكثير العدد ، وقال ابن رجب : ووعظ وهو صغير جداً ، وأخذ في التصنيف والجمع ، ونظر في جميع الفنون وألف فيها ، وكان أكثر علومه يستفيدها من الكتب ، وعظم شأنه في ولاية الوزير ابن هبيرة ، وكان يتكلم عنده في داره كل جمعة ، قال : فتكلمت وكان يقدر جمع مجلسى على الدوام بعشرة آلاف وخمسة عشر ألفاً ، فظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون فأعاننى الله سبحانه وتعالى عليهم ، وكانت كلمتنا هي العليا .

قال ابن رجب : وكان الشيخ يظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد وأصحابه ، ويذم من خالف طريقة السلف ، وقيل له مرة : قلل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن ، فأنشد قول قيس :

وأمّا من هوى ليلى وتركى   زيارتها فانى لا أتوب

وقال ابن الجوزى : انتهى تفسيرى للقرآن في المجلس على المنبر الى أن تم فسجدت على المنبر سجدة الشكر ، وقلت : ما عرفت واعظاً فسر القرآن كله في مجلس الوعظ منذ نزل القرآن ، ثم ابتدأت يومئذ في ختمة أفسرها على الترتيب ، والله قادر على الانعام والاتمام والزيادة من فضله .

وكان يقول : إذا خلوت في البيت غرست الدر في أرض القراطيس وإذا جلست للناس دفعت بدرياق العلم سموم الهوى ، أحميكم عن طعام البدع وتأبون الا التخليط ، والطبيب مبغوض .

وكتب اليه رجل في رقعة : والله ما أستطيع أن أراك ، فقال : أعمش وشمس ، كيف يراها ، وكان أهل الاهواء يكرهونه لأنه كان يشن عليهم النكير ، وقال : ما فيك عيب الاَّ انك حنبلى فقال منشداً :

وعيرنى الواشـون أنى أحبهـا وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ثم قال : هذا عيبى عندهم أنى سلفى ، ولا عيب في وجه نقطت صفحته بالخال وأنشد :

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

قال : وكان الخلفاء والسلاطين يحضرون مجلس وعظى ، وأمَّا سائر الناس فلا تسأل عنهم ، فربما وصل الجمع الى مئة ألف وزيادة وتاب خلق كثير على يديَّ ، وهم أكثر من مئة ألف ، وصار لى اليوم مئة وخمسون مصنفاً ، ولم ير واعظ مثل جمعى ، فقد حضر مجلسى الخليفة والوزير وصاحب المخزن وكبار العلماء والحمد لله على نعمه ، وسمع المستضىء بالله ابن الجوزى وهو ينشد تحت داره :

ستنقلك المنايا عن ديارك ويبدلك الردى داراً بدارك
وتترك ما عنيت به زمانا وتنقل من غناك الى افتقارك
فدود القبر في عينيك يرعى وترعى عين غيرك في ديارك

فجعل أمير المؤمنين يمضى في قصره ، ويقول : اى والله (وترعى عين غيرك في ديارك) ويكررها ويبكى حتى الليل .

وحاصل الأمر ان مجالس وعظه لم يكن لها نظير ، ولم يسمع بمثلها ، وكانت عظيمة النفع ، يتذكر بها الغافلون ، ويتعلم منها الجاهلون ويتوب فيها المذنبون ، ويسلم فيها المشركون ، ويتسنن فيها المبتدعون ، قيل : انه كان إذا أراد أبكى الناس من الخوف ، وإذا أراد أضحكهم من السرور والبهجة في آن واحد ، فسبحان واهب هذه القدرة العجيبة .

قال ابن الجوزى وهو يصف حفظه الحديث : لا يكاد يذكر لى حديث الاَّ ويمكننى أن أقول هذا صحيح أو حسن أو محال .

وقال ابن المظفر سبط ابن الجوزى : أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف نفس ، وربما حضر عنده مئة ألف ، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره : كتبت باصبعى هاتين ألفى مجلدة وتاب على يدى مئة ألف ، وأسلم على يدى عشرون ألف يهودى ونصرانى .

قال : وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام ، وما مازح أحداً قط ، ولا لعب مع صبى ، ولا أكل من جهة لا يتبين حلها وما زال على هذا الأسلوب حتى توفاه الله تعالى .

وقال الامام ناصح الدين الحنبلى : اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره ، وكانت مجالسه في الوعظ جامعة الحسن والإحسان باجتماع طراق بغداد ، وانضياف الناس ، وحسن الكلمات المسجعة والمعانى المودعة ، والألفاظ الرابحة ، وقراءة القرآن بالصوت الحسن ، وصيحات الواجدين ، ودمعات الخاشعين ، وإنابة النادبين وذل التائبين والاحسان بما يفاض على المستمعين من رحمة أرحم الراحمين .

قال ابن الدبيثى في ذيل تاريخ ابن السمعانى : انتهت معرفة الحديث وعلومه الى ابن الجوزى في عصره ، والوقوف على صحيحه من سقيمه ، وله من المسانيد والأبواب والرجال ومعرفة ما يحتج به في أبواب الأحكام والفقه ، وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية والموضوعة ، والانقطاع والاتصال ، وله في الوعظ العبارة الرائقة ، والاشارة الفائقة ، والمعانى الدقيقة ، والاستعارة الرشيقة ، وكان من أحسن الناس كلاماً ، وأتمهم نظاماً ، وأعذبهم لساناً وأجودهم بياناً ، وبورك له في عمره وعلمه ، فروى الكثير ، وسمع منه الناس أكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مراراً .

ولم يسافر ابن الجوزى إلاَّ الى مكة ، ولقد كان جمالاً لأهل بغداد خاصة وللمسلمين عامة ، وقيل : لمذهب أحمد منه ما لحضرة القدس من القدس .

وقال الموفق عبداللطيف : كان ابن الجوزى لطيف الصوت ، حلو الشمائل رحيم النغمة ، موزون الحركات ، لذيذ المفاكهة ، لا يضيع من زمانه شيئا ، وربما حضر مجلسه مئة ألف أو يزيدون ، وكان يكتب في اليوم أربع كراريس ، ويرتفع له كل

سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً الى ستين ، وله في كل علم مشاركة لكنه كان في التفسير من الأعيان ، وفي الحديث من الحفاظ ، وفي التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه كاف ، وأمَّا السجع الوعظيُّ ، فله فيه ملكة قوية ، ان ارتجل أجاد ، وان روى أبدع ، وله في الطب كتاب اللقط ، وكان يراعى حفظ صحته ، وتلطيف مزاجه ، وما يفيد عقله قوة وذهنه حدة ، جل غذائه الفراريخ والمزاوير ، ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات ، ولباسه أفضل لباس ، وهو الأبيض الناعم المطيب ونشأ يتيماً على العفاف والصلاح ، وله ذهن وقاد وجواب حاضر ، ودعابة لطيفة حلوة لا ينفك من جارية حسناء .

وذكر غير واحد انه شرب دواء حب البلاذر فسقطت لحيته وكانت قصيرة جداً وكان يخضبها بالسواد ، وصنف في جواز الخضاب بالسواد مجلداً .

وذكره ابن البزورى في تاريخه وأطنب في وصفه فقال : اصبح في مذهبه اماماً يشار اليه ، ويعقد الخنصر في وقته عليه ، فبنى لنفسه مدرسة ووقف عليها كتبه ، برع في العلوم وتفرد بالمنثور والمنظوم ، وفاق ادباء عصره ، وعلا فضلاء دهره ، وله التصانيف سئل عن عددها فقال : زيادة على ثلاثمئة واربعين مصنفاً ، ومنها ما هو عشرون مجلداً ، ومنها ما هو في كراسة واحدة ، ولم يترك فنا من الفنون إلاَّ وله فيه مصنف ، وكان واحد زمانه ، وما أظن الزمان يسمح بمثله ، وكان إذا وعظ اختلس القلوب وشقق النفوس دون الجيوب .

وذكره ابن العماد الكاتب في الخريدة ، وابن خلكان والحموى وابن النجار وابو شامة وغيرهم فأثنوا عليه مع أن اشتهاره بالعلوم والفضائل يغنى عن الاطناب في ذكره ، والإسهاب في أمره ، فقد بلغ ذكره مبلغ الليل والنهار ، وسارت بتصانيفه الركبان الى أقطار الأرض ، وقال ابن النجار : له حظ من الأذواق الصحيحة ونصيب من شرب حلاوات المناجاة ، وقد ذكر ابن القادسى : أنه كان يقوم الليل ولا يكاد يفتر عن ذكر الله تعالى .

وأثنى الشيخ موفق الدين المقدسى على الحافظ ابن الجوزى فقال : كان حافظاً للسنة الاَّ اننا لم نرض تصانيفه ولا طريقته ، قال النواب : أخذوا عليه أغلاطه في

تصنيفاته وعذره في هذا واضح وهو أنه مكثر من التصانيف . فيصنف الكتاب ولا يعتبره بل يشتغل بغيره ، ولولا ذلك لم تجتمع له هذه المصنفات الكثيرة ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم ، وهذا الكلام منقول عن ابن القادسي .

ولهذا نقل عنه انه قال : أنا مرتب ولست بمصنف وكذلك أخذوا عليه ما يوجد في كلامه من الترفع ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف والله يسامحه ومنها ميله الى التأويل أحيانا .

وكان شيخه ابن ناصر يثنى عليه كثيراً ، وقال : نفعه الله بعلمه ، ونفع به ، وبلغه غاية العمر ، لينفع المسلمين وينصر السنة وأهلها ، ويدحض البدع وحزبها ، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : كان الشيخ ابو الفرج متفننا كثير التصانيف ، له مصنفات في أمور كثيرة ، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف ، ورأيت له بعد ذلك ما لم أره ، وله من التصانيف في الحديث وفنونه ما قد انتفع به الناس وهو كائن من أجود فنونه .

وله جزء في مناقب أهل الحديث في مجلد ، وله تفسير جليل ومن كلامه الحسن العذب في المجلس أنه قال للحاضرين وقد طربوا من أجوبته وحسن محاضرته : فَهِمْتم فَهِمْتم ، وقال يوماً : شهوات الدنيا أنموذج والأنموذج يعرض ولا يقبض ، وسأله رجل : أيّما أفضل ، أسبح أو أستغفر ؟ فقال : الثوب الوسخ أحوج الى الصابون من البخور .

ومن كلامه : من قنع طاب عيشه ، ومن طمع طال طيشه ، وسئل : كيف ضرب عمر رضي الله عنه بالدرة الأرض ؟ فقال : الخائن خائف ، والبرىء جرىء ، فقال : الدنيا دار الآله والمتصرف في الدار بغير أمر صاحبها لص .

وسأله سائل : هل يجوز أن أفسح لنفسى في مباح الملاهى ؟ فقال : عند نفسك من الغفلة ما يكفيها فلا تشغلها بالملاهى بلاهى ، وقال في قول فرعون : « وهذه الأنهار تجرى من تحتى » قال : افتخر بنهر ما أجراه ، ما أجرأه .

وسئل يوماً ما تقول في الغناء ؟ فقال : أقسم بالله لهو لهو ، وقال يوماً : ما عزّ يوسف إلاّ بترك ما ذل به ماعِزّ ، وقرىء بين يديه يوماً : « وكل من عليها فان » فقال : هذا والله توقيع بخراب البيوت .

وقال يوماً في مناجاته : آلهى لا تعذب لسانا يخبر عنك ، ولا عيناً تنظر في علوم تدل على مناجاتك ، ولا قدماً تمشى الى مسجدك ولا يداً تكتب حديث رسولك ، فبعزتك لا تدخلنى النار ، فقد علم أهلها أنى كنت أذب عن دينك ، وآرحم عبرة تترقرق على ما فاتها منك ، وكبداً تحترق على بعدها عنك ، آلهى علمى بفضلك يطمعنى فيك ، ويقينى بسطوتك لا يُوئسُنِي منك ، كلما رفعت ستر الشوق اليك مسكه الحياء منك ، الهى لك أذِلّ ، وبك أُذِل وعليك أُدُلّ ثم أنشد :

أحيى بذكرك ساعة وأموت   لولا التعلل بالمنى لفنيت

وقال أبوشامة : شعر ابن الجوزى عشر مجلدات . وقرأ عليه تفسيره (زاد المسير) ابو عبدالله ابن تيمية خطيب حران بحثا ومراجعة .

وقد أطنب ابن رجب في ترجمة ابن الجوزى ، وذكر من أسامى كتبه المؤلفة ما يطول ذكرها ، وكتب من أحوال مجالسه الوعظية ورفعة شأنه وعلو مكانه في العلوم وعند الناس شيئا كثيراً .

قال صديق حسن : ولا ريب انه كان عموداً من عمد الاسلام وفخراً من مفاخر الأنام ، حسنة من حسنات الليالى والأيام، وناصراً من أنصار السنة المطهرة ، ومفسراً من مفسرى الكتاب ومحدثا جليلا من محدثى الآثار ، رادّاً على المبتدعين باغضاً لهم عارفاً بصحيح الحديث من سقيمه ، وضعيف الآثار من موضوعها ، إماماً في الجرح والتعديل ، استاذاً للأئمة الكبار بلا مدافعة ، واعظاً نبيلاً لم تر عين مثله في الوعاظ بليغاً أديبا شاعراً كاملاً لم يخلف مثله في الديار ، وفضائله أجل من أن تحصر ، ومناقبه كثيرة .

ومن شعره الذى جمع في عشر مجلدات قوله :

سلام على الدار التى لا تزورها ٭ على أن هذا القلب فيها أسيرها
إذا ما ذكرنا طيب أيامنا بها ٭ توقد في نفس الذكور سعيرها

رحلنا وفي سر الفؤاد ضمائر * إذا هبَّ نجدىّ الصبا يستثيرها
محت بعدكم تلك العيون دموعها * فهل من عيون بعدها نستعيرها
أننسى رياض الروض بعد فراقها * وقد أخذ الميثاق منك غديرها
سقى الله أياماً مضت ولياليا * تضوّع ريَّاها وفاح عبيرها

وقد امتحن ابن الجوزى في آخر عمره وحديث محنته يطول وفي كتب التواريخ تفاصيل قصتها ، وقد نظم فيها قصيدة مطلعها :

الله اسأل أن يطوّل مدتى * وأنال بالإنعام ما في نيتى
لى همة في العلم ما من مثلها * وهى التى جنت النحول هى التى

ويذكر في هذه القصيدة مجالس علمه ، وكان نظمها أيام كان محبوساً بواسط ، قال ابو المظفر : نزل من المنبر فمرض خمسة أيام وتوفى في داره ليلة الجمعة سنة سبع وتسعين وخمسمئة واجتمع أهل بغداد ، وغلقت الأسواق ، وجاء أهل المحال ، وشدوا النعش بالحبال ، وذهبوا به إلى البرية مكان جلوسه فصلَّى عليه ابنه ابو القاسم على اتفاقاً ، لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور فصلوا عليه وضاق بالناس ، وكان يوماً مشهوداً ، ولم يصل إلى حضرة قبره عند قبر الامام أحمد بن حنبل الاّ وقت صلاة الجمعة ، وتقطع الكفن من كثرة الزحام وما وصل الى قبره منه الاّ القليل ، ونزل في الحفرة والمؤذن يقول : الله أكبر ، وحزن عليه الناس كثيراً وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات .

وبكوا بكاءاً شديداً ، ورآه تلك الليلة المحدث أحمد بن سليمان الحربى على منبر من ياقوت مرصع بالجواهر. والملائكة بين يديه وهو يخطب ، وكان قد أوصى أن يكتب على قبره :

يا كثير العفو عمّن كثـر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

ورثاه القادرى بقصيدة منها قوله :

الدهر عن طمع يغر ويخدع * وزخارف الدنيا الدنية تطمع
وأعنة الآمال يطلقها الرجا * طمعاً وأسياف المنية تقطع
والموت آت والحياة مريرة * والناس بعضهم لبعض يتبع
وأعلم بأنك عن قليل صائر * خبراً فكن خبراً بخير يسمع

قال ابو تراب : ترجمته فى البداية ج ١٣ ص ٢٨ ، والوفيات ج ١ ص ٢٧٩ ، ومرآة الزمان ج ٨ ص ٤٨١ ، والكامل ج ١ ص ٢٢٨ ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٧ وذيل الروضتين ص ٢١ .

الــذهبـــــى

الحافظ الكبير الذهبى هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابوعبدالله شمس الدين الدمشقى الفارقى الشافعى ، ولد بدمشق سنة ثلاث وسبعين وستمئة ، وتوفي سنة ثمان وأربعين وسبعمئة ودرس الحديث من صغره ، ورحل في طلبه حتى أتقنه ، ثم انتقل إلى مصر وقرأ فيها العلوم الشرعية ، وسمع من خلائق يزيدون على ألف ومئتين ، وأخذ الفقه عن الكمال الزملكانى وابن قاضى شهبة ، ولمّا عاد إلى دمشق عين استاذا للحديث في مسجد أم صالح ثم في المدرسة الأشرفية وغيرها .

وسمع من الجمع الكثير ، وما زال يخدم علم الحديث إلى أن رسخت فيه قدمه ، وتعب الليل والنهار ، وما تعب لسانه وقلمه ، وضربت باسمه الأمثال ، وأقام بدمشق يرحل اليه من سائر البلاد .

وترد عليه اسئلة من كل ناد ، وأطنب في ترجمته السبكى وقال البزرالى في معجمه : الذهبى رجل فاضل صحيح المذهب اشتغل وحصل ورحل وكتب الكثير .

وقال ابن شاكر الكتبى : الذهبى حافظ لا يجارى ، ولاحظ لا يبارى ، أتقن الحديث ورجاله ، ونظر علله وأحواله ، وعرف تراجم الناس ، وأزال الإبهام في تواريخهم والألباس ، جمع الكثير ، ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفر بالاختصار مئونة التطويل في التأليف ، له تاريخ الإسلام في اثنى عشر مجلداً وقيل يزيد على عشرين مجلدا ، واختصر منه العبر وسير النبلاء وملخص التاريخ وطبقات القراء وطبقات الحفاظ والاشارة وغير ذلك ، ومن كتبه ميزان الاعتدال والتجريد في أسماء الصحابة وكتاب العلوم والتذهيب ودول الإسلام والرواة المتكلم فيهم والمشتبه في رجال الحديث وكل هؤلاء مطبوع وله مصنفات كثيرة منها المختصرات وأغلبها في

التراجم فان الذهبى صرف حياته كلها في علم أسماء الرجال والتاريخ فأفاد وأجاد وكان يضرب بحفظه المثل حتى ان الحافظ ابن حجر لما وصل إلى زمزم وشرب دعا الله عز وجل أن يجعله كالذهبى في الحفظ ، وقد أضر ببصره في آخر حياته .

وقال في البدر الطالع : إنه مهر في الحديث وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثيرة ، وقال الحافظ ابن حجر : كان أكثر أهل عصره تصنيفاً وجمع تاريخ الاسلام فأربى فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدثين خصوصاً ، قال النواب : لعله يزيد على عشرين جزءاً ، وكتاب الميزان فى نقد الرجال كتاب مختص بالضعفاء وهو مفيد جداً .

وجميع مصنفاته مرغوب فيه ، رحل اليه الناس لأجل كتبه وأخذوها عنه وتداولوها وقرأوها وكتبوها في حياته وطارت في جميع بقاع الأرض وله فيها تعبيرات رائقة وألفاظ رشيقة لم يسلك في مسلك أهل عصره ، ولا من قبلهم .

قال النواب : وكان الذهبى محبا للحديث ، ومصنفاته تشهد له بالانصاف والذبّ عن الأفاضل ، وهذا هو الحق فلا يلتفت الى تشنيع السبكى عليه بأنه كان يطيل تراجم الظاهرية والحنابلة ولا يستوفى حق الشافعية والحنفية .

وقال الصفدى : كان الذهبى فقيهاً ومن شعره :

العلم قال الله قال رسوله * ان صح بالاجماع فاجهد فيه
وحذار من نصب الخلاف جهالة * بين الرسول وبين رأى فقيه

والذهبى أمام محقق ، ومؤرخ مدقق ، ومحدث علامة تصانيفه كبيرة كثيرة تجاوز المئة ، قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : انه كان ماهراً في فن الحديث ، وهو الذى اختصر السنن الكبرى للبيهقى فهذبه وأجاد فيه ، وخرج لنفسه المعجم الكبير والصغير والمختص بالمحدثين .

قال الصفدى : لم يكن عنده جمود ، وله دراية بأقوال الناس ، وهو القائل مضمنا :

إذا قرأ الحديث عليَّ شخص * وأخلى موضعا لوفاة مثلي
فما جازى بإحسان لأني * اريد حياته ويريد قتلي

قال الصفدى فأنشدته لنفسى :

خليلك ماله في ذا مراد * فدم كالشمس في أعلى محل
وحظى أن تعيش مدى الليالى * وانك لا تمل وانت تملي

قال : فأعجبه قولى : (خليلك) لأن فيه اشارة إلى بقية البيت الذى ضمنه هو مع الاتفاق في اسم (خليل) .

قال ابو تراب : هذا القائل هو الخليل بن أيبك الصفدى مؤلف نكت الهميان في نكت العميان وقد ترجم فيه للذهبى لأن الذهبى كف بصره في آخر عمره . والبيت الذى يشيران اليه هو قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى :

أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مراد

وقد تمثل به علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن صاحبه كان مرادياً . وقد تتابع الشعراء على تضمين هذا البيت أو الاشارة إلى معناه لاشتهاره ومنهم جميل والحسين بن مطير وغيرهما ، وقد ذكر بعض ذلك البكرى في شرح الأمالى .

وفي الدرر الكامنة نقلاً عن البدر النابلسى : كان الذهبى علّامة زمانه في الرجال وأحوالهم حديد الفهم ثاقب الذهن وشهرته تغنى عن الإطناب فيه . وكان يغضب إذا قيل له : لو قدحت.عينك لأبصرت ، لأنه نزل فيها ماء ، وكان يقول : ليس هذا ماء ، أنا ما زلت أرى بصرى ينقص قليلاً قليلاً الى أن تكامل عدمه ، قال ابو تراب : قدح العين هو استخراج مائها من الداخل .

وحضر تقى الدين السبكى والذهبى يحتضر في السياق وقال له كيف تجدك؟ فقال : أدخل وقت المغرب؟ فقال له : ألم تصل العصر؟ فقال : بلى ولكن لم أصل المغرب الى الآن وسأل عن الجمع بين المغرب والعشاء تقديماً فأفتاه بذلك فصلى ومات بعد العشاء قبل نصف الليل .

ومن شعر الذهبى في طبقات الشافعية الكبرى :

تولى شبابى كأن لم يكن * وأقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقا * فما بين هذين الاّ المصلّى

قال السبكى : اجتمع في عصرنا أربعة من الحفاظ لا خامس لهم وهم المزى والبرزالى والذهبى ووالدى تقى الدين ، وكان الذهبى لا نظير له وهو الملجأ إذا نزلت معضلة علمية وكان شيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل ، كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها وأخبار من حضرها .

قال ابو تراب : وقد اختصر الذهبى كتبا جسيمة ومنها المحلى لابن حزم ، وقد رثاه السبكى :

من للحديث وللسارين في الطلب * من بعد موت الامام الحافظ الذهبى
من للدراية والآثار يحفظها * بالنقد من وضع أهل الغى والكذب
وان تغب ذات شمس الدين لا تجب * فأى شمس رأيناها ولم تغب

وهي طويلة فذكر البعض في الطبقات .

قال أبو تراب : ترجمته فى الفوات ج ٢ ص ١٨٣ والنكت ص ٢٤١ وذيل الحفاظ ص ٣٤ و ٣٤٧ وطبقات السبكى ج ٥ ص ٢١٦ والنعيمى ج ١ ص ٧٨ والنجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١٨٢ والدور الكامنة ج ٣ ص٣٣٦ وغاية النهاية ج ٢ ص ٧١ والشذرات ج ٢ ص ١٥٣ ومفتاح السعادة ج ١ ص ٢١٢ وج ٢ ص ٢١٦ ودائرة المعارف ج ٩ ص ٤٣١ .

ابن حـــــزم

الامام الحافظ ابن حزم هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسى أحد أئمة السنة والفقه ، وكان متفننا في علوم جمة ، عاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا ، ومولده بقرطبة يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس سلخ رمضان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة ، وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه ومستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة مجتهداً صاحب مصنفات عظيمة كثيرة ، وهو وابن جرير الطبرى أكثر أهل الاسلام تصنيفاً سمع سماعاً جماً من شيوخ كثيرين .

وألف ابن حزم في فقه الحديث كتاباً كبيراً نحو ثمانين مجلداً سماه الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع . أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من ائمة المسلمين في مسائل الفقه ، والحجة لكل طائفة وعليها اخذ وله كتاب الإحكام في أصول الاحكام في غاية التقصى وايراد الحجج وكتاب في الإجماع ومسائله على أبواب الفقه والملل والنحل .

قال ابن بشكوال في حقه : كان ابو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الاسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة والسير والأخبار .

وأخبر ولده ابو رافع انه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربع مئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة . وقال الحافظ الحميدى : ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه وتمالأ عليه الحساد ونهوا الناس عن الدنو منه وأقصى عن بلاده

حتى انتهى إلى بادية (لبلة) فتوفى بها آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين واربعمئة .

وقيل انه توفى في (منت ليشم) وهي قرية ابن حزم ، وكان ذرب اللسان حتى قال فيه ابن العريف : إن لسانه وسيف الحجاج شقيقان ، وكان يذب عن السنة بحماسة منقطعة النظير عند أحد من الفقهاء .

وكانت لابن حزم رآسة ووزارة ولأبيه من قبله ، وكان ولده أبو رافع الفضل نبيها سريا وكان في خدمة المعتمد بن عباد وقتل في واقعة الزلاقة .

وقال ابن حيان : كان ابن حزم صاحب حديث وفقه وجدل وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة ، وكان يناضل العلماء عن مذهبه ، وثبت على الظاهرية الى أن مات ، وكان له تعلق بالأدب . وقال صاعد في تاريخه : كان أجمع أهل الأندلس لعلوم الاسلام قاطبة . وقال الذهبى : كان إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة ، والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب ، والمنطق والشعر مع الصدق والديانة ، والحشمة والسؤدد والرآسة والثروة وكثرة الكتب .

وقال الغزالى : وجدت في أسماء الله تعالى كتاباً لابن حزم يدل على عظم حفظه ، وسيلان ذهنه ، قال المقرى : وعلى الجملة فهو نسيج وحده ، قال النواب : كانت عقيدته الكتاب والسنة المحضة هذه فضيلة لا يساويها فضيلة ، وكان ذاباً عن الاسلام ، وعمره اثنتان وسبعون سنة ، وكان كثير المواظبة على التأليف .

ووصفوه بالوزير العالم الحافظ ، وذكر له المقرى أشعاراً كثيرة بديعة المبنى والمعنى ، وقد أحرق المعتضد بن عباد كتبه بأشبيلية حين استهدفه الحساد ، فقال في ذلك :

دعونى من احراق رق وكاغد ٭ وقولوا بعلم كى يرى الناس من يدرى
فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى ٭ تضمنه القرطاس بل هو في صدرى
يسير معى حيث استقلت ركائبى ٭ ويدفن ان أدفن وينزل في قبرى

قال ابو تراب : ترجمته في سير النبلاء وأخبار الحكماء ص ١٥٦ ونفح الطيب ج ١ ص ٣٦٤ ولسان الميزان ج ٤ ص ١٩٨ ومعجم ياقوت ج ٥ ص ٨٦ وابن بسام وبغية الملتمس ص ٤٠٣ والوفيات ج ١ ص ٣٤٠ والجذوة ص ٢٩٠ وتاريخ ابن قاضى شهبة ، والمغرب ص ٣٥٤ وابن حزم خلال ألف عام لصديقنا الشيخ ابى عبدالرحمن بن عميل الظاهرى .

ابو حيـان الأنـدلسى

أبو حيان الأندلسى هو محمد بن يوسف الغرناطى أثير الدين النحوى إمام العربية والتفسير ، ذكر له المقرى ترجمة حسنة طويلة ، وقال ابن مرزوق في حقه : هو شيخ النحاة بالديار المصرية وشيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية ، سمعت عليه وقرأت وحدثنى بسنن أبى داوود والنسائى والموطأ عن جماعة من الحفاظ قال ، وشكوت إليه يوماً ما يلقاه الغريب من أذية العداة فأنشد لى لنفسه فقال :

عداتى لهم فضل علىّ ومنة * فلا أذهب الرحمان عنى الأعاديا
همو بحثوا عن ذلّتى فاجتنبتها * وهم نافسوني فاكتسبت المعاليا

ذكر الصفدى ترجمته وبالغ فيه ، وقال : خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين ، وسلك من غرائبه وغوامضه طرقاً متشعبة الأفانين ولم يزل على حاله إلى أن رحل في خبر كان ، وتبدلت حركاته بالاسكان ، وتوفى سنة خمس وأربعين وسبعمئة وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب ، وكان مولده سنة أربع وخمسين وستمئة ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس وطبقاتهم ، وله التصانيف التى سارت وطارت ، وانتشرت وما انتثرت ، وقرئت ودريت ونسخت ، وما فسخت ، أخملت كتب المتقدمين ، وقرأ الناس عليه ، فصاروا ائمة وأشياخاً في حياته .

وكان أبو حيان حسن العمة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون ، مشرب الحمرة ، منور الشيبة ، كبير اللحية ، مسترسل الشعر ، وكان فيه خشوع يبكى اذا سمع القرآن ، ويجرى دمعه عند سماع الشعر الغزلى وكان ظاهريا قيل انه رجع عنه وليس بصحيح كما قال ابو البقاء .

قال ابن حجر وكان يقول محال ان يرجع عن الظاهرية حيث علقت بذهنه وكان من محبى السنة وله قصيدة يمتدح بها الشيخ ابن تيمية ثم انحرف عنه بسبب

العرشية وقيل بسبب وقوع ابن تيمية في سيبويه ، قال الصلاح الكتبى : أبو حيان هو الشيخ الامام الحافظ العلّامة فريد العصر وشيخ الزمان وامام النحاة ، قرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث ببلاد الأندلس ، وجزيرة أفريقية ، وثغر الاسكندرية ، وبلاد مصر والحجاز ، وحصل الإجازات من الشام وغير ذلك ، وطلب وحصل وكتب واجتهد ، وله أشعار رائعة وأبيات فائقة أورد جملة منها في كتاب فوات الوفيات .

وكذا ذكر المقرى نبذة من أشعاره في نفح الطيب في تاريخ الأندلس الرطيب ، وقد مدحه كثير من الشعراء والكبار الفضلاء ، وذكر المقرى اشعارهم في مدائحه وقال : هو الإمام العلّامة لسان العرب وترجمان الأدب وجامع الفضائل وعمدة وسائل السائل ، وزين المجتهدين ، وأفضل الآخرين ، ووارث علوم الأولين .

وكان يحب شيخ الاسلام ابن تيمية الاَّ أنه لما سمعه يعترض على سيبويه في مسائل في غير موضع من النحو والعربية ويقول بكذب سيبويه جفاه وانحرف عنه .

لما أتينا تقى الدين لاح لنا * داع الى الله فرد ما له وزر
على محياه من سيما الألى صحبوا * خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهره حبرا * بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا * مقام سيد تيم اذ عصت مضر
فأظهر الحسن إذ آثاره درست * وأخمد الشر اذ طارت له الشرر
كنا نحدث عن حبر يجىء فها * أنت الإمام الذى قد كان ينتظر

ومن كتبه البحر المحيط ، ومختصره النهر في التفسير ومجانى العصر وطبقات النحاة ، وغريب القرآن ، والمنهج والتذييل والارتشاف وعقد اللآلى وغيرها .

وينسب الامام أبو حيان النحوى إلى قبيلة نِفْزَةَ من البربر وقد ولد بمدينة بمَطَخشارش وهى من أعمال غرناطة ويقال له الجيانى ، قال السيوطى في بغية الوعاة في طبقات النحاة : وهو نحوى عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه .

قال ابو تراب : وله كتاب في نحو الترك وكتاب في لسان الأتراك اسمه الإدراك وهو مطبوع وكتاب منطق الخرس في لسان الفرس ، ونور الغبش في لسان الحبش .

ومن كتبه المطبوعة تحفة الأديب في الغريب ومنهج السالك في شرح ألفية ابن مالك ، والبحر والنهر ، ومن المخطوطة : مجانى العصر في التراجم وطبقات نحاة الأندلس ، والتكميل في شرح التسهيل وكتاب القراءات وأسانيد القرآن والتقريب والمبدع في الصرف والنضار ترجم فيه لنفسه ولأشياخه ، واللمحة البدرية في علم العربية وغيرها كثير .

ورحل الى مالقة ، وكف بصره في آخر حياته ، وأقرأ في حياة شيوخه بالمغرب ، وشيوخه نحو أربعمئة وخمسين شيخاً منهم القطب القسطلانى ، وأخذ عنه السبكى والأسنوى وابن عقيل وأمثالهم من الكبار ، وتوفى بالقاهرة ، قال ابن حجر الحافظ تزيد تصانيفه على خمسين مصنفاً ، ومن شيوخه الرضى والشاطبى ، وابن دقيق العيد ، وأكب على طلب الحديث وأتقنه وبرع فيه وفي التفسير والعربية والأدب والتاريخ واشتهر اسمه وطار صيته وأخذ عنه أكابر عصره .

قال الصفدى : لم أره قط الا يسمع أو يشتغل أو يكتب أو ينظر في كتاب ، وكان ثبتا قيما عارفا باللغة ، وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره ، وله اليد الطولى في معرفة التراجم وطبقات المغاربة ، وصارت تلامذته أئمة والتزم ان لا يقرىء أبداً الاّ في كتاب سيبويه أو التسهيل لابن مالك أو مصنفاته وكان صدوقا سالم العقيدة من البدع ، وكان كثير الخشوع والبكاء عند قراءة القرآن وكان شيخا طوالاً حسن الصوت وكان له إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم وكان يفتخر بالبخل لا الكرم .

وهو الذى حض الناس على مصنفات ابن مالك ورغبهم في قراءتها وشرح لهم غامضها وخاض بهم لججها ، وكان يقول عن مقدمة ابن الحاجب : هذه نحو الفقهاء ، وكانت عبارته فصيحة ، ولكنه في غير القرآن كان ينطق القاف قريباً من الكاف .

قال السيوطى : لم يؤلف في العربية أعظم من كتاب التكميل والارتشاف له ، ولا أجمع ولا أحصى للخلاف منهما وعليهما اعتمدت في كتابى جمع الجوامع .

ومن كتبه التنخيل الملخص من شرح التسهيل ، والاسفار الملخص من شرح سيبويه للصغار ، والتجريد لأحكام سيبويه والتذكرة في العربية وهى أربع مجلدات انتقى منها السيوطى كثيراً ، وله شرح مسألة كذا ، والارتضاء في الضاد والظاء ومن شعره :

سبق الدمع بالمسير المطايا * اذ نوى من أحب عنى نقله
وأجاد السطور في صفحة الخد ولم لا يجيد وهو ابن مقلة

ورثاه الصلاح الصفدي بقصيدةطويلة أوردها السيوطى ومنها :

مات أثير الدين شيخ الورى * فآستعر البارق واستعبرا
وصادحات الأيك في نوحها * رثته في السجع على حرف را
يا عين جودى بالدموع التى * يروى بها ما ضمه من ثرى
مات امام كان في علمه * يرى أماما والورى من ورا

قال ابو تراب : وترجمه في نفح الطيب ج ١ ص ٥٩٨ وغاية النهاية ج ٨ ص ٢٨٥ والنكت ص ٢٨٠ والفوات ج ٢ ص ٢٨٢ والبغية ص ١٢١ والدرر ج ٤ ص ٣٠٢ وطبقات السبكى ج ٦ ص ٣١ والنجوم الزاهرة ج ١٠ ص ١١١والشذرات ج ٦ ص ١٤٥ ودائرة المعارف ج ١ ص ٣٣٢ وذكر انه الف كتاباً في تاريخ الأندلس في ستين مجلداً (أنظر السبكى) .

الخـــــطيب البغـــدادى

الخطيب البغدادى هو الحافظ ابو بكر احمد بن على بن ثابت صاحب تاريخ بغداد الكبير ، كان من الحفاظ المتقنين ، والعلماء المتبحرين ولو لم يكن له سوى تاريخه الكبير لكفاه فانه يدل على اطلاع عظيم وصنف قريباً من مئة مصنف ، وفضله أشهر من أن يوصف .

رحل الخطيب إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة ، والى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين ، ثم الى أصبهان ، ثم رحل في الكهولة الى الشام في طلب العلم ، ثم أقام ببغداد وألقى عصا السفر الى حين وفاته .

قال ابن النجار : له نيف وستون مصنفا ، وقد أسقط ابن السمعانى ذكر ما لم يوجد منها فإن بعضها احترق بعد موته .

أما كتابه تاريخ بغداد فهو في أربعة عشر مجلداً ، وقد وصفه انستاس الكرملى في مجلة العرب ، والغالب عليه ترجمة أحوال علماء بغداد إلى زمانه ، وقد ذيله ابن النجار بذيل أطول من التاريخ نفسه في بضعة عشر مجلداً ، ثم كتب في ذيله ايضاً السمعانى مجلداً ، ثم كتب ابن رافع مجلداً .

ومقدمة تاريخ بغداد تحتوى على أخبارها وعمرانها وأقسامها وقد طبعت في باريس ، وطبع من التاريخ جزء في ليبسك وهو كله طبع بعد ذلك بمصر بتصحيح الشيخ السلفى حامد الفقى رحمه الله .

وكان الخطيب البغدادى فقيها ، أخذ الفقه عن المحاملى والقاضى الطبرى وغيرهما ثم غلب عليه الحديث والتاريخ .

وقد ولد يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة ، وتوفى سابع ذى الحجة سنة ثلاث وستين وأربع مئة ببغداد .

وقال السمعانى : توفى في شوال ، وسمعت ان الشيخ أبا اسحاق الشيرازى كان من جملة من حمل نعشه لأنه انتفع بعلمه كثيراً ، وكان يراجعه في تصانيفه ، وقيل انه ولد سنة احدى وتسعين وثلاثمئة .

قال النواب في التاج المكلل : والعجب انه كان الخطيب البغدادى في وقته حافظ المشرق ، وابن عبد البر صاحب كتاب الاستيعاب كان حافظ المغرب ، وماتا في سنة واحدة .

وكان الخطيب البغدادى : تصدق بجميع ماله قبل موته وهو مئتا دينار فرقها على أرباب الحديث والفقهاء والفقراء حين مرض وأوصى ان يتصدق عنه بجميع ما عليه من الثياب ، ووقف جميع كتبه على المسلمين ، ولم يكن له عقب ولا وارث .

ولما مات رئيت له منامات صالحة ، وكان قد انتهى اليه علم الحديث في زمانه ، وانتهى اليه حفظه في وقته .

وقال ابن النجار في تاريخه : إن الشيخ أبابكر ابن زهراء كان قد أعد لنفسه قبراً إلى جانب قبر بشر الحافى ، فجاء أصحاب الحديث اليه فقالوا : مات الخطيب البغدادى وقد أوصى بأن يدفن في القبر الذى أعددته لنفسك وأن تؤثره به فامتنع وقال موضع أعددته لنفسى منذ سنين يؤخذ منى ، فقال له الشيخ أبو سعد : لا نقول لك : أعطهم القبر ولكن أقول لك : لو أن بشر الحافى كان حيا وأنت إلى جانبه فجاء الخطيب البغدادى أكان يحسن بك ان تجلس أعلى منه ؟ قال : لا بل أقوم وأجلسه مكانى ، قال : فهكذا ينبغى أن يكون الساعة فطاب قلب ابن زهراء ، وأذن لهم في دفن الخطيب ايثاراً على نفسه بذلك الموضع بباب حرب .

وكان الخطيب فصيحاً عارفاً بالأدب يقول الشعر شغوفاً بالمطالعة وأغلب مصنفاته في فنون علم الحديث ، والناس عليه عيال فيها .

وقال السبكى في طبقات الشافعية : ابوبكر الخطيب الحافظ الكبير أحد أعلام الحفاظ ، ومهرة الحديث وصاحب التصانيف المنتشرة وكان لوالده الخطيب ابى الحسن على بن ثابت إلمام بالعلم وكان يخطب بقرية درزنجان إحدى قرى العراق فحض ولده على سماع الحديث في صغره فسمع وله احدى عشرة سنة ، وسمع بالبصرة ونيسابور وأصبهان والشام وبغداد والدينور والكوفة والرى وهمدان والحجاز ودمشق خلقاً ، ومن شيوخه الحافظ ابو نعيم الأصبهانى ، وتوجه للحج فسمع شيوخاً كثيرين ، وسكن دمشق وأخذ يصنف فيها كتبه وحدث بها وروى عنه من شيوخه ابوبكر البرقانى وابن ماكولا وهو من أقرانه ، وحدث الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن أربعة وعشرين شيخاً حدثوه عن الخطيب .

وكان الخطيب من كبار الفقهاء قيل : وكان يذهب في الكلام إلى الاشعرى وقرأ صحيح البخارى بمكة في خمسة أيام على المحدثة كريمة المروزية وأراد الرحلة إلى ابن النحاس بمصر قال : فاستشرت البرقانى هل أرحل إلى ابن النحاس ، أو أخرج إلى نيسابور إلى أصحاب الأصم ؟ فقال : انك ان خرجت إلى مصر انما تخرج إلى رجل واحد ان فاتك ضاعت رحلتك ، وان خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة ان فاتك واحد أدركت من بقى فخرج اليها ثم أقام ببغداد إلى حين وفاته فما طاف سورها على نظيره يروى عن أفصح من نطق بالضاد ، ولا أحاطت جوانبها بمثله وان طفح ماء دجلتها وروى غلة كل صاد ، عرفته أخبارها واطلعته على أسرار انبائها ، وأوقفته على كل موقف منها وتبيان ، وخاطبته شفاها لو أنها ذات لسان .

قال ابن ماكولا : كان الخطيب البغدادى آخر الأعيان ممن شهدناه معرفة ، حفظاً وإتقاناً وضبطاً لحديث رسول الله ﷺ وتفننا في علله وأسانيده ، وعلماً بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره ومطروحه ، ولم يكن للبغداديين بعد الحافظ الدارقطنى مثله ، وقال الساجى : ما أخرجت بغداد بعد الدارقطنى أحفظ من الخطيب وقال البردانى : لعلّ الخطيب لم ير مثل نفسه ، وقال أبو اسحاق الشيرازى : الخطيب يشبه بالدارقطنى ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه ، وقال ابو العينان الرؤاسى : كان

الخطيب امام هذه الصنعة ما رأيت مثله ، وقال الكتانى : إنه أسمع الحديث وهو ابن عشرين سنة ، وعلق الفقه عن القاضى أبى الطيب وابن الصباغ .

قال ابو تراب : وهو من أقران ابن الصباق ، قال الذهبى : مذهب الخطيب مذهب المحدثين في الصفات تمر كما جاءت ، وقال السمعانى : كان الخطيب مهيباً وقوراً ثقةً متحريا حجة حسن الخط كثير الضبط فصيحا ختم به الحفاظ ، وفي تصانيف الخطيب يقول السلفى :

تصانيف ابن ثابت الخطيب * ألذ من الجنى الغض الرطيب
يراها اذ رواها من حواها * رياضاً للفتى اليقظ اللبيب
ويأخذ حسن ما قد ضاع منها * بقلب الحافظ الفطن الأريب
فأية راحة ونعيم عيش * يوازى عيشها بل أي طيب

وكانت للخطيب ثروة ظاهرة وصدقات على أرباب العلم يهب الذهب الكثير للطلبة ، وكان محسوداً ، وقال غير واحد فمن رافقه في الحج أنه كان يختم كل يوم ختمة إلى قريب الغياب قراءة ترتيل ثم يجتمع عليه الناس وهو راكب يقولون : حدثنا فيحدثهم عن رسول الله ﷺ بأسانيده ، وشرب زمزم ودعا الله بثلاثة أدعية استجيب كلها ، وحضر مرة درس أبى اسحاق الشيرازى فروى حديثا عن بحر بن كثير السقاء ثم قال للخطيب ما تقول فيه فقال ان أذنت ذكرت حاله فاستوى الشيرازى وقعد مثل التلميذ بين يدى الاستاذ وشرع الخطيب في شرح أحوال الراوى وبسط الكلام الى أن فرغ فقال الشيرازى هذا دارقطنى عهدنا ، وتبع جنازته الجم الغفير وهم ينادون هذا الذى كان يذب عن حديث رسول الله ، هذا حافظ السنة .

قال ابو تراب : ترجمته في معجم ياقوت ج ١ ص ٢٤٨ وطبقات السبكى ج ٣ ص ١٢ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٨٧ وابن عساكر ج ١ ص ٣٩٨ وابن الوردى ج ١ ص ٣٧٤ واللباب ج ١ ص ٣٨٠ وسير النبلاء والوفيات ج ١ ص ٢٧ وفهرست ابن خليفة ص ١٨١ .

ابن القيم

ابن قيم الجوزية هو شمس الدين ابو عبدالله محمد بن أبى بكر ابن أيوب الزرعى الدمشقى الحنبلى ، ولد سنة احدى وتسعين وستمئة وتوفى سنة احدى وخمسين وسبعمئة ، وقد لازم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأخذ عنه وتفنن في كافة علوم الاسلام وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين ، واليه فيه المنتهى ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط من لا يلحق في ذلك ، وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه في المرة الأخيرة بالقلعة في دمشق ولم يفرج عنه الاّ بعد موت الشيخ ابن تيمية .

وحج ابن القيم مرات كثيرة وجاور بمكة المكرمة وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه .وعبادته ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه ، والى أن مات وانتفعوا به .

قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة : غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، بل يقتصر له في جميع ذلك ، وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه ، وكان له حظ عند الامراء المصريين ، واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة ، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه ، وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه .

وقال ابن رجب : هو الفقيه الأصولى النحوى المفسر العارف تفقه في المذهب وبرع وأفتى ، وله في العربية اليد الطولى ، وكان عالماً بعلم السلوك وكلام أهل التصوف واشاراتهم ودقائقهم ، وله في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى .

وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى وكان ذا لهج بذكر الله وشغف بالمحبة والإنابة ، والافتقار الى الله والانكسار له ، والاطراح بين يديه على عتبة

العبودية لم أشاهد مثله في ذلك ، ولا رأيت أوسع منه علماً ولا أعرف بمعانى القرآن والسنة وحقائق الايمان ، قال ابن رجب : وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله .

وكان مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم ، وتصانيفه ممتلئة بذلك .

قال : ولازمت مجالسه قبل موته سنة ، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة واشياء من تصانيفه وغيرها ، وكان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون له كابن عبدالهادى وغيره .

وقال القاضى برهان الدين الزرعى : ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه ، صنف في أنواع العلم ، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره ، ثم ذكر تصانيفه زيادة على ثلاثين كتاباً منها مدراج السالكين في شرح منازل السائرين وزاد المعاد وأعلام الموقعين وحادى الأرواح ومفتاح دار السعادة والصراط المستقيم ونقد المنقول .

ولما توفى شيعه خلق كثير ورؤيت له منامات كثيرة حسنة وله في كتاب صفة الجنة قصيدة سمعها منه ابن رجب بتمامها .

وقال الشوكانى في البدر الطالع : الحافظ ابن القيم هو العلاّمة الكبير المجتهد المطلق درس بالصدرية وأم بالجوزية وأخذ الأصول وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق وتبحر في معرفة اهل السلف ، وذكره الذهبى في المعجم المختص وقال انه تصدر للاشتغال ونشر العلم وكان معجبا برأيه .

قال النواب القنوجى في التاج المكلل : كان ابن القيم يتقيد بالأدلة الصحيحة معجباً بالعمل بها غير معوّل على الرأى صادعاً بالحق لا يحابى فيه أحداً ، ونعمت تلك الجرأة ، وكان مغرى بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصى ، وله من التصانيف الهدى ، وبدائع الفوائد وجلاء الأفهام ومصايد الشيطان والداء والدواء وتحفة النازلين

والصواعق المرسلة واجتماع الجيوش الاسلامية وأقسام القرآن وأيمان القرآن وإغاثة اللهفان .

ودفن ابن القيم تجاه المدرسة الصابونية ، وبنى على قبره قبة قال السخاوى : هو العلاّمة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف ، وقوة الجنان ، ورئيس أصحاب ابن تيمية الإمام ، بل هو حسنة من حسناته ، والمجمع عليه بين المخالف والموافق ، وصاحب التصانيف السائرة ، والمحاسن الجمة ، انتفع به الائمة ، ودرس بأماكن ، ثم سرد تصانيفه فذكر منها اثنين وخمسين كتابا ، قال : وله نظم كثير ثم ذكر منه شيئا .

قال ابو تراب : وله تصانيف سوى ما ذكروا وهى كثيرة مثل طريق السعادتين والجواب الكافى والصلاة ورفع اليدين وفضيلة مكة وغيرها ، قال الشوكانى : وكل تصانيفه مرغوب فيها بين الطوائف ، وله من حسن التصرف في الكلام مع العذوبة الزائدة وحسن السياق ما لا يقدر عليه غالب المصنفين بحيث تعشق الأفهام كلامه ، وتميل اليه الأذهان وتحبه القلوب ، وليس له على غير الدليل معول في الغالب وقد يميل نادراً الى مذهبه الذى نشأ عليه ، ولكنه لا يتجاسر على الدفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردة كما يفعله غيره من المتمذهبين بل لا بد له من مستند في ذلك ، وغالب أبحاثه الانصاف والميل مع الدليل حيث مال ، وعدم التعويل في القيل والقال ، واذا استوعب الكلام في بحث وطول ذيوله أتى بمالم يأت به غيره وساق ما تنشرح له صدور الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل وأظنه سرت بركة ملازمته لشيخه ابن تيمية في السراء والضراء والقيام معه في محنه ومواساته بنفسه وطول تردده اليه فانه ما زال ملازماً له من سنة اثنتى عشرة وسبعمئة الى تاريخ وفاته .

وبالجملة فابن القيم واحد من قام بنشر السنة ، وجعلها بينه وبين الآراء المحدثة أعظم جُنَّة ، وحكى عنه قبل موته بمدة ، انه رأى شيخه ابن تيمية في المنام وأنه سأله عن منزلته فقال : انه أنزل فوق فلان وسمى بعض الأكابر وقال له : أنت تلحق به ، ولكن أنت في طبقة ابن خزيمة .

وقال السيوطى في بغية الوعاة : ابن القيم العلاّمة صنف وناظر واجتهد وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية له من التصانيف الكافية الشافية وهو منظوم ، والطريقة المحمدية ، وتفسير الفاتحة وتفسير اسماء

القرآن ، والروح ، وروضة المحبين وبيان الاستدلال ، وحكمة الصلاة على خير الأنام ومعانى الأدوات والحروف ، وقال ابن كثير : كان ابن القيم كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق والتودد لا يحسد ولا يحقد ، ولا أعرف في زماننا أكثر عبادة منه وكان يطيل الصلاة جدا ويمد ركوعها وسجودها ، وكان اذا صلى الصبح جلس يذكر الله حتى يتعالى النهار ويقول : هذه غدوتى لو لم أقعدها سقطت قواى ولا بد للسالك من همة تسيره وترقيه ، وعلم يبصره ويهديه ، قال الحافظ ابن حجر من نظمه قصيدة تبلغ ستة آلاف بيت قلت : وهى الكافية في الفرقه الناجية وقيل : هي سبعة آلاف بيت وابن القيم طويل النفس في سائر كتبه نظماً ونثراً .

قال ابو تراب : ترجمته في شذرات ج ٦ ص ١٦٨ والبداية ج ١٤ ص ٢٣٤ والمنهج الأحمد والبغية ص ٢٥ وجلاء العينين ص ٢٠ والدرر الكامنة ج ٣ ص ٤٠٠ والنجوم الزاهرة ج ١٠ ص ٢٤٩ .

السخاوى

شمس الدين السخاوى هو ابو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد المصرى الشافعى الامام الحبر الناقد الحجة الحافظ القاهرى نزيل الحرمين ، مؤلف الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع جعله ذيلاً واكمالاً لكتاب الحافظ ابن حجر الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة .

ولد السخاوى سنة احدى وثلاثين وثمانمئة ومات سنة اثنتين وتسعمئة ، والسخاوى نسبة إلى سخا قرية من قرى مصر . وله شرح ألفية العراقى فى مصطلح الحديث والقول البديع والمقاصد الحسنة وغيرها من المؤلفات الحسنة ، وتوفى بالمدينة المنورة ، وأسف الناس على فقده ، وقالوا مات بعده فن الحديث ، ولم يأت بعد الحافظ الذهبى مثله .

وحفظ السخاوى القرآن وجوده ، وبرع في الفقه والعربية والقراءة وغيرها ، وشارك في الفرائض والحساب والميقات وأخذ عن جماعة لا يحصون يزيدون على أربعمئة شيخ ، وسمع الكثير على شيخه ابن حجر العسقلانى ولم يفارقه الى أن مات ، وله كتاب في ذم الشيخ ابن عربى .

وارتحل الى حلب ودمشق والقدس ونابلس والرملة وبعلبك وحمص وغيرها ، وحج مراراً وجاور بالمدينة النبوية الى أن توفى .

قال ابن اياس في تاريخه : كان الحافظ شمس الدين السخاوى عالماً فاضلاً بارعاً في الحديث وألف تاريخه وفي تاريخه اشياء كثيرة من مساوىء الناس .

وفي كتاب نظم الأعيان للسيوطى : ان السخاوى كتب كثيراً من مصنفاته بخطه وسمع الكثير جداً على المسندين بمصر والشام والحجاز ، وانتقى وجرّح لنفسه

ويقره مع كثرة لحنه وعريه من كل علم بحيث انه لا يحسن من غير الفن الحديثى أصلاً .

ثم أكب على التاريخ فأفنى فيه عمره ، وأغرق فيه عمله وسلق فيه أعراض الناس وملأه بمبادىء الخلق وزعم انه قام بواجب الجرح والتعديل وهذا جهل مبين .

قال ابو تراب : وكتابه التبر المسبوك هو ذيل كتاب السلوك في التاريخ للمقريزى وكلاهما مطبوع ومن كتبه المطبوعة تحفة الأخبار في الخطط والبقاع والتراجم وهو من تلامذة البلقينى والمناوى وابن الهمام ولازم ابن حجر وانتفع به وتخرج في الحديث ، وأقبل على هذا العلم بالكلية وتدرب فيه وسمع العالى والنازل ، وأخذ عن مشايخ عصره ، وحفظ من الحديث ما صار به منفرداً عن أهل عصره .

وهو من الائمة الأكابر ، ترجم لنفسه ترجمة مطولة قال تلميذه ابن فهد المكى انه حقيق لما ذكره لنفسه من الأوصاف الحسنة ولقد والله العظيم لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله ، ويعلم ذلك من اطلع على مؤلفاته أو شاهده وهو عارف بفنه ، قال الشوكانى : لو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف الاّ الضوء اللامع لكان أعظم دليل على امامته ، ثم لم يتقيد في كتابه بمن مات في القرن التاسع بل ترجم لجميع من وجد فيه ممن عاش الى القرن العاشر ولقد صان هذا الكتاب الفائق من الوقيعة في أكابر العلماء من أقرانه وربما كان له مقصد صالح ، وقد غلبت عليه محبة شيخه ابن حجر فصار لا يخرج عن أقواله كما غلبت على ابن القيم محبة شيخه ابن تيمية ، وعلى الهيثمى محبة شيخه العراقى ، قال النواب : وكما غلبت عليّ محبة شيخى العلاّمة الشوكانى ، وفي هذه الترجمة رجح الشوكانى الضوء اللاّمع على الدرر الكامنة وذكر اسماء مؤلفات السخاوى .

والسخاوى مؤرخ حجة وعالم بالحديث والتفسير والأدب ساح سياحة طويلة وصنف زهاء مئتى كتاب منها التحفة اللطيفة في تراجم علماء المدينة والرحلات وترجمة ابن حجر في مجلدين وشرح الهداية والاعلان بالتوبيخ والذيل على طبقات القراء ووفيات الأمم وتاريخ المدينتين وتاريخ اليمن وبغية العلماء وغيرها .

قال أبو تراب : وترجمته فى ابن إياس ج٢ ص٣٢١ والشذرات ج٨ ص١٥ والكواكب السائرة ج ١ ص ٥٣ والضوء اللامع ج ٨ ص ٢ وخطط مبارك ج ١٢ ص ١٥ وإيضاح المكنون ج ١ ص ٢٨ و ٢٣٨ وتاريخ العراق ج ٣ و ١٤١ وآداب اللغة ج ٣ ص ١٦٩ .

السيـــــوطى

جلال الدين السيوطى هو الامام الحافظ ابو الفضل عبد الرحمن بن الكمال ابى بكر الخضيرى الشافعى العالم العلاّمة الحبر البحر أعجوبة الدهر صاحب المؤلفات الحافلة الجامعة النافعة المتقنة التى قاربت ستمئة مصنف ، وقد تداولها الناس وتلقوها بالقبول واشتهرت وعم النفع بها .

ولد السيوطى بالقاهرة سنة تسع وأربعين وثمانمئة وتوفى سنة احدى عشرة وتسعمئة ، ونشأ يتيماً وحفظ القرآن وله دون ثمان سنين ، ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك وشرع في الاشتغال بالعلم مستهل سنة اربع وستين وثمانمئة ، وأول شيء ألفه كان شرح الاستعاذة والبسملة ، ولازم الشيخ البلقينى وقرأ عليه في تدريس والده وسمع عليه غيره وأجازه بالتدريس والافتاء ، ولزم بعده الشرف المناوى والتقى الشمنى وفرض له على شرحى الألفية وجمع الجوامع وشهد له بالتقدم في العلوم ، ورزق التبحر في ثمانية علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع واللغة ، وسافر الى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور ، وأفتى من سنة أحدى وسبعين وثمانمئة . قيل انه كان يغض من الشهاب القسطلانى لأنه كان يستمد من كتبه ولا ينسب النقل اليه . وتوفى بالقاهرة وكان له مشهد عظيم ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة ، قال في البدر الطالع : هو الامام الكبير صاحب التصانيف أجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار وبرز فى جميع الفنون وفاق الأقران ، واشتهر ذكره وبعد صيته ، وتصانيفه من الفنون مقبولة قد سارت في الأقطار مسير النهار ، ولكن لم يسلم من حاسد لفضله وجاحد لمناقبه ، فان السخاوى وهو من أقرانه ترجمه ترجمة مظلمة غالبها ثلب فظيع وسب شنيع وانتقاص وغمط .

قال النواب : إن مؤلفاته سارت بها الركبان ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه .

قال ابو تراب : ذكر السيوطى في حسن المحاضرة في ترجمة نفسه ان مؤلفاته بلغت الثلاثمئة سوى ما غسله ورجع عنه ، وذكر أكثر من هذا في فهرسة مؤلفاته ، وفي كتب التراجم إن مؤلفاته تزيد على خمسمئة مصنف ، وعد له بروكلمان خمسة عشر واربعمئة مصنف منها مطبوع ومنها مخطوط ، وأما فلوغل فذكر له ستين وخمسمئة مصنف ، وكذا جميل بك العظم ذكر له في عقد الجوهر ستة وسبعين وخمسمئة مؤلف بين كتب كبيرة ورسائل ومقامات وغير ذلك قلت : وهذا الاختلاف في التعداد مرده إلى أن بعض هذه الكتب صغير جداً في مقدار ورقة وورقتين وقد جمعت رسائله الصغار في كتاب يضمها فعدَّ واحداً ، والقليل منسوب اليه وليس له ، وبعضها رجع عنه السيوطى نفسه فغسله أو أحرقه ولم يرض عنه وبقى اسمه مثبتا فلذلك وقع الخلاف فى تعدادها ، وأغلب كتبه جمع وتلخيص واختصار وتعليق والصغار منها كثير جداً لذلك زاد العدد ، ومن كتبه ما بلغ فيه غاية الاتقان والاجتهاد فجاء مبتكراً ولم ينسج على منواله .

وقد طبع من كتبه كثير ومن المطبوع الأتقان فى علوم القرآن وشرح الغاية ورجال الموطأ والأشباه والنظائر النحوية والفقهية وأصول النحو والألفية في المصطلح وبغية الوعاة وتاريخ الخلفاء وتدريب الراوى والجامع الصغير وحسن المحاضرة والتفسير والخصائص الكبرى والدر النثير والحاوى وحاشية صحيح مسلم والنسائى وشرح شواهد المغنى وشرح عقود الجمان وطبقات المفسرين وشرح ابن ماجة ومبهمات القرآن وهمع الهوامع ولب الألباب وغيرها كثير وكلها مطبوع ، وقد ظهر له بألمانيا كتاب التحدث بنعمة الله ترجم فيه لنفسه .

قال ابو تراب : ترجمته في المنح البادية (خط) وحسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٨ والضوء اللامع ج ٤ ص ٦٥ وابن إياس ج ٤ ص ٨٣ وشذرات الذهب ج ٨ ص ٥١ والكواكب السائرة ج ١ ص ٢٢٦ وآداب اللغة ج ٣ ص ٢٢٨ .

ابو نُعيم الأصفهانى

الحافظ ابو نعيم الاصبهانى هو الامام المشهور صاحب كتاب حلية الأولياء ، وهو أحمد بن عبدالله بن أحمد بن مهران كان من الأعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات ، أخذ عن الأفاضل وأخذوا عنه وانتفعوا به ، وكتابه الحلية من أحسن الكتب في طبقات الاصفياء والصالحين من سلف هذه الأمة واختصره الحافظ ابن الجوزى في كتاب سماه صفة الصفوة وزاد فيه فوائد .

ولأبى نعيم أيضا كتاب تاريخ أصبهان ذكر فيه أن جده مهران أسلم ، إشارة الى أنه أول من أسلم من أجداده ، وأنه مولى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر ابن أبى طالب رضي الله عنه ، وذكر فيه في ترجمة والده نسبته وقال أنه توفى في رجب سنة خمس وستين وثلاثمئة ودفن عند جده من قبل أمه .

ولد أبو نعيم سنة ست وثلاثين وثلاثمئة في رجب ، وقيل ولد سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة وتوفى في صفر سنة ثلاثين وأربعمئة أو في الحادى والعشرين من المحرم بأصبهان ورحل سنة ست وخمسين وثلاثمئة فسمع ببغداد ابن الصواف وابن الهيثم وطائفة كثيرة ، وسمع بمكة والبصرة والكوفة ، وكان الحافظ ابوبكر الخطيب البغدادى من أخص تلامذته ، وقد رحل اليه وأكثر عنه ، ومع ذلك لم يذكره في تاريخ بغداد ولا يخفى عليه أنه دخلها ، ولكن النسيان طبيعة الانسان .

ومن كتبه دلائل النبوة ، قال السبكى وهو الامام الجليل الحافظ الصوفى الجامع بين الفقه والتصوف والنهاية في الحفظ والضبط وأحد الأعلام الذين جمع الله لهم بين العلو في الرواية والنهاية في الدراية رحل اليه الحفاظ من الأقطار ، وهو سبط الشيخ الزاهد محمد بن يوسف البناء أحد مشايخ الصوفية .

واستجاز له أبوه طائفة من شيوخ العصر وتفرد في الدنيا عنهم وأجاز له من الشام خيثمة بن سليمان ومن بغداد جعفر الخلدى ، ومن واسط عبدالله بن عمر بن شوذب ومن نيسابور الأصم ، وسمع سنة أربع وأربعين وثلاثمئة من عبدالله بن جعفر ابن احمد بن فارس والقاضى ابى أحمد العسال وابن معبد السمسار والقصار احمد وابن بندار الشعار والطبرانى وعبدالله بن الحسن بن بندار وأبى الشيخ والجعابى ، وسمع ببغداد أبابحر البزبهارى وعيسى الطومارى ، وعبدالرحمن والد المخلص ، وابن خلاد النصيبى والقزاز ، وسمع بمكة الآجرى والكندى وبالبصرة الخطابى والعامرى وبالكوفة الطلحى وبنيسابور سمع ابا احمد الحاكم وحسينك التميمى وأصحاب السراج ، وروى عنه كوشيار وابن ليااليزور الجيلى ، وتوفى قبله ببضع وثلاثين سنة .

وروى عنه المالينى والذكوانى والخطيب وأغفله السمعانى فلم يذكره في الذيل ، وممن روى عنه الحافظ ابو صالح المؤذن والقاضى ابو على الوحشى ومستمليه العطار والحافظ هبة الله الشيرازى وخلق كثير ، وقد روى عنه ابو عبدالرحمن السلمى صاحب الطبقات بواسطة ، قال الخطيب : لم أر أحداً أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين أبونعيم وأبوحازم العبدوى الأعرج ، وقال ابن مردويه كان ابو نعيم في وقته مرحولاً اليه ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه كان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده الى الظهر فاذا قام الى داره ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزء وكان لا يضجر ولم يكن له غذاء سوى التصنيف أو التسميع ، وكان أصحاب الحديث يقولون : بقى أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى اسناداً منه ولا أحفظ منه ولما صنف الحلية حمل في حياته الى نيسابور فاشتروه بأربعمئة دينار ولم يصنف مثله وهو تاج المحدثين وأحد أعلام الدين وله مصنفات كثيرة كالمستخرج على الصحيحين ومعرفة الصحابة وصفة الجنة .

قال ابو تراب : ترجمته في الميزان ج ١ ص ٥٢ واللسان ج ١ ص ٢٠١ والسبكى ج ٣ ص ٧ وابن خلكان ج ١ ص ٢٦ : ولا يلتفت الى قوله في ابن منده ولا قول ابن منده فيه كما في التبيان (خـط) .

ابن دقيـــق العيـــــد

ابن دقيق العيد هو الامام الكبير الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق شيخ الاسلام ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة ولد في شعبان سنة خمس وعشرين وستمئة بناحية ينبع في البحر واسمه محمد بن على بن وهب ابو الفتح تقى الدين تبحر في جميع العلوم الشرعية وخضع له أكابر الزمان ، وطار صيته واشتهر ذكره وأخذ عنه الطلبة وصنف التصانيف الفائقة منها الالمام في أحاديث الأحكام وشرع في شرحه ، وأتى فيهما كما قال الحافظ ابن حجر بالعجائب الدالة على سعة دائرته في العلوم خصوصاً في الاستنباط ، وصنف الاقتراح في علوم الحديث ، ومن مصنفاته شرح العمدة قال الكتبى : كان اماماً متفنناً محدثاً مجوداً فقيهاً مدققاً أصوليا أديباً شاعراً نحويا ذكيا غواصاً على المعانى مجتهداً وافر العقل كثير السكينة بخيلا بالكلام تام الورع شديد التدين مديم السهر مكبا على المطالعة والجمع قل أن ترى العيون مثله قهره الوسواس في المياه .

قال الذهبى : غلب عليه الوسواس في المياه والنجاسة وكان لا يسلك المراء في بحثه بل يتكلم بكلمات يسيرة بسكينة ولا يراجع . وقال الحلبى : كان حافظاً للحديث وعلومه يضرب به المثل في ذلك ، وكان آية في الإتقان ، وقال ابن الزملكانى : هو امام الأئمة في فنه وعلامة العلماء في عصره بل لم يكن من قبله من سنين مثله في العلم والدين والزهد والورع تفرد في علوم كثيرة ، وكان يعرف التفسير والحديث ويحقق المذهبين يعنى مذهب مالك والشافعى ، ويعرف الأصلين ، وكان السلطان لاجين ينزل له عن سريره ويقبل يديه .

قال ابن سيد الناس : له تخلق ، وبكرامات الصالحين تحقق ، وبعلامات العارفين تعلق ، ولو لم يدخل في القضاء لكان ثورى زمانه ، وأوزاعى أوانه ، قال ابن

حجر : واستمر في القضاء الى أن مات سنة أربع وسبعمئة ، ومن شعره :

تمنيت ان الشيب عاجل لمتى * وقرب منى في صباى مزاره
فآخذ من عصر الشباب نشاطه * وآخذ من عصر المشيب وقاره

وقال أيضـا :

لم يبق لى أمل سواك فان تفت * ودعت أيام الحيـاة وداعـا
لم أستلذ بغير وجهك منظراً * وسوى حديثك لا أحب سماعا

قال السبكى في ترجمة ابن دقيق : هو الجامع بين العلم والدين ، والسالك سبيل السادة الأقدمين ، وهو أكمل المتأخرين ، وبحر العلم الذى لا تكدره الدلاء ، ومعدن الفضل الذى لقاصده منه ما يشاء ، وامام المتأخرين كلمة لا يجحدونها ، وشهادة على أنفسهم يؤدونها ، مع وقار عليه سيما الجلال ، وهيبة لا يقوم الضرغام عندها لنزال ، هذا مع ما أضيف اليه من أدب أزهى من الأزهار وألعب بالعقول .

قال ابن سيد الناس : لم أر مثل ابن دقيق فيمن رأيت ، ولا حملت عن أجل منه فيما رويت ، وكان للعلوم جامعاً ، وفي فنونها بارعاً ، مقدما في معرفة علل الحديث على أقرانه ، منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه ، بصيراً بذلك سديد النظر في تلك المسالك ، لا يشق له غبار ، ولا يجرى معه سواه في مضمار ، إذا قال لم يترك مقالاً لقائل ، وكان حسن الاستنباط للأحكام والمعانى من الكتاب والسنة ، وله نكت تسحر الألباب ، وفكر يفتح له ما يستغلق على غيره ، مستعينا على ذلك بما رواه من العلوم ، مستبيناً ما هنالك بما حواه من مدارك الفهوم ، مبرزا في العلوم النقلية والعقلية ، والمسالك والمدارك النظرية والأثرية :

وكان من العلوم بحيث يقضى * له من كل علـم بالجميـع

وسمع بمصر والشام والحجاز ، على تحر في ذلك واحتراز ، ولم يزل مقبلاً على شأنه واقفا نفسه على العلوم حتى قال الشهاب الكاتب : لم ترعينى آدب منه .

قال في طبقات الشافعية : إن ابن دقيق استاذ زمانه علماً وديناً سمع الحديث من والده وأبى الحسن الجميزى الفقيه والحافظ المنذرى وآخرين وقد ولد في البحر المالح ، وكان والده متوجها من قوص الى مكة للحج في البحر فولد له ، ثم أخذه والده على يده وطاف به الكعبة وجعل يدعو الله ان يجعله عالماً عاملاً ، وكان يقول : وأنا دعوت الله فاستجيب لى ، فسئل ما الذى دعوت به ؟ فقال : ان ينشىء الله ولدى محمداً عالماً عاملاً ، فنشأ الشيخ بقوص على أزكى قدم من العفاف والمواظبة على الاشتغال ، والتحرز في الأقوال والأفعال ، والتشدد في البعد عن كل ما ينافى الطهارة والنظافة حتى حكت زوجة والده قالت : رأيته وهو ابن عشر سنين ومعه هاون وهو يغسله مرات فقلت لأبيه : ما هذا الصغير يفعل ؟ فقال له يا محمد ما تفعل ؟ فقال : أريد ان أركب حبراً فأنا أغسل هذا الهاون .

قال ابو تراب : الهاون ، والهاوون هو الذى يدق فيه الدواء وغيره ، وكانت والدة ابن دقيق بنت الشيخ المفرج ووالده مجد الدين فأصلاه كريمان ، وتفقه بقوص على والده وكان مالكى المذهب ، ثم تفقه على العز بن عبد السلام فحقق المذهبين ، ولذلك يقول فيه ابن القوبح من قصيدة :

صبا للعلم صبا في صباه * فأعل بهمة الصب الصبى
وأتقن والشباب له لباس * أدلة مالك والشافعى

ولابن دقيق كرامات كثيرة ، وأمّا دأبه في الليل علماً وعبادة فأمر عجاب ، ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين ، وربما تلا آية واحدة فكرّرها الى مطلع الفجر ، استمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ فوصل إلى قوله تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » قال : فما زال يكررها إلى طلوع الفجر ، وكان يقول : ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلاً الاّ وأعددت له جواباً بين يدى الله عز وجل ، وكان يخاطب الناس بقوله : يا انسان وإن كان المخاطب فقيها كبيراً قال : يا فقيه ، وتلك كلمة لا يسمح بها الاّ لابن الرفعة ونحوه ، وكان يقول للشيخ علاء الدين الباجى : يا إمام ويخصه بها ، ومن مصنفاته كتاب الامام في الحديث وهو جليل حافل لم يصنف مثله ،وأملى شرحاً على « العنوان » ، في اصول الفقه ، وله شرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية ، وعلق شرحاً على مختصر

التبريزى في فقه الشافعية ، وولى قضاء القضاة بعد اباء شديد ، وعزل نفسه غير مرة ثم أعيد ، وكان حافظاً مكثراً ، الاّ ان الرواية عسرت عليه لقلة تحديثه فانه كان شديد التحرى في ذلك ، ومن شعره :

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الأصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهمو أو يريح
فقيل تعريسهم ساعة * وقيل بل ذكراك وهو الصحيح

وقال أيضا :

قالوا فلان عالم فاضل * فأكرموه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تقى * تعارض المانع والمقتضى

ولابن دقيق العيد شعر كثير ، وديوان خطب مفرد معروف بالغ في الاجادة ، وهو الذي يقول في شرح مختصر ابن الحاجب :

ادأب على جمع الفضائل جاهداً * وأدم لها تعب القريحة والجسد
واقصد بها وجه الآله ونفع من * بلغته ممن جد فيها واجتهد
واترك كلام الحاسدين وبغيهم * هملاً فبعد الموت ينقطع الحسد

قال الشيخ ابن دقيق أيضاً :

أهل المناصب في الدنيا ورفعتها * أهل الفضائل مرذولون بينهمو
قد أنزلونا لأنّا غير جنسهمو * منازل الوحش في الإهمال عندهمو
فمالهم في توقى ضيرنا نظر * وما لهم في ترقى قدرنا همم
فليتنا لو قدرنا أن نعرفهم * مقدارهم عندنا أو لو دروه همو
لهم مزيجان من جهل وفرط غنى * وعندنا المتعبان العلم والعدم

قال ابو تراب : ترجمته في الدرر ج ٤ ص ٩١ والفوات ج ٢ ص ٢٤٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٥ والطالع السعيد ص ٢٣٧ وخطط مبارك ج ١٤ ص ١٣٥ ورونق الأنفالى (خط) ومفتاح السعادة ج ٢ ص ٢١٩ .

المنـــــذرى

الحافظ المنذرى صاحب الترغيب والترهيب .. هو الامام شيخ الاسلام الحافظ الكبير الورع الزاهد زكى الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله المصرى المحدث الفقيه أحد أولياء الله الصالحين ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمئة وتوفى سنة ست وخمسين وستمئة وهو شامى الأصل مصرى المولد والوفاة .

قرأ المنذرى القرآن على الأرياحي ، وتأدب على جماعة من أهل العلم وبرع وسمع من جماعة ، وخرج لنفسه معجماً كبيراً مفيداً ، روى عنه الدمياطى وابن دقيق العيد ، وخلق كثير ، ودرس بالجامع الظافرى بالقاهرة ثم ولى مشيخة دار الحديث الكاملية وانقطع بها نحوا من عشرين سنة ، وله كتاب حافل يسمى « الترغيب والترهيب » وهو مفيد نافع جداً ، وله تلخيص صحيح مسلم في غاية الجودة والاتقان يدل على علو كعبه في فهم السنة ، وعلّق عليه القنوجى شرحا مختصراً مفيداً واسماه « السراج الوهاج » وقد أهدى الى نسخة منه الشيخ محمد نصيف أفندى رحمه الله .

وتفقه المنذرى على الامام أبى القاسم بن الوراق وعبد المجيد بن زهير والمطهر البيهقى وغيرهم ، وسمع بمكة من ابن البناء وطبقته ، وسمع بدمشق من ابن طبرزد وابن وهب وابن كامل وخلق ، وسمع بحران والرها والاسكندرية وغيرها .

وكان المنذرى عديم النظير في معرفة علم الحديث على اختلاف فنونه متبحرا في معرفة أحكامه ومعانيه ومشكله ، قيما في معرفة غريبه اماماً حجة بارعاً في الفقه والعربية والقراءات ، له كتاب الأربعين حديثا في فضل اصطناع المعروف بين المسلمين وقضاء حوائجهم ، ترجم له السبكى في طبقات الشافعية والأسدى فيها والسيوطى في حسن المحاضرة .

وكان المنذرى قد أوتي بالمكيال الأوفى من الورع والتقوى ، والنصيب الوافر من الفقه ، وأما الحديث فلا مراء في انه كان أحفظ أهل زمانه ، وفارس أقرانه ، له القدم الراسخة في معرفة صحيح الحديث من سقيمه ، وحفظ اسماء الرجال حفظاً مفرط الذكاء عظيمه ، والخبرة بأحكامه والدراية بغريبه وباعرابه واختلاف كلامه ، ومن شيوخه المامونى والحافظ ربيعة اليمنى والحافظ المقدسى ، وبه تخرج ، وابو اليمن الكندى وغيرهم .

وصنف شرحاً على التنبيه ، وله مختصر سنن أبى داوود وحواشيه وهو مفيد ، وكان مفتياً ، وأفاد الناس كثيراً ، ومن تلامذته الشريف عز الدين وطائفة وعمت عليهم بركته .

قال الذهبى : وما كان في زمانه أحفظ منه ، وقال السبكى : أما ورعه فأشهر من أن يحكى ، وكان لا يخرج من دار الحديث الكاملية الاَّ لصلاة الجمعة حتى كان له ولد صالح نجيب محدث فاضل توفاه الله تعالى في حياته ليضاعف له في حسناته فصلى عليه المنذرى داخل المدرسة وشَيَّعَهُ إلى بابها ثم دمعت عيناه وقال : أودعتك الله يا ولدى وفارقه .

قال الحافظ الدمياطى : وقد خرج المنذرى مرة من الحمام ، وقد أخذ منه حَرَّها فما أمكنه المشى فاستلقى على الطريق إلى جانب حانوت ، فقال له الدمياطى : يا سيدى أنا أقعدك على المِسْطَبَةِ بالحانوت وكان الحانوت مغلقاً فقال وهو في تلك الشدة : كيف يكون بغير اذن صاحبه وما رضى ، وكان العز يُسمع الحديث بدمشق قليلا فلما دخل القاهرة صار يحضر مجلس المنذرى ويَسمع كغيره ولا يُسمع ، والمنذرى ترك الفتيا حين دخل العز فقال لا حاجة للناس إلى بعد دخوله ، ومن شعر المنذرى قوله :

اعمل لنفسك صالحاً لا تحتفل ۞ بظهور قيل في الأنام وقال
فالخلق لا يرجى اجتماع قلوبهم ۞ لا بد من مثن عليك وقالى

قال ابو تراب : ترجمته في البداية ج ١٣ ص ٢١٢ والفوات ج ١ ص ٢٩٦ والسبكى ج ٥ ص ١٠٨ وصلة التكملة للحسينى (خط) والتبيان (خط) .

اسـحاق بن راهـويه

اسحاق بن راهويه هو أبو يعقوب ابن ابراهيم بن مخلد الحنظلى المروزى أحد أئمة الدين وأعلام المسلمين وهداة المؤمنين جمع بين الحديث والفقه والورع والتقوى ، ذكره الدارقطنى فيمن روى عن الإمام الشافعى وعدّه البيهقى في أصحاب الشافعى ، ونزل بنيسابور .

ولد سنة احدى وستين ومئة ، وقيل : سنة ست وستين ، وهو الذى ناظر الامام الشافعى في مسألة جواز بيع دور مكة ، وقد استوفى الفخر الرازى صورة ذلك المجلس العلمى العظيم بين الإمامين وما جرى بينهما من المناقشة العلمية الباهرة في كتابه الذى وضعه في مناقب الشافعى ، فلما عرف ابن راهويه مبلغ علم الشافعى وقدرته على الاستنباط واحاطته بالأصول والفروع نسخ كتبه وجمع مصنفاته بمصر .

قال الإمام احمد بن حنبل : ابن راهويه عندنا إمام من أئمة المسلمين ، وما عبر جسر بغداد أفقه منه ، وقال اسحاق : أحفظ سبعين ألف حديث وأذاكر بمئة ألف حديث ، وما سمعت شيئا قط الاّ حفظته ، ولا حفظت شيئا قط فنسيته ، ولابن راهويه مسند مشهور عند المحدثين وكان قد رحل إلى الحجاز والعراق واليمن والشام ، وسمع من سفيان بن عيينة ومن في طبقته ، وهو شيخ البخارى ومسلم والترمذى ومن في طبقتهم ، قيل أنه ولد سنة ثلاث وستين ومئتين وسكن في آخر عمره نيسابور .

وتوفى ابن راهويه في النصف من شعبان ليلة الخميس أو الأحد أو السبت سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين أو ثلاثين ومئة ، وقد ولد أبوه في طريق مكة ولذلك سمى بابن راهويه بالفارسية ومعناه ابن الطريق وقد سأله أمير خراسان عن ذلك فأجابه انى لا اكره ان يقال لى ابن الطريق .

وسمع ابن راهويه من عبدالله بن المبارك وارتحل في طلب العلم، وسمع من الفضل الشيباني والنضر بن شميل وأبي نميلة وعمر بن هارون ، وسفيان بن عيينة والدراوردى وفضيل بن عياض ومعتمر بن سليمان وابن علية وحفص بن غياث وابن مهدى وغندر ، وعبدالرزاق وابن عياش وخلق سواهم من الأكابر .

وروى عنه البخارى واحمد بن حنبل ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى ويحى بن معين والذهلى وابن مضر المروزى ويحى بن آدم وهو من شيوخه .

قال علي بن اسحاق بن راهويه : ولد أبي من بطن أمه مثقوب الأذنين ، فمضى جدى راهويه الى الفضل بن موسى فسأله عن ذلك ؟ فقال : يكون ابنك رأساً إمّا في الخير وإمّا في الشر وكان ابن راهويه إمام الحديث في زمانه .

وقال الطوسى حين مات اسحاق ما أعلم أحداً أخشى لله من اسحاق بن راهويه .. انما يخشى الله من عباده العلماء .. وكان أعلم الناس ، ولو كان سفيان الثورى في الحياة لاحتاج الى اسحاق ، وقال الامام الدارمى : ساد ابن راهويه أهل المشرق والمغرب لصدقه ، وقال الامام أحمد بن حنبل : لا أعلم له بالعراق نظيراً ، وقال مرة وقد سئل عنه : أمثل اسحاق يسأل عنه ؟! اسحاق عندنا إمام ، وقال النسائى : ابن راهويه أحد الائمة ثقة مأمون سمعت سعيد بن ذؤيب يقول : ما أعلم على وجه الأرض مثل اسحاق ، وقال ابن خزيمة : لو كان اسحاق في التابعين لأقروا له بحفظه وعلمه وفقهه .

وقال الشعبى : ما كتبت سوداء في بيضاء الى يومى هذا ولا حدثنى رجل بحديث قط الاّ حفظته ، فحدثت بهذا ابن راهويه ، فقال : أتعجب من هذا ؟ قلت نعم ، فقال : ما كنت اسمع شيئاً الاّ حفظته وكأنى أنظر الآن الى سبعين ألف حديث ، وقال الخفاف : أنه قال له : كأنى أنظر الى مئة ألف حديث وأسرد ثلاثين ألفاً قال : وأملى علينا أحد عشر ألف حديث من حفظه ثم قرأها فما زاد وما نقص حــرفاً .

وكان اسحاق بن راهويه من الحفاظ الذين قضى العلماء منهم عجبا سمعه أبو يزيد محمد بن يحيى مرة وهو يقول : أحفظ سبعين ألف حديث عن ظهر قلبى . وقال أبو حاتم الرازى ذكرت للحافظ أبي زرعة : أمر اسحاق بن راهويه وحفظه فقال

أبو زرعة : ما روى أحفظ منه . قال أبو حاتم والعجب من إتقانه وسلامته من الغلط مع ما رزق من الحفظ . قال أبو زرعة : فقلت لأبى حاتم : إنه أملى التفسير عن ظهر قلبه فقال وهذا أعجب فإن ضبط الأحاديث المسندة أسهل وأهون من ضبط أسانيد التفسير وألفاظه .

قال ابو تراب : والبخارى أحفظ من ابن راهويه وقد اجتمعا يوما فقال ابن راهويه كأنى أنظر الى سبعين ألف حديث فقال البخارى : أو تعجب وفى هذا الزمان من ينظر إلى مئتى ألف حديث يعنى نفسه وقال البخارى مرة : أنا أحفظ مئة ألف حديث صحيح ومئتى ألف حديث غير صحيح . فاعجبوا من هؤلاء الناس كيف وهب لهم الله هذه القدرة .

قال محمد بن عبد الوهاب : كنت مع يحيى بن يحيى واسحاق بن راهويه نعود مريضا فلما حاذينا الباب تأخر اسحاق وقال ليحيى : تقدم فقال يحيى : بل أنت تقدم . فقال : يا أبا زكريا أنت أكبر منى قال : نعم ولكنك أعلم منى قال فتقدم اسحاق بن راهويه .

وكان الجارودى يقول : ابن راهويه شيخنا وكبيرنا تعلمنا منه وتجملنا به وقال الحاكم : هو امام عصره فى الحفظ والفتوى . وقال الشيرازى : جمع بين الحديث والفقه والورع . وقال الخليلى فى الارشاد : كان ابن راهويه يسمى شهنبشاه الحديث . وقال فيه الزياطى :

قربى إلى الله داعينى * إلى حب أبى يعقوب اسحاق
لم يجعل القرآن خلقا كما * قد قاله زنديق فساق
يا حجة الله على خلقه * فى سنة الماضين للباق
أبوك ابراهيم محض التقى * سباق مجد وابن سباق

قال الشعرانى : كان ابن راهويه يخضب بالحناء ، وما رأيت بيده كتابا قط انما كان يحدث من حفظه . وكنت اذا ذاكرته فى العلم وجدته فرداً ، فإذا جئت إلى أمر الدنيا وجدته لا رأى له . قال البخارى عاش اسحاق بن راهويه سبعا وسبعين سنة

قال الخطيب وهذا يدل أن مولده سنة إحدى وستين ومئة ، وفى ليلة موته يقول الشاعر :

يا هدة ما هددنا ليلة الأحد * فى نصف شعبان لا تنسى مدى الأبد

قال الكرابيسى أحد الصالحين : رأيت ليلة مات اسحاق بن راهويه كأن قمرا ارتفع من الأرض الى السماء من سكة ابن راهويه ثم نزل فسقط فى الموضع الذى دفن فيه اسحاق بن راهويه قال : ولم أشعر بموته فلما غدوت اذا بحفار يحفر قبره فى الموضع الذى رأيت القمر وقع فيه . قال الحاكم وقد دفن كتبه كابن المبارك ومحمد ابن يحيى .

وكان اسحاق بن راهويه يجل الامام الشافعى وقد وقعت بينهما مناظرة مشهورة . فكان اذا ذكر الشافعى لابن راهويه أخذ بلحيته ويقول واحياى من محمد ابن إدريس وقال له الشافعى أنت الذى يزعم أهل خراسان أنك فقيههم فقال هكذا يقولون فقال الشافعى ما أحوجنى أن يكون غيرك فى موضعك فآمر بعرك أذنيه .

وجرت مناظرة أخرى بين الامامين الجليلين الشافعى وابن راهويه وحضرها الامام أحمد بن حنبل وهذه المناظرة فى مسألة جلود الميتة اذا دبغت حكاها البيهقى . والمناظرة الأولى كانت فى مسألة كراء بيوت مكة . قال فيها الشافعى لابن راهويه : أنت الذى يقول أهل خراسان أنك فقيههم ؟ قال : هكذا يزعمون . وكان الامام أحمد هو الذى حث اسحاق بن راهويه على الاجتماع بالشافعى . وقال له : لم لا تجالس هذا الرجل فقال اسحاق : ما أصنع به وسنه قريب من سننا ؟ وكيف اترك سفيان بن عيينة وسائر المشايخ لأجله؟ فقال له أحمد : ويحك ان هذا يفوت وذلك لا يفوت . فحينئذ ذهب ابن راهويه الى الشافعى فحميت بينهما المذاكرة العلمية والمناظرة الكبرى . فقضى الناس منها عجباً . وسمعوا الأدلة والاستنباط وشاهدوا قوة العلماء فلله درُّهم .

قال ابو تراب : ترجمته في تهذيب ابن عساكر ج ٢ ص ٤٠٩ وتهذيب التهذيب ج ١ ص ٢١٦ والميزان للذهبى ج ١ ص ٨٥ وابن خلكان ج ١ ص ٦٤ والانتقاء لابن عبد البر ص ١٠٨ والحلية لأبى نعيم ج ٩ ص ٢٣٤ وطبقات الحنابلة ص ٦٨ وتاريخ الخطيب البغدادى ج ٦ ص ٣٤٥ وتذكرة النوادر ص ٣٦ وتهذيب الكمال للمزى (خط) .

ابن العـــربى

أبو بكر بن العربى : الإمام القاضى محمد بن عبد الله المعافرى وهو فخر المغرب ــ إمام فى الأصول والفروع ، قال المقرى فى « نفح الطيب » ومن شعره وقد ركب مع أحد ــ أمراء الملثمين ــ وكان ذلك الأمير صغيراً ، فهز عليه رمحا ــ كان فى يده ــ مداعباً له ، فقال :

يهز عليَّ الرمح ظبى مهفهف لعوب بألباب البريــة عابث
فلو كان رمحاً واحداً لاتقيته ولكنــه رمح وثــان وثــالث

وقد اختلف حذاق الأدباء فى قوله ثان وثالث ، ما هما ؟ فقيل : القد واللحظ ، وقيل غير ذلك ، انتهى . ذكره الحجازى فى المسهب ، وابن الإمام فى سمط الجمان ، والشقندى فى الطرف سمع ــ يعنى الحديث ــ بالأندلس ومصر والإسكندرية ودمشق من جماعة من الحفاظ ، وكان ثاقب الذهن ذكره ابن بشكوال فى الصلة، وقال: الإمام الحافظ ختام علماء الأندلس، دخل الشام والعراق وبغداد ــ وسمع بها من كبار العلماء ــ ثم حج ، ولما غرب صنف « عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذى » وولى القضاء باشبيلية ، مولده سنة ٤٦٨ ، وتوفى سنة ٥٤٣ ــ سمع ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير وصنف فى غير فن ، والتزم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى أوذى فى ذلك بذهاب كتبه وماله فأحسن الصبر على ذلك كله ، روى عنه خلق كثير منهم القاضى عياض ، ترجم له المقرى ترجمة حافلة حسنة وقال: كنت نقلت من المطمح فى حقه ما صورته: علم الأعلام الطاهر الأبواب الباهر الأثواب الذى أنسى ذكاء إياس وترك التقليد للقياس ، وأنتج الفرع من الأصل وغدا فى الإسلام أمضى من النصل ، ومن تصانيفه كتاب « القبس فى شرح موطأ مالك بن أنس » وكتاب « ترتيب المسالك فى شرح الموطأ »

وكتاب « أحكام القرآن » وكتاب « مشكل الكتاب والسنة » وكتاب « النيرين فى الصحيحين » وكتاب « الرد على من خالف السنة من ذوى البدع والإلحاد » ومن فوائده قوله ــ قال علماء الحديث ــ ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهه نضرة ، لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها فأداها ، كما سمعها ... الحديث ، قال وهذا دعاء منه ﷺ لحملة علمه ولا بد بفضل الله تعالى من نيل بركته ، انتهى . وإلى هذه النضرة أشار أبو العباس العزفى بقوله :

أهل الحديث عصابة الحق ... فازوا بدعوة سيد الخلق
فوجوههم زهر منضرة ... لألاؤها كتألق البرق
ياليتنى معهم ! فيدركنى ... ما أدركوه بها من السبق

ومن فوائده قوله تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبى بكر الفهرى حديث أبى ثعلبة المرفوع رواه الترمذى وابن ماجة « إن من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم ، فقالوا : منهم ؟ فقال : بل منكم ، لأنكم تجدون على الخير أعوانا ، وهم لا يجدون عليه أعوانا » وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتى من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الإسلام وعضدوا الدين وأقاموا المنار واقتحموا الأمصار وحموا البيضة ومهدوا الملة وقد قال ﷺ فى الصحيح رواه البخارى عن أبى سعيد الخدرى « لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه فى شرح الصحيح . وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد ولا يدانيهم فيها بشر ، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها فى الأجر من أخلص إخلاصهم وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم ؛ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والإسلام وهو أيضاً انتهاؤه ؛ وقد كان قليلا فى ابتداء الإسلام صعب المرام لغلبة الكفار على الحق ؛ وفى آخر الزمان أيضاً يعود كما كان . ووعد الصادق صلى الله عليه وآله وسلم بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الجهال واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق ، وركوب من يأتى سنن من مضى من أهل الكتاب كما قال ﷺ « لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه ، وقال ﷺ « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا

كما بدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم ، فلا بد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد كما بدأ من واحد ، ويضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى فى الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكناً منه معاناً عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى ، وذلك قوله : لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعواناً حتى ينقطع ذلك انقطاعا تاماً لضعف الدين وقلة اليقين — ، كما قال ﷺ « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » (رواه مسلم) — يروى برفع الهاء ونصبها ؛ فالرفع على معنى لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل ؛ والنصب على معنى لا يبقى آمر بمعروف وناه عن منكر — ، يقول أخاف الله ، وحينئذ يتمنى العاقل الموت ، كما قال ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه ، انتهى . وأنشد — رحمه الله تعالى — لبعض الصوفية :

امتحـــن الله بذا خلقـــه فالنـــار والجنـــة فى قبضتـــه
فهجـــره أعظـــم من ناره ووصلـــه أطـــيب من جنتـــه

ومن فوائده أنه قال : كنت بمجلس الوزير العادل أبى منصور بن جهير ، فقرأ القارى « تحيتهم يوم يلقونه سلام » وكنت بظهر أبى الوفاء ابن عقيل إمام الحنبلية — بمدينة السلام — وكان معتزلى الأصول ، فلما سمعت الآية — قلت لصاحب لى كان يجلس على يسارى — هذه الآية دليل على رؤية الله تعالى فى الآخرة ، فإن العرب لا تقول : لقيت فلانا ، إلا إذا رأته ، فصرف أبو الوفاء وجهه مسرعا إلينا ، وقال : ينتصر لمذهب الاعتزال فى أن الله لا يرى فى الآخرة ، فقد قال الله تعالى « فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه » وعندك إن المنافقين لا يرون الله تعالى فى الآخرة ، وقد شرحنا وجه الآية فى « المشكلين » وتقدير الآية فأعقبهم هو نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه ، فيحتمل ضمير — يلقونه — أن يعود إلى ضمير الفاعل — فى أعقبهم — المقدر بقولنا — هو — ويحتمل أن يعود إلى النفاق مجازاً على تقدير الجزاء ، انتهى .
ومنها قوله إنه كان بمدينة السلام إمام من الصوفية وأى إمام يعرف بابن عطاء ؛ فتكلم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروه ، فقام رجل من آخر مجلسه وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة ؛ فقال ياشيخ ياسيدنا ! فإذن يوسف هم وما تم — فقال نعم — لأن العناية من ثم ، فانظروا إلى حلاوة العالم

والمتعلم ، وفطنة العامى فى سؤاله والعالم فى اختصاره واستيفائه ، ولذا قال علماؤنا إن فائدة قوله تعالى « ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلما » إن الله أعطاه العلم والحكمة أيام غلبة الشهوة لتكون سبباً للعصمة ؛ انتهى ومنها قوله كنت بمكة مقيما فى سنة ٤٨٩ ، وكنت أشرب من ماء زمزم كثيراً وكلما شربته نويت العلم والإيمان ؛ ففتح الله تعالي لي ببركته فى المقدار الذي يسره لي من العلم ؛ ونسيت أن أشربه للعمل ، وياليتني شربته لهما حتى يفتح الله لي فيهما ولم يقدر فكان صغوى للعلم أكثر منه للعمل ، وأسأل الله الحفظ والتوفيق برحمته ، ومنها قوله حكاية عن الجوهرى : أنه كان يقول إذا امسكت علاقة الميزان بالإبهام والسبابة وارتفعت سائر الأصابع كان شكلها مقروءاً بقولك « الله » فكأنها إشارة منه سبحانه فى تيسير الوزن إلى أن الله سبحانه مطلع عليك فاعدل فى وزنك ، وانتهى . ومنها قوله فى تفسير قوله تعالى : « في أيام نحسات » قيل إنها كانت آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء ، والناس يكرهون السفر يوم الأربعاء لأجل هذه الرواية ، انتهي .

قال القنوجى : وفى المغازي أن النبى ﷺ دعا علي الأحزاب من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء — بين الظهر والعصر — فاستجيب له وهى ساعة فاضلة ، فالآثار الصحاح تدل على فضل هذا اليوم ، فكيف يدعي فيه التحذير والنحس بأحاديث لا أصل لها ، وقد صور قوم أياماً من الأشهر الشمسية ادّعوا فيها الكراهية لا يحل لمسلم أن ينظر إليها فحسبهم الله ، انتهى . ومنها كان يقرأ معنا برباط أبى سعد على الإمام دانشمند من بلاد المغرب — خنثى ليس له لحية وله ثديان — وعنده جارية — فربك أعلم به ، ومع طول الصحبة عقلنى الحياء عن سؤاله وبودي اليوم لو كاشفته حاله ، انتهى . ومن شعره :

ليت شعري هل دروا	أي قلب ملكوا
وفؤادي لو درى	أي شعب سلكوا
أتراهم سلموا	أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى	في الهوى وارتبكوا

انتهي من نفح الطيب ملخصاً .

وذكر ترجمته أيضاً سليم الخوري — في آثار الأدهار — واثني عليه وذكر له مؤلفات كباراً وبعض الأشعار ، وحفيده محمد بن عبد الله بن أحمد يعرف « بابن

العربي » أيضا قال فى الآثار : حج فسمع من السلفي ثم رحل إلى الشام والعراق ـــ وأخذ عن عبد الوهاب بن سكينة وطبقته ـــ ورجع فأخذوا عنه ثم تصوف وتعبد ، وتوفي بالأسكندرية سنة ٦١٧ ، قاله الذهبي في تاريخه الكبير ، انتهي . وفيه شيء .

قال أبو تراب :

هو ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها بلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين وكتابه « الناسخ والمنسوخ » مخطوط بجامعة القرويين ، والإنصاف فى مسائل الخلاف عشرون مجلداً ، وله العواصم والقواصم ، وأعيان الأعيان ، والمحصول في أصول الفقه وكتاب المتكلمين ، وقانون التأويل في التفسير .

وترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطي ، ووفيات الأعيان ج ١ ص٤٨٩ ونفح الطيب ج ا ص٤٣٠ والمغرب في حلي المغرب ج ١ ص٢٤٩ وقضاة الأندلس ص ١٠٥ وجذوة الاقتباس ص١٦٠ والديباج المذهب ص٢٥١ والصلة لابن بشكوال ص٥٣١ والوافى بالوفيات ج ٣ ص٣٣٠ وسلوة الأنفاس ج ٣ ص٩١٨

محمد بن اسحاق

أبو بكر ، وقيل أبو عبد الله ، محمد بن إسحق بن يسار المطلبى بالولاء المدنى صاحب « المغازي والسير » .

كان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء ، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته وذكره البخاري في تاريخه ، وقال سفيان بن عيينة : ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحق في حديثه ، وقال شعبة بن الحجاج محمد بن إسحق ــ أمير المؤمنين ــ يعنى فى الحديث ، ويحكى عن الزهري أنه خرج إلي قرية فاتبعه طلاب الحديث ، فقال لهم : أين أنتم من الغلام الأحول ــ أو قد خلفت فيكم الغلام الأحول ــ يعني محمد بن إسحق .

وذكر الساجي : أن أصحاب الزهري كانوا يلجأون إلى محمد بن إسحق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ثقة منهم بحفظه ، وحكي عن يحي بن معين وأحمد بن حنبل ويحي بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه ، وإنما لم يخرج البخاري عنه وقد وثقه ، وكذلك مسلم بن الحجاج لم يخرج عنه إلا حديثاً واحداً فى الرجم من أجل طعن مالك بن أنس فيه وأنما طعن مالك فيه لأنه بلغه عنه أنه قال : هاتوا حديث مالك ! فأنا طبيب بعلله ، فقال مالك ــ وما ابن اسحق إنما هو دجال من الدجاجلة ــ نحن أخرجناه من المدينة ــ يشير ــ والله أعلم إلى أن الدجال لا يدخل المدينة .

وحكى الخطيب في « تاريخ بغداد » أن محمد بن إسحق رأى أنس بن مالك رضى الله عنه ــ وعليه عمامة سوداء ــ والصبيان خلفه يشتدون ويقولون هذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ لا يموت حتي يلقى الدجال ، توفي ببغداد سنة ١٥١ ، رحمه الله تعالي .

قال أبو تراب :

وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٩ ص٣٨ وطبقات ابن سعد ومعجم ياقوت ج ٦ ص٣٩٩ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص١٦٣ والوفيات ج ١ ٤٨٣ وميزان الاعتدال ج ٣ص٢١ وذيل المذيل ص١٠٣ وتاريخ بغداد ج ١ ص٢١٤ وروض المناظر — خ — وطبقات المدلسين ص١٩ وعيون الأثر ج ١ ص ١٠ وأورد فيه المطاعن والذب عنه .

الأعمش

أبو محمد ، سليمان بن مهران مولي بنى كاهل من ولد أسد ، المعروف « بالأعمش » الكوفي الإمام المشهور ، كان ثقة عالماً فاضلا ، وكان أبوه من دنباوند ، وقدم الكوفة ، وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها .

قال السمعاني : وهو لا يعرف بهذه النسبة ، بل يعرف بالكوفي ، وكان يقارن بالزهري في الحجاز ، ورأى أنس بن مالك ــ وكلمه ــ لكن لم يرزق السماع عليه ، وما يرويه عن أنس فهو إرسال ــ أخذه عن أصحاب أنس .

وروي عن عبد الله بن أبي أوفي حديثاً واحداً ، ولقي كبار التابعين ، وروي عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث ، وخلق كثير من جلة العلماء .

وكان لطيف الخلق مزاحاً جاءه أصحاب الحديث يوما ليسمعوا عليه ، فخرج إليهم وقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إليّ منكم ما خرجت إليكم ، وقال له داوود بن عمر الحائك : ما تقول في الصلوة خلف الحائك؟ فقال : لا بأس بها على غير وضوء ، فقال له : ما تقول في شهادة الحائك ؟ فقال : تقبل مع عدلين .

ويقال إن الإمام أبا حنيفة رحمه الله عاده يوماً في مرضه ، فطول القعود عنده فلما عزم علي القيام ، قال له : ما كأني إلا ثقلت عليك ، فقال : والله إنك لثقيل عليّ ؟ وأنت في بيتك ، وعاده أيضاً جماعة ــ فأطالوا الجلوس عنده ــ فضجر منهم ، فأخذ وسادته وقام ، وقال : شفى الله مريضكم بالعافية ، وقيل عنده يوماً ، قال ﷺ : « من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه ، فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني ، وكانت له نوادر كثيرة .

وقال أبو معاوية الضرير : بعث هشام بن عبد الملك إلي « الأعمش » أن أكتب لي مناقب عثمان ومساوى على بن أبي طالب ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها ، وقال لرسوله : قل له هذا جوابك ،فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلنى إن لم آته بجوابك ، وتحمل عليه باخوانه ، فقالوا له : ياأبا محمد ! نجه من القتل ، فلما ألحوا عليه ، كتب له :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد ، ياأمير المؤمنين ! فلو كانت لعثمان مناقب أهل الأرض — ما نفعتك ، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوي أهل الأرض — ما ضرتك ، فعليك بخويصة نفسك ، والسلام .

مولده سنة ٦٠ من الهجرة ، وتوفي سنة ١٤٨ في شهر ربيع الأول ، قال زائدة ابن قدامة : تبعت الأعمش يوماً فأتى المقابر ، فدخل في قبر محفور ، فاضطجع فيه ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ، ويقول : واضيق مسكناه .

قال ابو تراب : ترجمته فى طبقات ابن سعد ج ٦ ص٢٣٨ وتذكرة الحفاظ ، والوفيات ج٢١٣١ وتاريخ بغداد ج ٩ ص٣ والاعلان بالتوبيخ ص ٦٦

الأوزاعى

أبو عمرو ، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد « الأوزاعي » إمام أهل الشام — لم يكن بالشام أعلم منه ، قيل إنه أجاب في سبعين ألف مسئلة .

وكان يسكن بيروت ، سمع من الزهري وعطاء ، وروى عنه الثوري ، وأخذ عنه عبد الله بن المبارك وجماعة كثيرة .

كانت ولادته ببعلبك سنة ٨٨ للهجرة ، وقيل سنة ٩٣ ، وكان فوق الربعة خفيف اللحية به سمرة — وكان يخضب بالحناء .

توفي سنة ١٥٧ بمدينة بيروت ، وأهل القرية لا يعرفونه ، ويقولون ههنا رجل صالح ينزل عليه النور ولا يعرفه إلا الخواص من الناس ، ورثاه بعضهم بقوله :

جاد الحيا بالشام كل عشية قبراً تضمن لحده «الأوزاعي»
قبر تضمن فيه طود شريعة سقيا له من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فأعرض مقلعاً عنها بزهد ايما إقلاع

ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق : أن الأوزاعي دخل الحمام ببيروت ، وكان لصاحب الحمام شغل — فأغلق الحمام عليه — وذهب ، ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتاً ، قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة . وقيل إن امرأته فعلت ذلك ولم تكن عامدة لذلك ، فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعتق رقبة .

والأوزاع : بطن من ذي الكلاع من اليمن ، وقيل بطن من همدان ، وقيل قرية بدمشق وبيروت — بليدة بساحل الشام — أخذها الفرنج من المسلمين في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

قال ابو تراب :

له كتاب السنن في الفقه وكتاب المسائل وترجمته فى الشذرات ج١ص٤٢١ وحلية الأولياء ج٦ص١٣٥ وتهذيب الأسماء للذهبي والوفيات ج١ص٢٧٥ وفهرس ابن النديم ج١ ص٢٢٧ والمنتخب لابن شقدة — خ — والمعارف لابن قتيبة ص٢١٧ .

الآجــرى

أبو بكر ، محمد بن الحسين بن عبد الله « الآجري » الفقيه المحدث الشافعي ، صاحب كتاب الأربعين حديثا وهي مشهورة به .

وكان صالحاً عابداً ، وروي عن أبي مسلم الكجي وأبي شعيب الحراني ، وأحمد بن يحي الحلواني ، وخلق كثير من اقرانهم ، ذكره محمد بن إسحق النديم فى كتابه الذي سماه « الفهرست » وصنف في الفقه والحديث كثيراً .

وذكره الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه : وكان ثقة صدوقاً ديناً ، وله تصانيف كثيرة ، وحدث ببغداد ، ثم انتقل إلي مكة ، فسكنها حتى توفي بها . وروى عنه جماعة من الحفاظ منهم أبو نعيم الأصبهاني صاحب كتاب « حلية الأولياء » وغيره .

قال ابن خلكان : وأخبرني بعض العلماء أنه لما دخل مكة حرسها الله تعالى أعجبته ، فقال : اللهم ارزقني الإقامة بها سنة ، فسمع هاتفاً ، يقول له : بل ثلاثين سنة ، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة ، ثم مات بها في المحرم سنة ستين وثلاث مائة .

قال الخطيب : قرأت ذلك على بلاطة قبره بمكة . والآجري : بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء هذه النسبة إلى الآجر ، ولا أعلم لأي معنى نسب إليه . قال ابن خلكان : ورأيت حاشية على كتاب الصلة صورتها : الإمام أبو بكر الآجري نسب إلي قرية من قري بغداد ، يقال لها آجر ، واستوطن مكة حرسها الله تعالى .

وتوفي بها أول يوم من المحرم سنة ستين وثلاث مائة ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : له من المؤلفات أخبار عمر بن عبد العزيز وأخلاق حملة القرآن وأخلاق العلماء والتفرد والعزلة وحسن الخلق والشبهات وتغير الأزمنة والنصيحة وكتاب الشريعة وكتاب الغرباء وتحريم الملاهي والنرد والشطرنج وفرض طلب العلم وماورد في ليلة النصف من شعبان والتصديق بالنظر إلى الله وهو مخطوط بالظاهرية .

وترجمته في الوفيات ج ١ص٤٨٨ وصفة الصفوة ج٢ص ٢٦٥ وتاريخ بغداد ج٢ ص٢٤٣ وكشف الظنون ج١ ص٣٧ والنجوم الزاهرة ج٤ ص٤٠ وذكره ابن خير في الفهرسة ص٢٨٥ .

البــاجى

أبو الوليد ، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي المالكي الأندلسي « الباجى » كان من أكابر علماء الأندلس وحفاظها . سكن شرق الأندلس ، ورحل إلى المشرق سنة ست وعشرين وأربع مائة ونحوها . فأقام بمكة مع أبي ذر الهروي ثلاثة أعوام — وحج فيها أربع حجج . ثم رحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام — يدرس الفقه ويقرأ الحديث . ولقي بها سادة من العلماء — كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي إسحق الشيرازي صاحب « المهذب » وأقام بالموصل مع أبي جعفر السمناني عاماً يدرس عليه الفقه . وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً .

وروى عن الحافظ أبي بكر « الخطيب » وروى الخطيب أيضاً عنه — قال أنشدني أبو الوليد « الباجى » رحمه الله لنفسه :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً ... بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون ضنيناً بها ... وأجعلها في صلاح وطاعة

وصنف كتباً كثيرة منها : كتاب « المنتقى » وكتاب « التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح » وغير ذلك . وهو أحد أئمة المسلمين لا يسأل عن مثله . قال : سمعت أبا ذر عبد بن أحمد الهروي يقول : لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة .

وكان قد رجع إلى الأندلس وولي القضاء هناك .

ومولده يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة سنة ٤٠٣ بمدينة بطليوس .

وتوفي بالمرية ، ليلة الخميس بين العشاءين تاسع عشر من رجب سنة ٤٧٤ . ودفن بالرباط على ضفة البحر . وصلى عليه ابنه القاسم .

وأخذ عنه أبو عمرو بن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » وبينه وبين أبي محمد بن حزم المعروف بالظاهري ــ مجالس ومناظرات وفصول ، يطول شرحها .

والباجي : نسبة إلي باجة ، وهي مدينة الأندلس ، وثم باجة أخرى وهي مدينة بافريقية ، وباجة أخرى وهى قرية من قرى أصبهان .

وذكر له المقري في « نفح الطيب » ترجمة حافلة جليلة ، وقال : لعمري إنه لم يوف القاضي الباجي حقه الواجب المفترض ، ووددت أنه مد النفس في ترجمته بعبارة يعترف ببراعتها من سلم له ومن اعترض ، قال : ومن تواليفه ، « المنتقى في شرح الموطا » ذهب فيه مذهب الإجتهاد وإيراد الحجج ، وهو مما يدل على تبحره في العلوم والفنون .

قال ابو تراب : من كتبه « السراج في علم الحِجاج ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول ، منه نسخة بخزانة القرويين بفاس ، وكتاب اختلاف الموطآت ، وشرح فصول الأحكام وبيان ما مضى به العمل من الفقهاء والحكام وكتاب الحدود وفِرَق الفقهاء وشرح المدونّة .

وترجمته في سير النبلاء وتاريخ ابن عساكر والديباج ص ١٢٠ والوفيات ج ١ ص ٢١٥ والفوات ج ١ ص ١٧٥ ونفح الطيب ج ١ ص٣٦١ وابن الوردى ج ١ ص ٣٨٠ وأنكروا عليه دعواه ان رسول الله ﷺ كتب وله في ذلك رسالة رأيتها عند صديقنا العلّامة ابى عبدالرحمن بن عقيل الظاهرى .

الدميــاطى

عبد المؤمن بن خلف بن شرف ، يعرف « بالدمياطي » الإمام البارع الحافظ النسابة المجود الحجة علم المحدثين عمدة النقاد .

ولد سنة ٦١٣ ، ووفاته في سنة ٧٠٥.

طلب الحديث وسمع من أصحاب السلفى ، وعني بهذا الشأن رواية ودراية ، ولازم الحافظ زكي الدين ، وسمع بالحرمين ، وارتحل إلي الشام والجزيرة والعراق ، وكتب العالي والنازل ، وحدث وصنف وأملى في حياة كبار مشايخه .

وكان مليح الهيئة جميل الصورة ، وكتب عنه طائفة ، منهم : أبو حيان وفتح الدين بن سيد الناس والمزي والتقي السبكي والنووي ، وما زال يسمع الحديث إلى أن مات فجأة ، وصلي عليه بدمشق غائباً ، رحمه الله .

قال ابو تراب : ترجمته في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٤١٧ وطبقات الشافعية ج ٤ ص ١٠ والفوات ج ٢ ص ١٧ وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٢ والبداية ج ١٤ ص ٤٠ وطبع له أخيراً كتاب المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح ، قال الحافظ المزي : ما رأيت أحفظ منه .

ابن بشكــوال

أبو القاسم ، خلف بن عبد الملك بن مسعود « ابن بشكوال » بن يوسف الخزرجي القرطبي ، كان من علماء الأندلس .

وله التصانيف المفيدة ، منها : كتاب « الصلة » الذي جعله ذيلا علي تاريخ علماء الأندلس ، تصنيف القاضي أبي الوليد ، عبد الله المعروف بابن الفرضي ، وقد جمع فيه خلقاً كثيراً ، وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس وما قصر فيه ، وكتاب « الغوامض والمبهمات » ذكر فيه من جاء ذكره في الحديث مبهماً ، فعينه ونسج فيه على منوال الخطيب البغدادي ، في كتابه الذي وضعه على هذا الأسلوب ، وجزء لطيف ذكر فيه من روى الموطأ عن مالك بن أنس ، ورتب أسماءهم على حروف المعجم ، فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلا ، ومجلد لطيف سماه كتاب « المستغيثين » بالله تعالي عند المهمات والحاجات ، والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات ، وما يسر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات » ، وله غير ذلك من المصنفات .

وكان مولده يوم الإثنين ثالث ، وقيل ثامن ذي الحجة سنة ٤٩٤ ، وتوفي ليلة الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ٥٧٨ بقرطبة ، ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر ، بمقبرة ابن عباس — بالقرب من قبر يحيى بن يحيى ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : له نحو خمسين مؤلفاً منها الغوامض والمبهمات اثنا عشر جزءاً والفوائد المنتخبة عشرون جزءاً في مجلد واحد ، يوجد في الفاتيكان وكتاب القربة إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين مع كتاب المستغيثين في مجموع بخزانة الرباط (٢٤٢ أوقاف) .

وترجمته في الديباج ص ١١٤ والوفيات ج ١ ص ١٧٢ والمعجم لابن الأبار ص ٨٢ والتكملة ج ١ ص ٥٤ والصلة ص ٦٥٠ .

البغـــوى

أبو محمد ، حسين بن مسعود بن محمد ، المعروف بالفراء « البغوي » الفقيه الشافعي المحدث المفسر ، كان بحراً في العلوم ، وأخذ الفقه عن القاضي حسين بن محمد .

وصنف في تفسير كلام الله تعالى وأوضح المشكلات من قول النبي ﷺ ، وروى الحديث ودّرس ، وكان لا يلقي الدرس إلا على الطهارة .

وصنف كتباً كثيرة منها كتاب « التهذيب » في الفقه، وكتاب « شرح السنة » في الحديث ، و « معالم التنزيل » في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب « المصابيح » (أي مشكاة . المصابيح) و « الجمع بين الصحيحين » وغير ذلك .

وتوفي في شوال سنة ٥١٠ بمروروذ — ودفن عند شيخه القاضي حسين ، بمقبرة الطالقاني — وقبره مشهور هنالك .

ورأيت في كتاب « الفوائد السفرية » التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، إنه توفي في سنة ست عشرة وخمسمائة — ومن خطه نقلت هذا والله أعلم ، ونقل عنه أيضاً أنه ماتت له زوجة فلم يأخذ من ميراثها شيئاً ، وإنه كان يأكل الخبز البحت — فعذل في ذلك ، فصار يأكل الخبز مع الزيت .

والفراء : نسبة إلى عمل الفراء وبيعها ، و« البغوي » نسبة إلي بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها : بغ وبغشور — بفتح الباء وضم الشين — وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل ، قاله السمعاني في « كتاب الأنساب » .

قال أبو تراب : ترجمته في تهذيب ابن عساكر ج ٤ ص ٣٤٥ والوفيات ج ١ ص ١٤٥ وسماه السيوطي في طبقات الحفاظ الحسين بن محمد بن مسعود ، وذكره في دائرة المعارف الإسلامية ج ٤ ص ٢٧ .

ابن بطــال

« ابن بطال » هو أبو الحسن على بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، الإمام الحافظ المالكي البكري ، أصله من قرطبة وأخرجته الفتنة إلي بلنسية ، وكان عالما فقيها عني بالحديث ، وله شرح على صحيح البخاري ، وولي قضاء لورقة ، وروي عنه جماعة ، وله كتاب الاعتصام في الحديث ، وكانت وفاته سنة ٤٤٤ أو سنة ٤٤٩ .

قال ابو تراب : يوجد من شرحه للبخارى أجزاء في الأزهرية وخزانة القرويين بفاس واستانبول ، وترجمته في شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٨٣ وآنظر التاج ج ٧ ص ٢٢٩ وبرنامج القرويين ص ٤٣ والأزهرية ج ١ ص ٥١٤ وطوبقبو ج ٢ ص ٤٢ .

ابن جماعـــة

« ابن جمـــاعة » هـو محمـد بن إبراهيم بن سـعد الله الكنـاني الشافعي ـــ قاضي القضاة ـــ سمع من جماعة وحدث ، وكان له مشاركة جيدة في الفقه والأصول والحديث والتفسير ، وكان خطيبا دينا ولي الخطابة بالقدس ، ثم القضاء بمصر ثم بالشام وحصلت له دنيا واسعة ، ثم ولي بعد ذلك مناصب عديدة .

ولد سنة ٦٤٩ بحماة ، وتوفي سنة ٧٤٤ ، وكان يقرض الشعر ، وله تصانيف جيدة منها : كتاب التبيان في مبهمات القرآن ، ورد على المشبهة في الآية « الرحمن على العرش استوى » وكتاب المنهل الروي في الحديث النبوي ، وهو مختصر في الحديث جمع فيه خلاصة المحصول من علوم الحديث لابن الصلاح وزاد عليه .

وله كتاب المسالك في علوم المناسك ، ذكر أنه جمع فيه من مهمات الدقائق وإشارات الحقائق ما لا يعلم ان أحداً سبقه إلى وضعه ، ذكره في آثار الأدهار .

قال ابو تراب : يوجد كتابه « المنهـــل » في طوبقبو (٢ : ٦) وطبع له تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم وله كتاب مستند الأجناد في آلات الجهاد ورسالة في الاسطرلاب وفي المكتبة العربية بدمشق قطعة من كتابه الفوائد الغزيرة من حديث بريرة وترجمته في نكت الهميان ص ٢٣٥ والفوات ج ١ ص ١٧٤ والبداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٩٨ والأنس الجليل ج ٢ ص ٤٨٠ والنجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٨ والدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٨٠ .

ابن رشـــــد

« ابن رشد » هو القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي الأندلسي القرطبي ، العالم الفيلسوف الطبيب المشهور ، واحد آحاد عصره ذكاء وعلماً واجتهاداً .

ولـد سنة ٥٣٠ في بيت فقه وقضاء قديم ، أخذ الأدب عن جماعة واشتغل بالفقه والعربية ودأب ، ثم رأى من نفسه ارتياحاً إلى الحكمة فطلبها واشتغل بها ، ولزم ابن العربي وغيره ولم يزل مجداً في الاشتغال بها حتى صار ابن بجدتها وأبا عذرتها .

وكان كثير الدرس والمطالعة ــ لا يشغله عن البحث والنظر شاغل ــ وتشهد بذلك كثرة مؤلفاته . قال ابن الأبار إنه لم يصرف ليلة من عمره بلا درس أو تصنيف إلا ليلة عرسه وليلة وفاة أبيه ، وكان أكثر تلامذته من اليهود والنصارى ، وقل من كان يقرأ عليه من المسلمين ، لأنه كان يرمى بضعف المعتقد ولم يزل يزداد شهرة ورفعة قدر حتى كثر حساده واتهموه بتفضيل فلسفة القدماء على الإسلام .

ذكر ترجمته سليم الخوري في الآثار حافلة طويلة جداً ، وقيل كان يهودي الأصل يظهر الإسلام ويكتم اليهودية مع تمسكه بها .

وله تصانيف كثيرة ، منها : كتاب التحصيل جمع فيه اختلاف أهل العلم من الصحابة والتابعين وتابعيهم وكتاب نهاية المجتهد في الفقه ، وكتاب التهافت رد به تهافت الغزالي ، ذكر فيه أن ما ذكره الغزالي بمعزل عن مرتبة اليقين والبرهان ، وقال في آخره لا شك أن هذا الرجل أخطأ على الشريعة كما أخطأ على الحكمة ، وقد أوصل « ابن رشد » الفلسفة العربية إلى غاية بعيدة ، ولم يأت في الإسلام من بعده من يضاهيه في الفلسفة .

وصار لمذهبه شهرة وقبول في المدارس النصرانية واليهودية ، وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه اﷺ ــ في كثير من مقالاته ، فليعلم .

قال ابو تراب : ترجمته في قضاة الأندلس ص ١١١ والتكملة لابن الأبـار ج ١ ص ٢٦٩ والمعجب ص ٢٤٢ وشذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٠ وطبقات الاطباء ج ٢ ص ٧٥ والصحيح أن ولادته سنة (٥٢٠)ه ووفاته سنة (٥٩٥)ه .

البويطـى

أبو يعقوب ، يوسف بن يحي المصرى « البويطي » صاحب الإمام الشافعي رحمه الله .

كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة اختص به في حياته وقام مقامه في الدرس والفتوى بعد وفاته ، سمع الأحاديث النبوية من عبد الله بن وهب الفقيه المالكي ، ومن الإمام الشافعى ، وروى عنه أبو إسمعيل الترمذي ، وإبراهيم بن إسحاق الحربي والقاسم بن المغيرة الجوهري ، وأحمد بن منصور الرمادي وغيرهم .

وكان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصر إلي بغداد في مدة المحنة — وأريد على القول بخلق القرآن فامتنع من الإجابة إلى ذلك ، فحبس ببغداد — ولم يزل في السجن والقيد حتي مات ، وكان صالحاً متنسكا عابداً زاهداً .

قال الربيع : دخلت على « البويطي » أيام المحنة ، فرأيته مقيداً إلي أنصاف ساقية مغلولة يده إلى عنقه ، وكتب إليَّ من السجن : أنه ليأتى عليّ أوقات لا أحس بالحديد علي بدني حتي تمسه يدي ، فإذا قرأت كتابي هذا فاحسن خلقك مع أهل حلقتك واستوص بالغرباء خاصة خيراً ، .فكثيراً ما كنت اسمع الشافعى رحمه الله يقول :

أهين لهم نفسي لأكرمهم بها ولن تكرم النفس التى لا تهينها

وأخباره كثيرة .

توفي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة ٢٣١ — في القيد والسجن — ببغداد . والبويطي : نسبة إلي بويط ، وهي قرية من أعمال الصعيد الأدنى من ديار مصر .

قال ابو تراب : قال الشافعى : ليس أحد أحق بمجلسى من البويطى وليس أحد أعلم منه من أصحابى ترجمته في التهذيب ج ١١ ص ٤٢٧ وتاريخ الخطيب ج ١٤ ص ٢٩٩ والوفيات ج ٢ ص ٣٤٦ وطبقات السبكى ج ١ ص ٢٧٥ وفي مناقب الامام أحمد ص ٣٩٧ . رؤى البويطى وفي عنقه سلسلة حديد وزنها أربعون رطلاً يقول في الرد على من قال بخلق القرآن : ان الله خلق الخلق بكُنْ ، فاذا كانت (كن) مخلوقة على زعمهم لأنها كلام الله فيلزم من ذلك ان مخلوقاً خلق مخلوقاً ، والعياذ بالله ، والله لأموتن في حديدى هذا حتى يأتى قوم يعلمون أنى قدمت في هذا الشأن في حديدى .

الجـــرجـــاني

السيد علي بن محمد بن علي ، عالم الشرق ، المعروف « بالسيد الشريف الجرجاني » من أولاد محمد بن زيد الداعي ، ولد سنة ٧٤٠ . كان علامة مشهوراً في الآفاق ، ذكر الشوكاني مؤلفاته ، وقال كان مقرياً مفتياً ، أخذ عنه الأكابر ، وهو والسعد التفتازاني — حجتان في العلوم عند علماء العجم ونبلاء الروم ، وجرى بينهما مباحثات في مجلس « تيمور الأعرج » ، ثم اختلف الناس في أن ايهما محق ، وهذا الآختلاف دائر بين أهل العلم في جميع الأزمنة ، ومال علماء الروم إلي ترجيح جانب الشريف وافتخر الناس بأخذ العلوم منه توفي سنة ٨١٤ أو سنة ٨١٦ في شيراز .

قال ابو تراب : له نحو خمسين مصنفا طبع منها التعريفات وشرح المواقف وشرح الجغمينى وشرح السراجية والكبرى والصغرى وحواشى المطول وله حاشية الكشاف وهى بجامعة القرويين ترجمته في الفوائد البهية ص ١٢٥ والضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ ومفتاح السعادة ج ١ ص ١٦٧ .

ابن سـيد النـاس

محمد بن محمد بن محمد المعروف « بابن سيد الناس » الإمام العام الحافظ المحدث ، فتح الدين أبو الفتح اليعمري ، سمع وقرأ وارتحل وكتب وحدث وأجاز . قال فى آثار الأدهار : كان إماماً محدثاً حافظاً فصيحاً ، وهو من بيت علم ، أجاز له جماعة من الشيوخ ، له كتاب : النفح الشذي في شرح الترمذي . وكان ينظم الشعر ، وله فيه حسنات ، انتهي . ولد في سنة ٦٧١ ، وهو من بيت رئاسة باشبيلية ، قال الذهبي : لعل مشيخته يقاربون الألف ، قال الصلاح الكتبي : وكان عنده كتب كبار وأمهات جيدة ، وشعره رقيق ، سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم بلا كلفة ، ومن شعره :

عهدى به والبين ليس يروعه ... صب براه نحوله ودموعه
لا تطلبوا في الحب ثأر متيم ... فالموت من شرع الغرام شروعه
عن ساكن الوادي سقته مدامعي ... حدث حديثاً طاب لي مسموعه
أفدى الذي عنت الوجوه لحبه ... إذ حل معني الحسن فيه جميعه
البدر من كلف به كلف به ... والغصن من عطف عليه خضوعه
أهواه معسول المراشف واللمـا ... حلو الحديث ظريفه مطبوعه
دارت رحيق لحاظه ، فلنا بها ... سكر يجل عن المدام صنيعه
يجنى فأكتم عتبه فإذا بدى ... فجمـاله ممـا جنـاه شـفيعه

قال البرزالى : كان أحد الأعيان إتقاناً وحفظاً للحديث ، وتفهماً فى علله وأسانيده ، عالما بصحيحه وسقيمه ، مستحضراً للسيرة ، له الشعر الرائق والنثر

الفائق ، وكان محباً لطلبة الحديث ، ولم يخلف فى مجموعه مثله ، له تصانيف ، منها : السيرة النبوية ، وشرح الترمذى .

قال الصفدى : أقمت عنده بالظاهرية قريباً من سنتين ، فكنت أراه يصلى كل صلاة مرات كثيرة ، فسألته عن ذلك ، فقال خطر لى أن أصلى كل صلاة مرتين ففعلت ، ثم ثلاثاً ففعلت وسهل على ، ثم أربعاً ففعلت ، قال وأشك هل قال خمساً ، انتهى .

قال الشوكانى : وهذا وإن كان فيه الاستكثار من الصلاة التى هى خير موضوع وأجر مرفوع ، ولكن الأولى أن يتعود النوافل بعد الفرائض على غير صفة الفريضة ، فإن حديث النهى عن أن تصلى صلاة فى يوم مرتين ، ربما كان شاملا لمثل صورة صلاة صاحب الترجمة ، ولعله يجعله خاصاً بتكرير الفريضة بنية الافتراض .

وكان موته فى سنة ٧٣٤ ، انتهى رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : شرحه للترمذى لم يكمله واسمه : « النفح الشذى » وله نور العيون وبشرى الحبيب وتحصيل الاصابة في تفضيل الصحابة والمقامات العلية وترجمته في ذيل تذكرة الحفاظ ص ١٦ و ص ٣٥٠ والوافى ج ١ ص ٢٨٩ والدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٨ والفوات ج ٢ ص ١٦٩ والنجوم الزاهرة ج ٩ ص ٣٠٣ والبداية ج ١٤ ص ١٦٩ وطبقات السبكى ج ٦ ص ٢٩ والبدر الطالع ج ٢ ص ٢٤٩ .

ابن الجــــزرى

محمد بن محمد الدمشقى الشيرازى الشافعى ، المعروف « بابن الجزرى » كان أبوه تاجراً ، لم يولد له أربعين سنة ، فلما حج شرب ماء زمزم ، ونوى حصول الولد ، فأعطاه الله تعالى هذا الابن السعيد ، قال فى البدر الطالع : جد فى طلب الحديث بنفسه ، وأخذ الفقه والأصول والمعانى والبيان ، وتصدر للاقراء بجامع بنى أمية .

ثم دخل بلاد الروم واتصل بالسلطان بايزيد خان ، فأكرمه وعظمه ، فنشر هنالك علم القرآن والحديث ، ولما مات تيمور فى سنة ٨٠٧ ، خرج من سمرقند إلى خراسان ودخل هراة ثم يزد ، ثم أصبهان ، ثم شيراز ، ثم بصرة ، ثم جاور بمكة ، ثم قدم دمشق ، ثم القاهرة ، ودخل اليمن . وله تصانيف كثيرة نافعة ، منها : الحصن الحصين ، وجنة الحصن والمصعد الأحمد فيما يتعلق بمسند أحمد .

ولد سنة ٧٥١ ، ومات بشيراز يوم الجمعة سنة ٨٣٣ ، رحمة الله تعالى عليه .

قال ابو تراب : طبع له غاية النهاية في طبقات القراء والنشر في القراءات العشر والتمهيد في علم التجويد ومنجد المقرئين وطيبة النشر في القراءات العشر والمقدمة الجزرية والمصعد الأحمد في ختم مسند الامام أحمد . ترجمته في طبقات الحفاظ للسيوطى ج ٣ ص ٨٥ والضوء اللامع ج ٩ ص ٢٥٥ ومفتاح السعادة ج ١ ص ٣٩٢ والأنس الجليل ج ٢ ص ٤٥٤ .

ابن فهـــد

محمد بن محمد ، المعروف « بابن فهد » ولد سنة ٧٨٧ . قال في البدر الطالع : سمع بالمدينة عن أهلها ، ودخل اليمن فلقى أكابرها كالمجد ـــ صاحب القاموس ـــ وسمع منه ومن غيره ، وبرع فى الحديث وفاق على الأقران ، وصار المعول عليه فى هذا الشأن ببلاد الحجاز قاطبة وانتفع به الناس .

وألف مؤلفات ، له ذيل على طبقات الحفاظ ، مات سنة ٨٧١ ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : له الباهر الساطع في السيرة المحمدية ونهاية التقريب جمع فيه بين تهذيب الكمال ومختصريه للذهبى وابن حجر والأطراف وهو مخطوط بخزانة فيض الله باستانبول والزوائد على حياة الحيوان ، وترجمته في البدر الطالع ج ٢ ص ٢٥٩ .

قاضي المارستان

محمد بن عبد الباقى بن محمد أبو بكر الكعبى — من نسل كعب بن مالك الأنصارى ، رضى الله عنه — ولد سنة ٤٤٢ .

حفظ القرآن هو ابن سبع سنين وحضر على جماعة من العلماء ، وكانت له إجازة عن التنوخى ، وقرأ الفرائض والحساب والهندسة وبرع فى ذلك وتفنن فى علوم كثيرة ، قال ابن السمعانى : عارف بالعلوم متفنن حسن الكلام حلو المناظرة مليح المحاورة ، وما رأيت أجمع للفنون منه نظر فى كل علم ، وسمعته يقول : تبت من كل علم تعلمته إلا الحديث وعلمه .

وكان سريع النسخ حسن القراءة للحديث ، يقول : ماضيعت ساعة من عمرى فى لهو ولعب ، تفرد فى الدنيا بعلو الإسناد ، ورحل إليه المحدثون من البلاد .

قال ابن الجوزى : وقع فى أيدى الروم — فبقى فى أسرهم سنة ونصفاً — وقيدوه وجعلوا الغل فى عنقه والسلاسل على يديه ورجليه ، وأرادوا منه أن ينطق بكلمة الكفر — يعنى المسيح ابن الله — فلم يفعل ، قال وسمعته يقول : يجب على المعلم أن لا يعنف ، وعلى المتعلم أن لا يأنف ، ومن خدم المحابر خدمته المنابر . وذكر أن منجمين حضرا حين ولد ، فأجمعا أن عمره اثنتان وخمسون سنة ، وها أنا قد جاوزت التسعين ، توفى سنة ٥٣٥ . أطال ابن رجب فى ترجمته ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : كان الكعبى يعرف بقاضى المارستان ، وللمستشرق السويسرى سوتر بحث بالألمانية في أخباره ، وترجمته في ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٣٠ ومرآة الزمان ج ٨ ص ١٧٨ وكتاب علم الفلك لنسلينو ص ٦٠ .

ابن الجواليقى

موهوب بن أحمد بن محمد ، يعرف « باب الجواليقى » شيخ أهل اللغة فى عصره ، ولد سنة ٤٦٥ .

سمع الحديث الكثير وقرأ الأدب ودرس ، وكان من أهل السنة المحامين عليها .

قال ابن الجوزى : كان غزير العقل طويل الصمت ، لا يقول الشىء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل ــ وكثيرا ما كان يقول ــ لا أدرى ، سمعت منه كثيراً من الأحاديث وغريبه ، وقرأت عليه كتابه « المغرب » وله كتاب « أدب الكاتب » .

وكان يصلى بالمقتفى بالله فدخل عليه وهو أول من دخل ، فما زاد على أن قال : السلام على أمير المؤمنين ، فقال له ابن التلميذ النصرانى وكان قائماً ــ وله إدلال الخدمة والطب ــ ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين ياشيخ ، فلم يلتفت إليه ، وقال يا أمير المؤمنين سلامى هو ما جاءت به السنة النبوية وروى الحديث ، ثم قال ! يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه ما لزمته كفارة ، لأن الله ختم على قلوبهم ، ولن يفك ختم الله إلا الإيمان ، فقال : صدقت وأحسنت ، وكأنما أُلجِمَ ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته في الوفيات ج ٢ ص ١٤٢ وبغية الوعاة ص ٤٠١ وذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٤٤ وانباه الرواة ج ٣ ص ٣٣٥ ومن كتبه المطبوعة « المعرب » بتحقيق الشيخ أحمد شاكر وشرح أدب الكاتب وتكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ، وذكره ابن الجوزى في صيد الخاطر ص ١١٤

السلامى

محمد بن ناصر بن محمد « السلامى » الحافظ الأديب اللغوى . ولد سنة ٤٦٧ . سمع الحديث وتفقه على مذهب الشافعى ، ثم جد فى طلب الحديث وسماعه وعنى بهذا الفن ، وكانت له إجازات قديمة من ابن ماكولا وغيره ، وخالط الحنابلة ومال إليهم — وانتقل إلى مذهبهم — لمنام رأى فيه النبى ﷺ .

قال ابن النجار : وقف كتبه على أصحاب الحديث ، رأيت بخطه وصيته أوصى بها ذكر فيها صفة ما يخلفه من التركة ، وهو : ثياب بدنه وكلها خلق مغسولة ، وأثاث منزله وكان مختصراً جداً ، وثلاثة دنانير من العين لم يذكر سوى ذلك ، مات ولم يعقب .

ومن غرائبه : أنه كان يذهب إلى أن السلام على الموتى يقدم فيه لفظة عليكم ، فيقال : عليكم السلام ، لظاهر حديث أبى جرى الجهيمى ، وذكر فى بعض تصانيفه أن الأحداد على الميت بترك الطيب والزينة — لا يجوز بحال — ويجوز للنساء على أقاربهن ثلاثة أيام — دون زيادة عليها — وعلى زوجها المتوفى عنها أربعة أشهر وعشرا ، انتهى .

قال ابو تراب : هو محدث العراق في عصره ، نسب إلى مدينة السلام (بغداد) له الأمالى في الحديث والتنبيه على ألفاظ الغريبين يوجد منه نسخة بالظاهرية وترجمته في المنتظم لابن الجوزى ج ١٠ ص ١٦٢ وابن خلكان ج ١ ص ٤٨٨ .

ابن هبيرة

يحيى بن محمد بن هبيرة : الوزير العالم العادل صدر الوزراء عون الدين أبو المظفر ، ولد سنة ٤٩٩ . دخل بغداد شاباً وقرأ القرآن بالروايات على جماعة ، وسمع الحديث الكثير من جماعة .

قال ابن الجوزى : وكان متشدداً فى اتباع السنة وسير السلف ، قال ابن رجب صنف الوزير « كتاب الإفصاح فى معانى الصحاح » فى عدة مجلدات — وهو شرح صحيح البخارى ومسلم — ولما بلغ فيه إلى حديث « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ » شرح الحديث وتكلم على معنى الفقه وآل به الأمر إلى أن يذكر مسائل الفقه — المتفق عليها والمختلف فيها — بين الأئمة الأربعة المشهورين ، وقد أفرده الناس من الكتاب وسموه « بكتاب الإفصاح » وهو قطعة منه ، وهذا الكتاب صنفه فى ولايته الوزارة ، واعتنى به وجمع عليه أئمة المذاهب وأوفدهم من البلدان إليه لأجله ، بحيث أنه أنفق على ذلك مائة ألف دينار وثلاثة عشر ألف دينار ، فاجتمع الخلق العظيم لسماعه عليه ، وكتب به نسخة لخزانة المستنجد وبعث ملوك الأطراف ووزراؤها وعلماؤها ، فاستنسخوا لهم نسخاً نقلوها إليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد ، واشتغل به الفقهاء فى ذلك الزمان على اختلاف مذاهبهم ، يدرسون منه فى المدارس والمساجد — ويعيده المعيدون — ويحفظ منه الفقهاء . وله مؤلفات كثيرة غير ذلك ، وصنف كتاب العبادات الخمس على مذهب الإمام أحمد ، وحدث به بحضرة من أئمة المذاهب .

وكان فى أول أمره فقيراً فاحتاج إلى أن دخل فى الخدمة السلطانية إلى أن استدعاه المقتفى بالله وقلده الوزارة وخلع عليه وخرج فى ابهة عظيمة ، ومشى أرباب الدولة وأصحاب المناصب كلهم بين يديه وهو راكب إلى الايوان فى الديوان — وحضر القراء والشعراء— وكان يوما مشهوداً ، وخوطب بالوزير العالم العادل عون

الدين جلال الإسلام الصفى الإمام شرف الأنام معز الدولة مجير الملة عماد الأمة مصطفى الخلافة تاج الملوك والسلاطين صدر الشرق والغرب سيد الوزراء ظهير أمير المؤمنين ، انتهى .

قال صديق حسن القنوجي : وحالى صارت كحاله فى هذه الحال ، فانى كنت امرأ فقيراً فى أول أمرى واحداً من الخدم الرياسية منسلكا فى زمرة الانشاء ، ثم فى نظارة المدارس إلى أن اقتنت الرئيسة إياى من بينهم لهذا الشأن الذى تراه ، وعملت فى هذه الحالة تفسيراً فى أربع مجلدات ، وأنفقت عليه من المعلوم ما بلغ خمساً وعشرين ألفاً ، ولله الحمد .

قال ابن رجب : ولما ولى الوزارة بالغ فى تقريب خيار الناس من المحدثين والفقهاء والصالحين ، واجتهد فى إكرامهم وإيصال النفع إليهم ، وارتفع به أهل السنة غاية الارتفاع . قال ابن الجوزى : وكان إذا استفاد شيئاً قال : « أفادنيه فلان » وكان بعض الفقراء يقرأ القرآن فى داره كثيراً فأعجبه ، فقال لزوجته : أريد أن أزوجه ابنتى ، فغضبت الأم من ذلك .

وكان يقرأ عنده الحديث كل يوم بعد العصر وكان يكثر مجالسة العلماء والفقراء وقال : ما وجبت علىَّ زكاة قط ، وفى ذلك يقول بعض الشعراء .

يقولون « يحيىٰ » لا زكاة لماله وكيف يزكى المال من هو باذله
إذا دار حول لا يرى فى بيوته من المال إلا ذكره وفضائله

وكان يتحدث بنعم الله تعالى عليه ويذكر فى منصبه شدة فقره القديم ، ويجتهد فى اتباع الحق ، ويحذر من الظلم ، ولا يلبس الحرير ، وكان مبالغاً فى تحصيل التعظيم للدولة العباسية ، قامعاً للمخالفين بأنواع من الحيل .

قال صاحب سيرته : وكان لا يلبس ثوباً يزيد فيه الإبريسم على القطن ، فإن شك فى ذلك سل من طاقاته — ونظر هل القطن فيه أكثر أم الإبريسم — فإن استويا لم يلبسه ، قال له بعض الفقهاء ، يامولانا ! إذا استويا جاز لبسه فى أحد الوجهين لأصحابنا ، فقال : إنى لا آخذ إلا بالأحوط ، وذكر يوماً بين يديه أنه كان للصاحب ابن عباد دست من ديباج ، فقال قبيح والله بالصاحب أن يكون له

دست من ديباج فإنه وإن كان زينة فهو معصية ومحنة ، وقال ابن الدبيثى فى تاريخه : كان فاضلا عالماً عاملا ذا رأى صائب وسريرة صالحة ، وكان يقرأ عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره ، ويجرى من البحث والفوائد ما يكثر ذكره وكان مقرباً لأهل العلم والدين .

وقال ابن القطيعى : كان جميل المذهب شديد التظاهر بالسنة ، ومن كثرة ميله إلى العمل بالسنة ، كلما اجتاز فى سوق بغداد — قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » وللوزير من الكلام الحسن — والفوائد المستحسنة — والاستنباطات الدقيقة من كلام الله ورسوله ما هو كثير جداً ، وله فى أصول السنة وذم من خالفها شىء كثير .

قال ابن الجوزى ، فى المقتبس : سمعته يقول فى قوله تعالى « فإنك من المنظرين » ليس هذا بإجابة سؤاله ، وإنما سأل الإنظار ، فقيل له : كذا قدر ، لا أنه جواب سؤالك ، لكنه ما فهم ، وسمعته يقول فى قوله تعالى « حجاباً مستوراً » أهل التفسير يقولون : ساتراً ، والصواب حمله على ظاهره ، وأن يكون الحجاب مستوراً عن العيون فلا يرى ، وذلك أبلغ . قال : وقد تدبرت قوله تعالى « لا حول ولا قوة إلا بالله » فرأيت ثلاثة أوجه ، أحدها : أنَّ قائلها يتبرأ من حوله وقوته ويسلم الأمر إلى الله ، والثانى : أن يعلم أنه لا قوة للمخلوقين إلا بالله ، فلا يخاف منهم إذ قواهم لا تكون إلا بالله ، وذلك يوجب الخوف من الله وحده ، والثالث : أنه رد على الفلاسفة والطبائعيين الذين يدعون القوى في الأشياء بطبعها فإن هذه الكلمة بينت أن القوى لا تكون إلا بالله ، وسمعته يقول فى قوله تعالى « فما استطاعوا أن يظهروه وما اسطاعوا له نقباً » قال : التاء من حروف الشدة ، تقول فى الشىء القريب : ما اسطعته ، وفى الشديد : ما استطعته ، فالمعنى ما أطاقوا ظهوره لضعفهم ، وما قدروا على نقبه لقوته وشدته .

قال ابن الجوزى : كان الوزير يتأسف على ما مضى من زمانه ويندم على ما دخل فيه ، ثم صار يسأل الله عز وجل الشهادة ويتعرض لاسبابها ، وكان ليس به بأس — فنام ليلة فى عافية — فلما كان وقت السحر قاء ، فحضر طبيب ، كان يخدمه — فسقاه شيئاً — فيقال : إنه سَمَّه فمات ، وسقي الطبيب بعد بنحو ستة

أشهر سمًّا ،فكان يقول : كما سَقيت سُقِيت ، فمات سنة ٥٦٠ ، ومن إنشاده :

وكم شامت بى بعد موتى جاهل بظلم يسل السيف بعد وفاتى
ولو علم المسكين ماذا يناله من الضر بعدى مات قبل مماتى

قال ابن زفر : رأيت بالمنام وأنا بأرض جزيرة ابن عمر ، كأن جماعة من الملائكة يقولون لى : قد مات فى هذه الليلة ببغداد — ولى من الأولياء — فاستيقظت مزعجاً ، وحدثت بالمنام الجماعة الذين كانوا معى وأرّخنا تلك الليلة ، فلما قدمت إلى بغداد ، سألت : من مات فى تلك الليلة ؟ فقيل لى : مات بها الوزير عون الدين بن هبيرة .

قال مصنف السيرة : ولو استقصيت ما ذكر له من المنامات الصالحة لجاءت بمفردها كتابا ضخماً . وقد أطال ابن رجب فى ترجمته الشريفة إلى أوراق ، وختمها بذكر حديث أنس ، قال قال رسول الله ﷺ : « لا يزداد الأمر إلا شدة ، ولا يزداد الناس إلا شحاً ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » ، رواه بسنده وقال : وفى هذا الإسناد — سلسلة عجيبة — بالحفاظ والملوك .

قال ابو تراب : من كتبه الايضاح فى اختلاف المجتهدين ، والمقتصد فى النحو شرحه ابن الخشاب فى أربع مجلدات ، واختلاف العلماء ، وهو فى خزانة بغدادلى وهبى أفندى رقم ٤١١ عمومى ، وطبع من الإفصاح جزءان ، وترجمته فى ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٥١ والشذرات ج ٤ ص ١٩١ ومرآة الزمان ج ٨ ص ٢٥٥ والوفيات ج ٢ ص ٢٤٦ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٣٤٤ وابن خلدون ج ٣ ص ٥٢٤ والروضتين ج ١ ص ١٤١ ومطالع البدور ج ٢ ص ١١٤ ومفرج الكروب ج ١ ص ١٤٧ .

ابن الدجــــاجى

سعد الله بن نصر بن سعيد المعروف « ابن الدجاجي » وبابن الحيواني ، الفقيه الواعظ المقرى الصوفى الأديب ، أبو الحسن ، ويلقب مهذب الدين .

ولد سنة ٤٨٢ . روى عن ابن عقيل كتاب الانتصار لأهل السنة والحديث .

قال ابن الجوزى : تفقه وناظر ودرس ووعظ ، وكان لطيف الكلام حلو الإيراد ملازماً لمطالعة العلم إلى أن مات . وقال ابن نقطة : شيخ فاضل ، صحيح السماع ، حدَّث وحدَّث عنه جماعة من شيوخنا ، وقال صدقة فى تاريخه : كان من أصحاب أبى بكر الدينورى ، وكان يعظ ويقرأ القرآن ويسمع الحديث ، أثنى عليه ابن النجار وابن قدامة ، قال ابن الجوزى : وسئل فى مجلس وعظه وأنا أسمع عن أخبار الصفات ، فنهى عن التعرض لها وأمر بالتسليم ، قال ابن القطيعى : بلغنى أنه حضر بالديوان العزيز وجماعة من الفقهاء ، فاستدل شخص بحديث النبى ﷺ ، فقال ابن البغدادى الحنفى : هذا الحديث لا يصح عن النبى ﷺ فقال الخصم : قد أخرجه البخارى ومسلم ، فقال ابن البغدادى : قد طعن فيهما أبو حنيفة ، فقال ابن الدجاجى : هل كان مع أبى حنيفة ملحمة ، توفى صاحب الترجمة — سنة ٥٦٤ .

قال ابو تراب : ذكره القنوجى في التاج المكلل ٢٠٢ ولم يذكره الزركلى في الاعلام فليستدرك .

الجيلاني

عبد القادر الجيلانى بن أبى صالح بن جنكى دوست ، ينتهى نسبه إلى الحسين بن على رضى الله عنهما ــ الشيخ أبو محمد الجيلى الحنبلى الزاهد المشهور ، صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة ، شيخ الحنابلة ، ولد بجيلان سنة ٤٩٠ أو سنة ٤٩١ .

قدم بغداد شاباً وسمع بها الحديث من الباقلانى وجعفر السراج وأبى بكر ابن سوس ، وقيل قرأ أيضاً على ابن عقيل والقاضى أبى الحسين وبرع فى المذهب والخلاف ، وقرأ الأدب على أبى زكريا التبريزى ، وصحب الشيخ يحيى بن على ابن حماد الدباس الزاهد . قال ابن الجوزى : درس بمدرسة شيخه المخزومى ، وكانت هذه المدرسة لطيفة ، ففوضت إلى عبد القادر ، فتكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد ، وكان له سمت وصمت وضاقت المدرسة بالناس ، وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده فى المجلس خلق كثير ، فعمرت المدرسة ووسعت ــ وتعصب فى ذلك العوام ــ وأقام فى مدرسته يدرس إلى أن توفى ، انتهى .

وذكر ابن السمعانى ، فقال : حصل له القبول التام من الناس ، واعتقدوا ديانته وصلاحه وأقواله وكراماته ومكاشفاته ــ وهابه الملوك فمن دونهم .

قال الشيخ موفق الدين صاحب المغنى : لم أسمع عن أحد يحكى عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عن الشيخ عبد القادر ، ولا رأيت أحداً يعظم من أجل الدين أكثر منه ، وذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر ، فإن كراماته نقلت بالتواتر ، قال ابن رجب : جمع المقرى أبو الحسن الشنطوفى المصرى فى أخباره ومناقبه ثلاث مجلدات ، وقد

رأيت بعض هذا الكتاب ولا يطيب على قلبى أن أعتمد على شىء مما فيه ، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين ، وفيه من الشطح والطامات والدعاوى والكلام الباطل مالا يحصى ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبد القادر ، رحمه الله .

ثم وجدت الكمال جعفر الادبوى ، قد ذكر أن الشنطوفى كان متهما فى نفسه فيما يحكيه فى هذا الكتاب بعينه ، وذكر فى هذا الكتاب ، قال : جاءت فتيا من بلاد العجم إلى بغداد ــ بعد أن عرضت على علماء العراقين ــ فلم يتضح لأحد فيها جواب شاف ، وصورتها : ما تقول السادة فى رجل حلف بالطلاق الثلاث « إنه لا بد أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى تلبسه بها فما يفعل من العبادات ؟ » فكتب عليها على الفور : يأتى من مكة ، ويخلى له المطاف أسبوعاً وحده وتنحل له يمينه ، فما بات المستفتى ببغداد .

فأما الحكاية عنه أنه قال : قدمى هذه على رقبة كل ولى الله ، فقد ساقها هذا المصنف من طرق متعددة ، وأحسن ما قيل فى هذا الكلام ما ذكره الشيخ أبو حفص السهروردى فى عوارفه أنه من شطحات الشيوخ التى لا يقتدى بهم فيها ولا يقدح فى مقاماتهم ومنازلهم ، فكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ﷺ ومن ساق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول وطالبهم بطرائقهم ، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصرى وأصحابه من العلم العظيم والعمل العظيم والورع العظيم والزهد العظيم ، مع كمال الخشية والخوف وإظهار الذل والحزن والانكسار والازراء على النفس وكتمان الأحوال والمعارف والمحبة والشوق ونحو ذلك ، فلا ريب أنه يزدرى المتأخرين ويمقتهم ويهضم حقوقهم ، فالأولى تنزيل الناس منازلهم ، وتوفيتهم حقوقهم ومعرفة مقاديرهم وإقامة معاذيرهم ، وقد جعل الله لكل شىء قدراً .

قال القنوجى : هذا الكتاب هو « بهجة الأسرار » وفيه نسب الحكايات الشركية التى لا تلائم حال الابرار ــ إلى حضرة الشيخ عليه الرحمة ــ وهو مملوء بالأكاذيب والأباطيل ، وقد سلك صاحب « أخبار الأخيار » وغيره من أهل الطبقات فى مدائح الشيخ ومناقبه طريق المبالغة والإغراق ، وذكروا أشياء لا يقبلها العقل السليم والنقل المستقيم ، والظاهر أنها مكذوبة عليه ، رحمه الله تعالى .

قال ابن رجب : ولما كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزى عظيم الخبرة بأحوال السلف والصدر الأول — قلَّ من كان فى زمانه — يساويه فى معرفة ذلك ، وكان له أيضاً حظ من ذوق أحوالهم وقسط من المشاركة فى معارفهم كان لايعذر المشائخ المتأخرين فى طرائفهم المخالفة لطريق المتقدمين ويشتد إنكاره عليهم ، وقد قيل إنه صنف كتاباً ينقم فيه على الشيخ عبد القادر أشياء كثيرة ، ولكن قد قل فى هذا الزمان من له الخبرة التامة بأحوال الصدر الأول والتمييز بين صحيح ما يذكر عنهم من سقيمه ، فأما من له مشاركة لهم فى أذواقهم فهو نادر النادر ، وإنما ألم أهل هذا الزمان بأحوال المتأخرين ، ولا يميزون بين مايصح عنهم من ذلك من غيره ، فصاروا يخبطون خبط عشواء فى ظلمات ، والله المستعان .

وللشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كلام حسن فى التوحيد والصفات والقدر وفى علوم المعرفة موافق للسنة ، وله كتاب « الغنية لطالبى طريق الحق عز وجل » وهو معروف ، وله كتاب « فتوح الغيب » وجمع أصحابه من مجالسه فى الوعظ كثيراً ، وكان متمسكاً فى مسائل الصفات والقدر ونحوهما بالسنة مبالغاً فى الرد على من خالفها .

قال فى كتابه « الغنية » : وهو بجهة العلو ، مستو على العرش محتو على الملك ، محيط علمه بالأشياء ، وإليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه ، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ، ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان ، بل يقال إنه فى السماء — على العرش — كما قال : « الرحمن على العرش استوى » وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال : وينبغى إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرش ، قال : وكونه على العرش مذكور فى كل كتاب أنزل على لسان كل نبى أرسل بلا كيف ، وذكر كلاماً طويلا وذكر نحو هذا سائر الصفات .

وذكر أبو زكريا الصرصرى عن شيخه العارف على بن إدريس أنه سأل الشيخ عبد القادر ، فقال : يا سيدى ! هل كان لله ولى على غير اعتقاد أحمد بن حنبل ؟ فقال : ما كان ولا يكون . وقد نظمه الصرصرى فى قصيدته .

وقال الشيخ تقى الدين بن تيمية ، رحمه الله . حدثنى الشيخ عز الدين أحمد ابن إبراهيم الفاروقى ، أنه سمع شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى ، صاحب العوارف ، قال : كنت قد عزمت على أن أقرأ شيئا من علم الكلام ، وأنا متردد — هل أقرأ « الإرشاد » لإمام الحرمين ، أو « نهاية الإقدام » للشهرستانى ، أو كتابا آخر ، ذكره — فذهبت مع خالى أبى النجيب — وكان يصلى بجنب الشيخ عبد القادر ، فالتفت الشيخ عبد القادر إلىَّ وقال لى : يا عمر ! ما هو من زاد القبر ، ماهو من زاد القبر ؟ فرجعت عن ذلك ، قال الشيخ تقى الدين : ورأيت هذه الحكاية معلقة بخط الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسى رحمه الله .

وحكى الشيخ الزاهد على بن سليمان الخباز عن الشيخ عبد القادر ، وناهيك به فإنه صاحب المكاشفات والكرامات التى لم ينقل لأحد من أهل عصره مثلها ، وأنه قال : لا يكون لله ولى إلا على اعتقاد أحمد بن حنبل ، قال الحافظ ابن النجار فى تاريخه ، كان الشيخ عبد القادر يقول « الخلق حجابك عن نفسك ، ونفسك حجابك عن ربك . ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك ، وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك وقال : ما ثم إلا خالق وخلق ، فإن اخترت الخالق — فقل كما قال الخليل : فإنهم عدوٌّ لي إلا ربَّ العالمين ، ثم قال : من ذاقه فقد عرفه ، فاعترضه سائل ، فقال يا سيدى ، من غلبت عليه مرارة الصد كيف يجد حلاوة الذوق ؟ قال : يتعمد قىء الشهوات من قلبه .

قال ابن رجب وأخبار الشيخ عبد القادر كثيرة . قال ابن الجوزى : توفى الشيخ ليلة السبت ثامن ، وقال غيره تاسع ربيع الآخر سنة ٥٦١ بعد المغرب ، ودفن من وقته بمدرسته ، وبلغ سبعين سنة . وسمعت أنه كان يقول عند موته : رفقاً رفقاً ، ثم يقول : وعليكم السلام ، وعليكم السلام ، أجىء إليكم ، وقبره ظاهر يزار بمدرسته ببغداد .

وروى ابن رجب أيضاً حديثاً بسنده — فيه الشيخ عبد القادر — ما نصه عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : قلَّ ما كان رسول الله ﷺ يخرج إذا أراد سفراً إلا يوم الخميس ، انتهى .

ولد بجيلان سنة ٤٩١ ، وتوفى سنة ٥٦١ ، وروى عنه أبو سعيد السمعانى والحافظ عبد الغنى ، وكان إمام زمانه وقطب عصره ، وشيخ شيوخ الوقت بلا مدافعة ، وله كلام على لسان أهل الطريق ، درس وأفتى وصنف فى الفروع والأصول ، وصار مجتهداً ، وولد له تسعة وأربعون ولداً — عشرون ذكراً والباقى إناث — رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته في طبقات الشعرانى ج ١ ص ١٠٨ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢ والشذرات ج ٤ ص ١٩٨ ونور الابصار ٢٢٤ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٧١ وفيه ان قبره نبش وأخرجت عظامه وقذف بها في دجلة نكاية في الذين كانوا يعكفون على قبره يعبدونه .

الرافعي

عبد الكريـم بن محمد أبو القاسـم الرافعى القزوينى . ذكره ابن الصلاح ، وقال ما أظن فى بلاد العجم مثله ، صنف « شرح الوجيز » فى اثنى عشر مجلدا لم يشرح الوجيز بمثله ، قال النووى : له كرامات كثيرة ظاهرة .

وقال محمد الأسفراييني : هو شيخنا ــ إمام الدين وناصر السنة ــ كان له مجلس فى التفسير والحديث ، صنف شرحاً لمسند الشافعى ، رحمه الله تعالى .

مات بقزوين سنة ٦٢٣ ، وكان ذا فنون ، مجتهداً عالماً كبيراً ، خرج لكتاب ابن حجر تخريجاً سماه « التخليص » .

قال ابو تراب : نسبه إلى رافع بن خديج الصحابى ومن كتبه أخبار قزوين والايجاز في أخطار الحجاز وهو ما عرض له من الخواطر في سفره للحج والمحرر في الفقه وشرح الوجيز للغزالى وقد طبع ، وشرح مسند الشافعى والأمالى الشارحة لمفردات الفاتحة وترجمته في فوات الوفيات ج ٢ ص ٣ ومفتاح السعادة ج ١ ص ٤٤٣ وطبقات السبكى ج ٥ ص ١١٩ .

سبـط الخيـاط

عبد الله بن على بن أحمد ، سبط أبى منصور الخياط . سمع الحديث الكثير وأقرأ الأدب ، وبرع فى العربية واللغة ، وسمع منه الحديث خلق كثير من الحفاظ وغيرهم ، منهم : ابن ناصر وابن السمعانى وابن الجوزى ، وكان قوياً فى السنة رأس أصحاب أحمد ، ولد سنة ٤٦٤ ، وتوفى سنة ٥٤١ .

قال ابو تراب : وكان عالماً بالقراءات من كتبه المبهج والاختيار في اختلاف العشرة ائمة الأمصار والروضة والايجاز والتبصرة وكلها في القراءات ترجمته في غاية النهاية ج ١ ص ٤٣٤ ونزهة الالباء ص ٤٨٢ .

الخيضري

محمد بن محمد بن عبد الله الخيضرى ، ولد سنة ٨٢١ ببيت المقدس ، ونشأ بدمشق وأخذ عن جماعة ، وسمع الحديث من مشايخ بلده والقادمين إليها ، وتدرب بالحافظ ابن ناصر ، ثم ارتحل إلى القاهرة فسمع من ابن حجر ، له مصنفات منها البرق اللموع لكشف الحديث الموضوع ، ترجمه السخاوى ترجمة طويلة كلها ثلب وشتم كعادته فى أقرانه ، ومن أعجب ما رأيته فيها من التعصب أنه قدح فى مؤلفات الخيضرى ، ثم قال إنه ما رآها ، وهذا غريب . ولعل موته بعد كمال المائة التاسعة ، انتهى ما فى البدر الطالع .

قال ابو تراب : مات في سنة ٨٩٤ هـ ومن كتبه الاكتساب في تلخيص كتب الأنساب يوجد منه الجزء الأول بالبصرة واللفظ المكرم بخصائص النبي الأعظم وشرح ألفية العراقي وطبقات الشافعية والروض النضر في حال الخَضِر وزهر الرياض وترجمته في الضوء ج٩ ص١١٧ والبدر ج٢ ص٢٤٥ وفي الضوء : ولد في بيت لهيا من قرى دمشق ونشأ بها .

ابن الراوندي

« ابن الراوندي » أحمد بن يحي بن إسحاق العالم ــ الملحد المشهور ــ من أهل مرو الروذ سكن بغداد ، وكان من الفضلاء في عصره ومن متكلمي المعتزلة ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً ، له نحو مائة وأربعة عشر كتاباً ، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب ، وكان يلازم أهل الإلحاد ، فإذا عوتب في ذلك ، قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ، ثم إنه كاشف وناظر ، وذكر الطبري أنه كان لا يستقر علي مذهب ولا يثبت علي حال ، وقيل إنه تاب عند موته مما كان منه وأظهر الندم ، واختلف في زمان وفاته ، وقال ابن خلكان سنة ٢٤٥ ــ وعمره أربعون سنة ــ وقال ابن النجار سنة ٢٩٧ ، وفي كشف الظنون سنة ٤٠١ ، ومن شعره :

أليس عجيباً بأن امرأ لطيف الخصام رقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه سوى علمه أنه ما علم

وقوله :

سبحان من وضع الأشياء موضعها وفرق العز والإذلال تفريقا
كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأفكار حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

قال ابو تراب : ترجمته في الوفيات ج ١ ص ٢٧ ومروج الذهب ج ٧ ص ٢٣٧ والبداية ج ١١ ص ١١٢ ولسان الميزان ج ١ ص ٣٢٣ والمنتظم ج ٦ ص ٩٩ والشذرات ج ٢ ص ٢٣٥ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٧٥ ووهم ابن خلكان في تاريخ وفاته والصحيح كما قال ابن الجوزي سنة ٢٩٨ هـ .

القضـاعي

أبو عبد الله ، محمد بن سلامة بن جعفر بن على « القضاعي » ، الفقيه الشافعي . ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وقال روى عن عبد الله الحميدي وتولي القضاء بمصر نيابة من جهة المصريين ، وتوجه منهم رسولا إلي جهة الروم .

وله عدة تصانيف ، منها كتاب « الشهاب » وكتاب « مناقب الإمام الشافعي وأخباره » وله كتاب « خطط مصر » وذكره الأمير أبو نصربن ماكولا في كتاب الإكمال ، وقال : كان متفنناً في عدة علوم .

وتوفي بمصر سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وذكر السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب ، صاحب « تاريخ بغداد » إنه حج سنة ٤٤٥ وحج تلك السنة أبو عبد الله « القضاعي » المذكور وسمع الحديث منه ، والقضاعي : بالضم نسبة إلي قضاعة ، — ويقال هو من حمير — وهو الأكثر والأصح ، رحمة الله تعالى عليه .

قال ابو تراب : من كتبه تفسير القرآن عشرون مجلداً والشهاب في المواعظ والآداب والأنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء نقل منه السيوطي ودرة الواعظين وعيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ونزهة الألباب ودقائق الأخبار وحدائق الاعتبار ودستور معالم الحِكَم ، وألف ومئتا كلمة من الحديث النبوي ، وترجمته في طبقات السبكي ج٣ ص٦٢ وحسن المحاضرة ج١ ص٧٦ والوافي ج٣ ص١١٦ والوفيات ج١ ص٤٦٢ وآداب اللغة ج٢ ص٣٢٣ .

ابن زكى الدين

أبو المعـالي ، محمد بن أبي الحسن علي بن محمد ، المعروف « بابن زكي الدين الدمشقي » الفقيه الشافعي .

وكان ذا فضائل عديدة من الفقه والأدب وغيرها ، وله النظم المليح والخطب والرسائل ، وتولى القضاء بدمشق ، وكان والده أبو الحسن خرج إلي مكة حاجا وعاد إلي بغداد ، وكان عالي الطبقة في سماع الحديث ، سمع خلقاً كثيراً وحدث ببغداد مدة إقامته ، وسمع عليه الناس ولم يزل بها إلى أن توفي ـــ رحمه الله ـــ سنة ٥٩٨ .

قال ابو تراب : يتصل نسبه بعثمان بن عفان رضي الله عنه فكانت له عند السلطان صلاح الدين منزلة رفيعة فوض إليه قضاء حلب ترجمته في الوافي ج٤ ص١٦٩ وطبقات السبكي ج٤ ص٨٩ والوفيات ج١ ص٤٦٧ .

ابن حبيب

عبد الملك بن حبيب السلمي عالم الأندلس ـــ قد عرف به القاضي عياض في المدارك وغير واحد ، بلغت تواليفه ألفاً ـــ وهو مشهور عند علماء المشرق ـــ وقد نقل عنه الحافظ ابن حجر وصاحب المواهب وغيرهما أنه تصرف في فنون العلوم وعرف كل معلوم ، قال في المطمح ولم يكن له علم بالحديث وكان عرضه الاجازة ، قال المقري وأما عدم معرفته بالحديث فهو غير مسلم ، وقد نقل عنه غير واحد من جهابذة المحدثين ، نعم لأهل الأندلس غرائب لم يعرفها كثير من المحدثين حتي أن في « شفاء عياض » أحاديث لم يعرف أهل المشرق النقاد مخرجها مع اعترافهم بجلالة حفاظ الأندلس الذين نقلوها كبقي بن مخلد وابن حبيب وغيرهما على ما هو معلوم .

قال ابو تراب : من مؤلفاته : حروب الإسلام ، وطبقات الفقهاء والتابعين وطبقات المحدثين وتفسير موطأ مالك ، والواضحة ، وهي في خزانة الرباط ومصابيح الهدى ، والفرائض ومكارم الأخلاق والورع واستفتاح الأندلس ووصف الفردوس وهو في الأزهرية ومختصر في الطب وهو في الرباط . وترجمته في معجم البلدان ج١ ص٣٢٣ وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ج١ ص٢٢٥ والديباج المذهب ص١٥٤ وبغية الملتمس ض٣٦٤ وميزان الاعتدال ج٢ ص١٤٨ ولسان الميزان ج٤ ص٥٩ ونفح الطيب ج١ ص٣٣١ ومطمح الأنفس ص٤٠ وجذوة المقتبس ص٢٦٣ وإنباه الرواة ج٢ ص٢٠٦ .

وفي هامش جزء من كتاب نظم الجمان ط تطوان : أن ما بقي من كتب ابن حبيب مختصراً من كتابه الكبير في التاريخ مخطوط في المكتبة البودليانية بأكسفورد رقم ١٢٧ .

أبو شامة

عبد الرحمن بن اسمعيل بن إبراهيم « أبو شامة » المقدسي النحوي المقري . ولد سنة ٥٩٦ بدمشق ، وتوفي سنة ٦٦٥ .

حصل له عناية بالحديث وسمع أولاده ، وقرأ بنفسه واتقن الفقه ودرس وأفتى وبرع في العربية ، له كتاب « الباعث علي انكار البدع والحوادث » وغير ذلك ، وحصل له الشيب وعمره خمس وعشرون سنة ، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية ، ومن نظمه في « السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله » :

إمام ، محب ، ناشيء ، متصدق   وباك ، مصل ، خائف ، سطوة البأس
يظلهم الله الجليل بظله   إذا كان يوم العرض لا ظل للناس
أشرت بألفاظ تدل عليهم   فيذكرهم في النظم من بعضهم ناسي

وقال في المعني :

وقال النبي المصطفي إن سبعة   يظلهم الله العظيم بظله
محب ، عفيف ، ناشيء ، متصدق   وباك مصل والإمام بعدله

وهذا الأخير أورده الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » وزاد عليه أشياء ونظمها ، وهى مذكورة في « دليل الطالب » و « تنوير الحوالك » .

قال ابو تراب : من كتبه ذيل الروضتين مطبوع ومختصر تاريخ ابن عساكر وفي المكتبة البديرية بالقدس كتابه المرشد الوجيز إلى علوم الكتاب العزيز . وكتابان في تاريخ دمشق أحدهما خمسة عشر جزءاً وطبع له إبراز المعاني في شرح الشاطبية . وإنكار البدع وله مفردات القراء والوصول في الأصول ونزهة المقلتين . والتهم الحريق كتبه ، وكانت له شامة كبيرة على حاجبه ترجمته في الفوات ج١ ص٢٥٢ وبغية الوعاة ص٢٩٧ والبداية ج١٣ ص٢٥٠ وغاية النهاية ج١ ص٣٦٥ والنعيمي ج١ ص٢٣ وطبقات السبكي ج٥ ص٦١ .

ابن أبي حاتم

عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد « بن أبي حاتم » التميمى الحنظلي ـــ الإمام ابن الإمام ابن الإمام الحافظ ابن الحافظ ـــ سمع أباه وغيره .

قال ابن منده ، صنف « ابن أبي حاتم » المسند في ألف جزء ، وله مقدمة الجرح والتعديل واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار ، وله « الجرح والتعديل » في عدة مجلدات تدل علي سعة حفظه وإمامته ، وكتاب الرد علي المجسمة ، وله تفسير كبير ـــ سائره آثار مسندة ـــ في أربع مجلدات .

وكان يعد من الأبدال ، وقد أثني عليه جماعة بالزهد والورع التام والعلم والعمل ، توفي في المحرم سنة ٣٢٧ ، رحمه الله تعالي .

قال أبو تراب : له كتاب بيان خطأ البخاري في تاريخه مطبوع وآداب الشافعي مطبوع والمراسيل مطبوع والجرح والتعديل مع المقدمة مطبوع وترجمته في تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٤٦ والفوات ج ١ ص ٢٦٠ وطبقات والحنابلة ج ١ ص ٥٥ .

عبد الرحمن بن مندة

عبد الرحمن بن محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى منده العبدي الأصفهاني . كان كبير الشأن جليل القدر حسن الخط واسع الرواية ، له أصحاب وأتباع ، وله تصانيف كثيرة ، وردود جمة على أهل البدع ، توفي سنة ٤٧٠ .

قال ابن رجب في طبقاته : كان كثير السماع كبير الشأن ، سافر البلاد وخرج التخاريج ، وكان متمسكاً بالسنة معرضاً عن أهل البدع . وكان سعد بن محمد الزنجاني يقول : حفظ الله الإسلام برجلين ، أحدهما بأصبهان ، والآخر بهراة — عبد الرحمن بن منده — وعبد الله الأنصاري — وقال يحيى بن منده : كان عمي سيفاً على أهل البدع .

وقال اسمعيل التيمي : خالف أباه في مسائل ، وأعرض عنه مشايخ الوقت ، وما تركني أبي أسمع منه ، قال ابن رجب : وهذا ليس بقادح إن صح .

قال ابن السمعاني سمعت الحسين بن عبد الملك يقول ، سمعت ابن منده يقول : قد تعجبت من حالي مع الأقربين والأبعدين ، فإني وجدت في الآفاق التي قصدتها أكثر من لقيته بها — موافقاً كان أو مخالفا — دعاني إلى مساعدته على ما يقوله ، وتصديق قوله والشهادة له في فعله على قبول ورضاً ، فإن كنت صدقته سمّاني : موافقاً ، وإن وقعت في حرف من قوله وفي شيء من فعله سماني : مخالفاً ، وإن ذكرت في واحد منها أن « الكتاب والسنة » بخلاف ذلك سماني : خارجياً . وإن أوردت حديثاً في التوحيد سماني : مشبهاً ، وإن كان في الرؤية سماني سالمياً . وأنا متمسك « بالكتاب والسنة » متبرىء إلي الله من التشبيه والتمثيل والضد والند والجسم والأعضاء ومن كل ما ينسب إليَّ ، ويدعى عليّ من أن أقول في الله تعالى شيئا من ذلك أو قلته أو أراه أو أتوهمه أو اتخذه أو انتحله .

ومن تصانيفه « الرد على الجهمية » قال ابن تيمية رحمه الله : كان ابن منده من الأصحاب ، وكان يذهب إلى الجهر بالبسملة فى الصلاة ، قال ابن منده : علامة الإخلاص زيادة السر على الإعلان فى إيثار قول الله وقول رسوله ﷺ على الأقوال كلها ، وعلامة الصبر : حبس النفس فى استحكام الدرس « بالكتاب والسنة» ، وعلامة التسليم : الثقة بالله الحكيم فى قوله ، والسكون إلى الله العظيم بقول رسوله ﷺ فى جميع الأشياء ، وقال فى كتاب « الرد على الجهمية » التأويل عند أصحاب الحديث : فرع من التكذيب .

قال ابو تراب : من كتبه المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة ترجمته في طبقات الحنابلة ج٢ ص٢٤٢ وفوات الوفيات ج١ ص٢٦٠ وسير النبلاء والنجوم الزاهرة ج٥ ص١٠٥ .

يحيى بن أكثم

أبو محمد ، يحيى بن أكثم بن محمد قطن بن سمعان المروزى . كان فقيها عالماً بالفقه بصيراً بالأحكام ذكره الدارقطنى فى أصحاب الشافعى ، وقال الخطيب فى « تاريخ بغداد » : كان يحيى بن أكثم سليماً من البدعة ، ينتحل مذهب أهل السنة ، سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما ، وروى عنه أبو عيسى الترمذى وغيره ، وقال طلحة بن محمد فى حقه : أحد أعلام الدنيا وقد اشتهر أمره وعرف خبره ولم يستتر على الكبير والصغير من الناس فضله وعلمه ورئاسته وسياسته .

وتوفى سنة ٢٤٢ ، وحكى أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن سعيد قال : كان « يحيى بن أكثم » القاضى صديقاً لى — وكان يودنى وأوده — فمات يحيى ، فكنت أشتهى أن أراه فى المنام ، فأقول ما فعل الله بك ؟ فرأيته ليلة فى المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى إلا أنه وبخنى ، ثم قال لى : يا يحيى ! خلطت على نفسك الدنيا ، فقلت : يا رب ! اتكأت على حديث حدثنى به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة . قال : قال رسول الله ﷺ : إنك قلت إنى لاستحيى أن أعذب ذا شيبة بالنار ، فقال : قد عفوت عنك يا يحيى ، وصدق نبيي إلا أنك خلطت على نفسك فى دار الدنيا . هكذا ذكره أبو القاسم القشيرى فى الرسالة .

قال ابو تراب : ترجمته في وفيات الأعيان ج٢ ص٢١٧ وأخبار القضاة لوكيع ج٢ ص١٦١ وطبقات الحنابلة ج١ ص٤١٠ والجواهر المضيئة ج٢ ص٢١٠ وتاريخ بغداد ج١٤ ص١٩١ والنجوم الزاهرة ج٢ ص٢١٧ .

عبد الرحمن بن عساكر

عبد الرحمن بن محمد بن الحسن يعرف « بابن عساكر » الدمشقى . صنف فى الحديث والفقه ودرس فى مواضع ، وكان يتورع من المرور فى رواق الحنابلة لئلا يأثموا بالوقيعة فيه ، لأن عوامهم يبغضون بنى عساكر — لأنهم شافعية أشاعرة — وعرضوا عليه ولايات ومناصب فتركها . توفى سنة ٦٢٠ ، ومولده سنة ٥٥٠ .

قال ابو تراب : هو ابن أخى المؤرخ علي بن عساكر وكتابه في مناقب أمهات المؤمنين في الظاهرية وترجمته في الفوات ج١ ص٢٦١ والوفيات ج١ ص٢٧٧.

الداوودى

عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودى ، جمال الإسلام وشيخ خراسان ، راوى البخارى من السرخسى ، كان من الأئمة الكبار مع علو الأسناد .

وله حظ من النظم والنثر ، أخذ فى التدريس والفتوى والتصنيف ، وعقد مجالس التذكير ورواية الحديث إلى أن توفى سنة ٤٦٧ ، فى سنة ٤٦٧ ، وكان مولده فى سنة ٣٧٤ ، ومن شعره :

كان اجتماع الناس فيما مضى   يورث البهجة والسلوه
فانقلب الأمر إلى ضده   فصارت السلوة فى الخلوه

وله أيضاً :

كان فى الاجتماع من قبل نور   فمضى النور وادلهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعاً   فعلى الناس والزمان السلام

قال ابو تراب : ترجمته في التاج المكلّل ١٥٤ ولم يذكره الزركلي في الأعلام فليستدرك .

يحيى بن منـده

يحيى بن منده أبو زكريا ، يحيى بن عبد الوهاب بن الإمام أبى عبد الله ، محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى « بن منده » واسم منده : إبراهيم ، ومنده : لقب .

كان من الحفاظ المشهورين وأحد أصحاب الحديث المبرزين — وهو محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث ابن محدث — وكان جليل القدر وافر الفضل واسع الرواية ، ثقة حافظاً فاضلاً مكثراً صدوقاً ، كثير التصانيف حسن السيرة بعيد التكلف ، أوحد أهل بيته فى عصره ، خرج التخاريج لنفسه ولجماعة من الشيوخ الأصبهانيين ، وسمع أبا بكر محمد بن عبد الله بن زيد الضبى وأبا طاهر محمد بن أحمد الكاتب وأبا منصور محمد بن عبد الله بن فضلويه الأصبهانى ، وأباه أبا عمرو ، وعمه أبا الحسن عبيد الله وأبا القاسم عبد الرحمن وأبا العباس أحمد بن محمد بن أحمد القضاعى وأبا عبد الله محمد بن على بن محمد الجصاص ، وأبا بكر محمد بن على الجوردانى ، وأبا طاهر أحمد بن محمود الثقفى ، ورحل إلى نيسابور وسمع بها من أبى بكر أحمد بن منصور المقرى وأحمد بن منصور البيهقى ، وبهمدان وبالبصرة وجماعة كثيرة سواهم .

ودخل بغداد حاجاً وحدث بها ، وأملى بجامع المنصور وكتب عنه الشيوخ لشهرته وثبته ، وروى الأنماطى الحافظ وأبو الحسن على الخياط البغدادى وأبو طاهر يحيى بن عبد الغفار الصباغ وجماعة كثيرة ، وذكره الحافظ ابن السمعانى فى كتاب الذيل وقال : كتب لى الاجازة بجميع مسموعاته ، ثم قال سألت عنه أبا القاسم اسماعيل بن محمد الحافظ فأثنى عليه ووصفه بالحفظ والمعرفة والدراية ، ثم قال سمعت أبا بكر محمد بن نصر بن محمد الكفتوانى الحافظ يقول : بيت ابن منده « بُدِىء بيحيى وختم بيحيى » يريد فى معرفة الحديث والعلم والفضل ، وذكره الحافظ عبد

الغافر فى سياق تاريخ نيسابور فقال : ابن منده رجل فاضل من بيت العلم والحديث المشهور فى الدنيا ، سافر وأدرك المشايخ وسمع منهم ، وصنف على الصحيحين .

وكان يروى بأسناده المتصل إلى بعض العلماء أنه قال : كثرة الضحك أمارة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل ، وضعف العقل من قلة الرأى ، وقلة الرأى من سوء الأدب ، وسوء الأدب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد داء لا دواء له ، والنمائم تورث الضغائن .

ولد يوم الثلاثاء تاسع عشر شوال سنة ٤٣٤ ، وتوفى يوم عيد النحر سنة ٥١٢ بأصفهان ــ ومولده بها أيضاً ــ ولم يخلف فى بيت « ابن منده » بعده مثله .

وقال ابن نقطة فى كتابه « الإكمال » : توفى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، قال ابن رجب فى « الطبقات » وذكره شيرويه بن شهردار الحافظ ، فقال : كان حافظاً فاضلا مكثراً صدوقاً ثقة يحسن هذا الشأن جداً ، كثير التصانيف ــ شيخ الحنابلة ومقدمهم ــ حسن الصورة ، بعيداً من التكلف ، متمسكاً بالأثر ، انتهى . وصنف مناقب الإمام أحمد فى مجلد كبير وفيه فوائد حسنة ، وكتب له ــ ابن رجب ــ ترجمة حافلة حسنة .

قال ابو تراب : ترجمته في الوفيات ج ٢ ص ٢٢٥ وذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ١٥٤ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٢٠٢ .

ابن ســـعدون

أبو بكر ، يحيى بن سعدون بن تمام محمد الأزدى القرطبى الملقب « صائن الدين » . أحد الأئمة المتأخرين فى القراءات وعلوم القرآن الكريم والحديث والنحو واللغة وغير ذلك ، خرج من الأندلس فى عنفوان شبابه .

وقدم ديار مصر فسمع بالإسكندرية أبا عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازى ، وبمصر أبا طاهر السلفى وغيره ، وقرأ الحديث على أبى بكر محمد بن عبد الباقى البزاز المعروف بقاضى المارستان ، وكان ديِّناً ورعاً عليه وقار وهيبة وسكينة ، وكان ثقة صدوقاً نبيلا قليل الكلام كثير الخير مفيداً ، توفى سنة ٥٦٧ .

قال ابو تراب : ترجمته في بغية الوعاة ص ٤١٢ والمغرب ج ١ ص ١٣٥ ومعجم الأدباء ج٧ ص٢٧٨ ومرآة الجنان ج٣ ص٣٨٠ وابن خلكان ج٢ ص٢٢٦ وغاية النهاية ج٢ ص٣٧٢ .

الخطيب التبريزي

أبو زكريا ، يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيبانى التبريزى ، المعروف بالخطيب ، أحد أئمة اللغة .

سمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبى الفتح سليم بن أيوب الرازى ، وروى عنه الخطيب الحافظ صاحب « تاريخ بغداد » والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور الجواليقى وأبو الحسن سعد الخير الأندلسى وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ، وله كتاب « تهذيب غريب الحديث » وغيره .

ولد سنة إحدى وعشرين وأربع مائة ، وتوفى سنة ٥٠٢ ببغداد .

قال ابو تراب : ومن كتبه شرح ديوان الحماسة وشرح سقط الزند وتهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت وتهذيب الألفاظ لابن السكيت وشرح اختيارات الضبى والوافي في العروض وشرح القصائد العشر وشرح المشكل من ديوان أبي تمام وشرح الدريدية وكلها مطبوع وله شرح بانت سعاد بالرباط وترجمته في دمية القصر ص٦٨ ومعجم الأدباء ج٧ ص٢٨٦ وابن خلكان ج١ ص٢٣٣ ومرآة الجنان ج٣ ص١٧٢ ودائرة المعارف الاسلامية ج٤ ص٥٦٧ .

محمد بن منده

أبو عبد الله ، محمد بن يحيى « بن منده » العبدى الحافظ المشهور صاحب كتاب « تاريخ اصبهان » .

كان أحد الحفاظ الثقات وهم أهل بيت كبير ، خرج منه جماعة من العلماء ولم يكونوا عبديين ، وإنما أم الحافظ أبى عبد الله المذكور — واسمها برة بنت محمد — كانت من بنى عبد ياليل فنسب إلى أخواله ، ذكر ذلك الحافظ أبو موسى الأصبهانى فى كتاب « زيادات الأنساب » واستوفى رفع نسبها هناك .

قال ابن خلكان : فاضربت عن ذكره لطوله ، وكذلك ذكره الحازمى فى كتاب العجالة لكنه لم يرفع فى نسبها ، توفى الحافظ المذكور فى سنة ٣٠١ .

ومنده : بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة وفى الآخر هاء ساكنة أيضاً .

قال ابو تراب : ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٧٦ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٨٧ .

الفـــــربري

أبو عبد الله ، محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر « الفربرى » رحمه الله ، راوية صحيح البخارى عنه ، رحل إليه الناس وسمعوا منه هذا الكتاب .

ولد فى سنة ٢٣١ ، وتوفى فى ثالث شوال سنة ٣٢٠ . ونسبته إلى فربر : بفتح الفاء والراء وسكون الباء الموحدة وفى آخرها راء ثانية ، وهى بلدة على طرف جيحون مما يلى بخارى ، وهو آخر من روى « الجامع الصحيح » عن البخارى ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : سمع الصحيح من مصنفه الامام البخاري مرتين وهو من أوثق من رواه . ترجمته في معجم الأدباء ج٣ ص٨٦٧ وإفادة النصيح ص١٠ والتاج المكلل ٩٧ والزركلي ج٧ ص١٤٨ .

الصـــاعدي

أبو عبد الله ، محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد « الصاعدى » الفراوى النيسابورى ، كان فقيهاً محدثاً مفتياً مناظراً واعظاً . وكان يحمل الطعام إلى المسافرين الواردين عليه ، ويخدمهم بنفسه مع كبر سنه .

سمع « صحيح مسلم » من عبد الغافر الفارسى ، و« صحيح البخارى » من سعيد بن أبى سعيد ، وسمع من الشيخ أبى اسحاق الشيرازى والحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى ، وأبى القاسم القشيرى ، وإمام الحرمين . وتفرد برواية عدة كتب للحافظ البيهقى ، مثل « دلائل النبوة » و « الأسماء والصفات » و « البعث والنشور » والدعوات الكبيرة ، والصغيرة — وكان يقال فى حقه : الفراوى ألف راوى .

ولد سنة ٤٤١ أو ٤٤٢ بنيسابور ، وسمع الحديث سنة ٤٧ ، وتوفى سنة ٥٣٠ .

والفراوى : نسبة إلى فراوة ، وهى بليدة مما يلى خوارزم ، يقال لها رباط فراوة ، بناها عبد الله بن طاهر — فى خلافة المأمون — وهو يومئذ أمير خراسان .

قال ابو تراب : ترجمته في شذرات الذهب ج ٤ ص٩٦ ولب اللباب ص١٩٣ والتاج ١٠ ص٢٧٩ ومعجم البلدان ج٦ ص٣٥٢ والإعلام لابن قاضي شهبة (خط) .

الحــاكم

أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكيم الضبى الطهمانى « الحاكم » النيسابورى ، الحافظ المعروف بابن البيع ، إمام أهل الحديث فى عصره ، والمؤلف فيه الكتب التى لم يسبق إلى مثلها .

كان عالماً عارفاً واسع العلم تفقه ، ثم طلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به ، وسمعه من جماعة لا يحصون كثرة — فان معجم شيوخه يقرب من ألفى رجل حتى روى عمن عاش بعده لسعة روايته وكثرة شيوخه — وصنف فى علومه ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء ، منها الصحيحان ، والعلل ، والأمالى ، وفوائد الشيوخ وأمالى العشيات وتراجم الشيوخ . وأما ما تفرد باخراجه ، فمعرفة الحديث ، وتاريخ علماء نيسابور ، والمدخل إلى علم الصحيح ، والمستدرك على الصحيحين ، وما تفرد به كل واحد من الإمامين ، وفضائل الإمام الشافعى ، وله إلى الحجاز والعراق رحلتان ،

وكانت الرحلة الثانية سنة ستين وثلاثمائة ، وناظر الحفاظ وذاكر الشيوخ — وكتب عنهم أيضاً — وباحث الدارقطنى فرضيه — وتقلد القضاء بنيسابور فى سنة ٣٥٩ فى أيام الدولة السامانية — ووزارة أبى النصر محمد بن عبد الجبار العتبى — وقلد بعد ذلك قضاء جرجان فامتنع ، وكانوا ينفذونه فى الرسائل إلى ملوك بنى بويه .

وكانت ولادته فى ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة بنيسابور .

وتوفى بها يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة ٤٠٥ ، وقال الجيلى فى كتاب الإرشاد : توفى ثلاث وأربعمائة وسمع الحديث في سنة ٣٠ وأملى بما وراء النهر سنة ٥٠ وبالعراق سنة ٦٧ ، ولازمه الدارقطنى ، وسمع منه أبو بكر القفال الشاشى وأنظارهما .

والبيع : بتشديد الياء وكسرها ، وإنما عرف بالحاكم لتقلده القضاء .

قال ابو تراب : ترجمته في طبقات السبكي ج ٣ ص ٦٤ والوفيات ج ١ ص ٤٨٤ وغاية النهاية ج٢ ص١٨٤ وميزان الاعتدال ج٣ ص٥٨٥ ولسان الميزان ج٥ ص٢٣٢ وتاريخ بغداد ج٥ ص٤٧٣ والوافي ج٣ ص٣٢٠ .

الحميـــدي

أبو عبد الله ، محمد بن أبى نصر ، فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الأزدى الحميدى الأندلسى الميورقى الحافظ المشهور ، أصله من قرطبة من ربض الرصافة ، وهو من أهل جزيرة ميورقة ، روى عن أبى محمد على بن حزم الظاهرى واختص به ولازمه وأكثر من الأخذ عنه ، وقرأ عليه — بصحبته ، وصار على مذهبه إلا أنه لم يكن يتظاهر به .

وسمع عن أبى عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب « الاستيعاب » وعن غيرهما من الأئمة ، ورحل إلى المشرق سنة ٤٤٨ فحج وسمع بمكة حرسها الله تعالى ، وبإفريقية وبأندلس ومصر والشام والعراق — واستوطن بغداد .

وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع ، وكانت له نغمة حسنة فى قراءة الحديث ، وذكره الأمير أبو نصر على بن ماكولا صاحب كتاب « الاكمال » فقال : أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدى وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ ، وقال لم أر مثله فى عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم .

ولأبى عبد الله المذكور كتاب « الجمع بين الصحيحين » — البخارى ومسلم — وهو مشهور ، وأخذه الناس عنه ، وله أيضاً تاريخ علماء الأندلس ، سماه « جذوة المقتبس » فى مجلد واحد — ذكر فى خطبته أنه كتبه من حفظه —وقد طلب ذلك منه ببغداد .

وكان يقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم بها :

١ — كتاب العلل — وأحسن كتاب وضع فيه — كتاب « الدارقطنى » .

٢ ــ كتاب المؤتلف والمختلف ــ وأحسن كتاب وضع فيه ــ كتاب الأمير أبى نصر بن ماكولا .

٣ ــ كتاب وفيات الشيوخ ، وليس فيه كتاب . وقد كنت أردت أن أجمع فى ذلك كتاباً ، فقال لى الأمير : رتبه على حروف المعجم ، بعد أن رتبته على السنين ، قال أبو بكر بن طرخان فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات ، وقال ابن طرخان المذكور ــ أنشدنا الحميدى لنفسه :

لقاء الناس ليس يفيد شيئا . سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس ، إلا لأخذ العلم أو إصلاح حال

وكان قد أدرك بدمشق الخطيب أبا بكر الحافظ وروى عنه وعن غيره ، وروى الخطيب أيضاً عنه .

كانت ولادته قبل العشرين وأربع مائة ، وتوفى ليلة الثلاثاء سابع عشر ذى الحجة سنة ٤٨٨ ببغداد . قال السمعانى فى كتاب الأنساب فى ترجمة الميورقى :إنه توفى فى صفر سنة إحدى وتسعين وأربع مائة ، هكذا فى المختصر ، الذى اختصره أبو الحسن على بن الأثير الجزرى ، وفى كتاب الذيل للسمعانى ، أنه توفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى الحجة سنة ٤٨٨ ــ وهو الصواب .

والحميدى : بضم الحاء ، نسبة إلى حميد جده المذكور ، رحمه الله تعالى ، ذكر له المقرى فى « نفح الطيب » ترجمة حافلة حسنة ، وقال : كان إماماً من أئمة المسلمين ــ فى حفظ الحديث ومعرفة علله ــ وحرصه على نشر العلم ، وبثه فى أهله ، وذكره الحجازى فى المسهب ، وأثنى عليه ثناء حسنا ، قال : وهو من علماء أئمة الحديث ــ لازم ابن حزم فى الأندلس واستفاد منه ــ ومن شعره ، رضى الله تعالى عنه :

أَلِفْتُ الهوى حتى أنست بوحشها وصرت بها لا فى الصبابة مولعا
فلم أحص كم رافقته من موافق ولم أحص كم خيمت فى الأرض موضعا
ومن بعد جوب الأرض شرقاً ومغرباً فلا بد لى من أن أوافى مصرعا

وله رحمه الله تعالى :

طريق الزهد أفضل ما طريق وتقوى الله تالية الحقوق
فثق بالله يكفك واستعنه يعنك ودع بنيات الطريق

وله :

كلام الله عز وجل قولي وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءاً وعوداً ، فهو عن حق مبين
فدع ، ماصدَّ عن هذا وهذا تكن منها على عين اليقين

قال ابو تراب : كتابه جذوة المقتبس مطبوع ، ومن كتبه الذهب المسبوك في وعظ الملوك وتسهيل السبيل إلى علم الترسيل ، والمتشاكه في أسماء الفواكه ونوادر الأطباء والجمع بين الصحيحين وهو مطبوع وتفسير غريب الصحيحين وبلغة المستعجل والتذكرة وهي مصورة عند صديقنا الشيخ أبي عبدالرحمن بن عقيل وترجمته في سير النبلاء ونفح الطيب ج١ ص٣٨١ والصلة ص٥٠٢ وبغية الملتمس ص١١٣ وابن خلكان ج١ ص٤٨٥ ومفتاح السعادة ج١ ص١٣ .

المــازري

أبو عبد الله ، محمد بن على بن عمر بن محمد التميمى المازرى ، الفقيه المالكى المحدث ، أحد الأعلام المشار إليهم فى حفظ الحديث ـــ والكلام عليه .

شرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه « كتاب المعلم بفوائد مسلم » وعليه بنى القاضى عياض « كتاب الإكمال » وهو تكملة لهذا الكتاب ، وله فى الأدب كتب متعددة ، وله كتاب « إيضاح المحصول فى برهان الأصول » وكان فاضلا متفنناً .

توفى فى ثامن عشر ربيع الأول سنة ٥٣٦ ، وعمره ثلاث وثمانون سنة .

والمازرى : بفتح الميم وبعدها ألف ثم زاى مفتوحة وقد تكسر أيضاً ثم راء ، وهذه النسبة إلى مازر ، وهى بُلَيْدة بجزيرة صقلية .

قال ابو تراب : كتابه المعلم توجد منه نسخه في خزانة الرباط ومن كتبه التلقين في الفروع ، والكشف والانباء في الرد على الاحياء للغزالي ، وألف حسن حسني كتابا في ترجمته وهو مطبوع وترجمته في لحظ الألحاظ ص٧٣ والوفيات ج١ ص٤٨٦ وأزهار الرياض ج٣ ص١٦٥ .

الحـــــربي

إبراهيم بن اسحاق « الحربى » ، قال الصلاح الكتبى فى فوات الوفيات : أحد الأئمة الأعلام ، ولد سنة ١٩٨ .

تفقه على الإمام أحمد وكان من نجباء أصحابه . قال الخطيب : كان أماماً فى العلم ، رأساً فى الزهد حافظاً للحديث ، مجيباً للمسئلة ، قيماً بالأدب ، صنف غريب الحديث وكتباً كثيرة ، وأنشده رجل شعراً :

أنكـــــرت ذلى فأىُّ شيء أحسن من ذلـــــة المحب
ألـيس شوقى وفـيض دمعـــى وضعف جسمى شهود حبى

فقال إبراهيم : هؤلاء شهود ثقات ، وقال ما أنشدت شيئاً من الشعر إلا قرأت : « قل هو الله أحد » ثلاث مرات ، وقال إنه بلغنى أن الإنسان إذا ابتلى بحب صورة قبيحة — كان بلاء — تجب الاستعاذة من مثله ، وإن كان مليحاً — كان ابتلاء — يجب الصبر عليه واحتمال المشقة ، وكان أصله من مرو ، وتوفى سنة ٢٨٥ .

قال ابو تراب : كان الحربي زاهداً أرسل إليه المعتضد ألف دينار فردّها وله غريب الحديث ، وإكرام الضيف ومناسك الحج وقد طبع بتحقيق صديقنا العلامة الكبير الشيخ حمد الجاسر ، وأفرد جزءاً في ترجمته ، ومن كتبه سجود القرآن والهدايا والسنة فيها وآداب الحمام ودلائل النبوة ، وكان عنده اثنا عشر ألف جزء في اللغة كتبها بخطه .

ابن نجـــار

إبراهيم بن سليمان « ابن نجار » الدمشقى . ولد سنة ٥٩٠ ، وتوفى سنة ٦٥١ . حدث وكتب فى الإجازات ، وكتب عليه أبناء البلد ، وله نظم وأدب ، وسمع بدمشق من التاج الكندى ، ومن شعره :

لقد نبتت فى صحن خدك لحية تأنق فيها صانع الإنس والجن
وما كنت محتاجاً إلى حسن نبتها ولكنها زادتك حسناً إلى حسن

وله أيضاً :

جبلت على حبى لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله معلنا
ولم يخل قلبى من هواها بقدر ما أقـول وقلبـى خاليـاً فتمكنـا

قال ابو تراب : لم يذكره الزركلي في الأعلام ، وذكره القنوجي في التاج المكلّل فليستدرك .

الحــليمي

أبو عبد الله ، الحسين بن الحسين بن محمد بن حلي الفقيه الشافعى ، المعروف « بالحليمى الجرجانى » ولد بجرجان سنة ٣٣٨ ، وحمل إلى بخارى .

وكتب الحديث : عن أبى بكر ، محمد بن أحمد بن حبيب وغيره ، وتفقه على أبى بكر الأودنى وأبى بكر القفال ، ثم صار إماماً معظماً مرجوعاً إليه بما وراء النهر ، وله فى المذاهب وجوه حسنة ، وحدث بنيسابور ، وروى عنه الحافظ الحاكم وغيره وتوفى فى جمادى الأولى ، وقيل فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعمئة رحمه الله ونسبته إلى جده حليم المذكور .

قال ابو تراب : ترجمته في الرسالة المستطرفة ص ٤٤ وملخص المهمات (خط) والتبيان (خط) والأعلام للزركلي ج ٢ ص ٢٣٥ .

ابن الخشــاب

عبد الله بن أحمد بن عبد الله ، يعرف « بابن الخشاب » البغدادى ، المحدث اللغوى النحوى ، الإمام أبو محمد بن أبى الكرم .

قرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث ، وقرأ على أبى القاسم الحريرى ، وقد عده ابن نقطة فى أول استدراكه من الحفاظ الذين يعتمد على ضبطهم — وقرنه مع السلفى وأبى العلاء وابن عساكر — وأثنى عليه الشيخ فخر الدين بن تيمية وابن النجار وقال : سمع الحديث الكثير وعرف صحيحه من سقيمه وبحث عن أحكامه وتبحر فى علومه ، وذكره ابن السمعانى وقال : له معرفة تامة بالحديث ، ويقرأ الحديث قراءة سريعة حسنة صحيحة مفهومة وجمع الأصول الحسان ، وذكره ابن القطيعى وجماعة ووصفوه : بأنه كان عالماً بالتفسير والحديث مع تشدد فى السنة ، وتظاهر بها فى محافل علومه ومجالس تلاميذه وأصحابه يتبجل بمذهب الإمام أحمد وينتصر به على غيره من المذاهب ، ويصرح ببراهينه وحججه على ذلك .

وذكر ياقوت الحموى ، قال كان الحافظ ابن ناصر بن عمة أم الخشاب : قالت لى أمى ، يا بنى ! مالى لا أراك تصلى صلاة الرغائب على عادة الناس ؟ فقلت يا أمى ! أنا أوثر ما ورد من الصلوات عن النبى ﷺ وأصحابه ، « وهذه الصلاة لم ترد عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه » ، فقالت : لا أسمع ذلك منك ، فاسئل لى ابن عمى ، فاتفق إنى لقيته ، فقلت : الوالدة تسلم عليك ، وتسألك عن صلاة الرغائب ، هل وردت عن النبى ﷺ وعن أصحابه ؟ فقال لى : فهلا أخبرتها بحقيقة ذلك ، فقلت : قد أبت ، إلا أن أخبرها عنك ، فقال لى سلم عليها وقل لها : أنا أسنّ منها ، فإنها أحدثت فى زمنى وعصرى — وقد مضت برهة — ولا أحد يصليها ، وإنما وردت من الشام وتداولها الناس حتى أجروها مجرى ما ورد من الصلوات المأثورة .

قال ابن رجب : ولابن الخشاب تصانيف ، منها كتاب أغلاط الحريرى فى مقاماته ، وقرأ عليه الخلق الكثير الحديث والأدب ، وروى عنه خلق من الحفاظ ، وكان ثقة فى الحديث والنقل صدوقاً حجة نبيلا ، ومن شعره فى القصيدة :

واستن بالسلف الصلحا وكن رجلاً مبرأ عن دواعى الغى والفتن
ودع مذاهب قوم ، أحدثت إثماً فيها ، خلاف على الآثار والسنن

ولد سنة ٤٩٢ ، وتوفى يوم الجمعة ــ ثالث رمضان ــ سنة ٥٦٧ ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد قريباً من بشر الحافى ، قال ابن الجوزى : مرض نحواً من عشرين يوماً دخلت عليه قبل موته بيوم أو يومين ــ وقد يئس نفسه ــ فقال لى : عند الله أحتسب نفسى .

وحدثنى عبد الله الجبائى العبد الصالح ، قال : رأيته فى المنام بعد موته بأيام ووجهه يضىء ، فقلت له ! ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى ، قلت : وأدخلك الجنة ؟ قال وأدخلنى الجنة ــ إلا أنه أعرض عنى ، قلت : أعرض عنك ؟ قال نعم ، وعن جماعة من العلماء تركوا العمل ، انتهى . قال القنوجى ، عفا الله عنه : وإذا كان هذا بالخيار ، فكيف بأمثالنا ــ لم نعمل بما علمنا ــ إلا أن يتغمدنا الله برحمته .

قال ابو تراب : ترجمته في بغية الوعاة ص٢٧٦ والوفيات ج١ ص٢٦٧ وإنباه الرواة ج٢ ص٩٩ ومعجم الأدباء ج٤ ص٢٨٦ وذيل طبقات الحنابلة ج١ ص٣١٦ .

الجيّـــاني

أبو على ، الحسين بن محمد بن أحمد الغسانى الجيانى الأندلسى المحدث ، كان إماماً فى الحديث والأدب .

وله كتاب مفيد سماه : « تقييد المهمل » ضبط فيه اللبس من رجال الصحيحين وما قصر فيه وهو فى جزءين ، وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المفيدين ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له معرفة بالغريب والشعر والأنساب .

وكان يجلس فى جامع قرطبة ويسمع منه أعيانها ، قال ابن خلكان : ولم أقف على شىء من أخباره حتى أذكر طرفاً منها .

وكانت ولادته فى المحرم سنة ٤٢٧ ، وطلب الحديث سنة ٤٤٤ ، وتوفى ليلة الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٤٩٨ .

والجيانى : بفتح الجيم ، نسبة إلى جيان — وهى مدينة كبيرة بالأندلس — وبأعمال الرى قرية يقال لها : جيان أيضاً .

قال ابو تراب : ومن كتبه كتاب ما يأتلف خطه ويختلف لفظه في الصحيحين بخزانة الرباط ، والألقاب والتعريف بشيوخ البخاري والتنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين وهذه الثلاثة في معهد المخطوطات (برقم ٥٨٦ التاريخ) والكنى والألقاب في شستربتى وترجمته في الوفيات ج١ ص١٥٨ والصلة ص١٤٤ وأزهار الرياض ج٣ ص١٤٩ وبغية الملتمس ص٢٤٩ ونسخة تقييد المهمل توجد في خزانة إصريف بالسوس وأخرى ناقصة بمكتبة الجامع الكبير بمكناس (برقم ١/٢٣٧) .

الخطـــابي

أبو سليمان ، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب « الخطابى » البستى ، كان فقيهاً أديباً محدثاً ، له التصانيف البديعة منها : « غريب الحديث » و « معالم السنن فى شرح سنن أبى داود » و « أعلام السنن فى شرح البخارى » و « كتاب الشجاج » وكتاب « شان الدعاء » وكتاب « إصلاح غلط المحدثين » وغير ذلك .

سمع بالعراق أبا على الصفار وأبا جعفر الرزاز وغيرهما ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله بن البيع النيسابورى ، وعبد الغفار بن محمد الفارسى ، وأبو القاسم ، عبد الوهاب بن أبي سهل الخطابى وغيرهم ، وذكره صاحب « يتيمة الدهر » وأنشد له :

وما غربة الإنسان فى شقة النوى ... ولكنها والله فى عدم الشكل
وإنى غريب بين « بست » وأهلها ... وإن كان فيها أسرتى وبها أهلى

وأنشد له أيضاً :

شر السباع العوادى دونه وزر ... والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع ... وما ترى بشرا لم يؤذه بشر

وأنشد له أيضاً عفا الله عنه :

فسامح ولا تستوف حقك كله ... وأبق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل فى شئ من الأمر واقتصد ... كلا طرفى قصد الأمور ذميم

وذكر له أشياء غير ذلك ، وكان يشبه فى عصره بأبى عبيد القاسم بن سلام علماً وأدباً ، وورعا وزهداً ، وتدريسا وتأليفا .

وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة ٣٨٨ بمدينة « بست » رحمه الله تعالى .

والخطابى : بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة ، نسبة إلى جده الخطاب المذكور — وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب — فنسب إليه ، والله أعلم ، والبستى : بالضم نسبة إلى « بست » وهى مدينة من بلاد كابل — بين هراة وغزنة — كثيرة الأشجار والأنهار ، وقد سمع فى اسم أبى سليمان ، أحمد أيضاً بإثبات الهمزة ، والصحيح الأول .

قال الحاكم أبو عبد الله ، محمد بن البيع : سألت أبا القاسم المظفر بن طاهر ابن محمد البستى الفقيه ، عن اسم أبى سليمان الخطابى : أحمد أو حمد ، فإن بعض الناس يقول : أحمد ، فقال سمعته يقول اسمى الذى سميت به : حمد ، ولكن الناس كتبوا : أحمد — فتركته عليه ، وقال أبو القاسم — أنشدنا أبو سليمان لنفسه :

ما دمت حياً فدار الناس كلهم فإنما أنت فى دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى عما قليل نديماً للندامات

قال ابو تراب : من كتبه إصلاح خطأ المحدثين وهو مطبوع ، وغريب الحديث ومنه نسخه كاملة في خزانة عاشر أفندي باستنبول وشرحه للبخاري منه نسخة في الرباط (١٨٠ أوقاف) ترجمته في الوفيات ج١ ص١٦٦ وإنباه الرواة ج١ ص١٢٥ ويتيمة الدهر ج٤ ص٢٣١ وتحفة ذوى الأرب ص١٥٤ .

ابن خلـدون

« ابن خلدون » هو عبد الرحمن بن محمد الحضرمى الأشبيلى المغربى ، الفقيه الإمام الكاتب البليغ المؤرخ الحكيم المشهور .

قال لسان الدين بن الخطيب : ينسب سلفه إلى « وائل بن حجر » تناسلوا على حشمة وسراوة ورسوم حسنة ، وأما هو فرجل فاضل حسن الخلق جم الفضائل باهر الخصائل رفيع القدر ظاهر الحياء ، أصيل المجد وقور المجلس خاصى الزى عالى الهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة ، قوى الجأش طامح لقنن الرئاسة ، خاطب للحظ متقدم فى فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا سديد البحث ، كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط مغرى بالخلة جواد حسن العشرة مبذول المشاركة ، مقيم لرسم التعين عاكف على رعى خلال الأصالة ، مفخرمن مفاخر التخوم المغربية .

قرأ القرآن وتأدب بأبيه وأخذ عن المحدث ابن جابر ، وحضر مجلس القاضى ابن عبد السلام ، وروى عن الحافظ السيطى وأخذ المنطق وسائر الفنون الحكمية ، وكان يشهد له بالتبريز فى جميع ذلك ، ودخل مكة وأدى فريضة الحج وأكب على التدريس والتصنيف ، ومن مؤلفاته رحلة كثيرة الفائدة ، وشرح البردة شرحاً بديعاً ، ولخص محصل الرازى ، ونظمه جيد أتى فيه بكل غريبة ، وأما تاريخه الكبير الموسوم بكتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر ، فهو تاريخ حافل كثير الفوائد كبير الحجم دل به على اطلاع كثير ، وهذا الكتاب فذ بما تضمنه من شوارد الفوائد وبوابغ الكلم ، وهو جديد النزعة غريب الوضع أجاد فى تصنيفه وألبسه رونق البلاغة ودل به على غزارة مادته ومشاركته فى كثير من العلوم ، وتضلعه من الأدب وخبرته بالسياسة والاحكام الشرعية مع ضبط التجديد وحسن الأسلوب ، وقد لعبت أيدى النساخ بكتابه فأحدثت خللا كثيراً فى ضبط الأعلام والتواريخ ، ولا تحسن نسبة

ذلك إلى المؤلف لما علمت من سعة علمه وتحقيقه واطلاعه وتقلبه فى مراتب العلم والاحكام ، ولا يصح الظن بأنه لم يتهيأ له مراجعته وتهذيبه ، فبقى فيه ما ذكر من الخلل ، ذكر له الخورى فى الآثار ترجمة حافلة ، وأبان حال هذا التاريخ ، طبع بجملته فى مصر سنة ١٢٨٤ فى سبع مجلدات .

قال وبالجملة ، أن تاريخه من أجل التواريخ القديمة وأحواها للفوائد وهو من الآثار العربية ، وقد ختمه بالتعريف بنفسه ، انتهى .

قال القنوجى : وهو عندي موجود وقفت عليه وانتفعت به كثيراً في مؤلفاتي ، ولله الحمد . وفي البدر الطالع في ترجمة عبدالرحمن بن خلدون ــ صاحب كتاب « العبر » وديوان المبتدأ والخبر ــ ولد في أول رمضان سنة ٧٣٢ بتونس ، قال ابن الخطيب إنه رجل فاضل جم الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس عالي الهمة قوي الجاش مقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط حسن العشرة ، اثني عليه المقريزي ، وكان الحافظ أبو الحسن الهيثمي يبالغ في الحط منه .

قال الحافظ ابن حجر ، فلما سألته عن سبب ذلك ؟ ذكر لي أنه بلغه انه قال فى الحسين السبط ــ رضي الله عنه ــ أنه قتل بسيف جده ، ثم أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبه وهو يبكي ، قال ابن حجر لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن ، وكأنه كان ذكرها في النسخة التي رجع عنها ، قال والعجب ان صاحبنا المقريزي كان يفرط في تعظيم « ابن خلدون » لكونه يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر ، ويخالف غيره في ذلك ويدفع مانقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم .

ويقول إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي ، وكان المقريزي ينتمي إلي الفاطميين فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم وجهل مراد « ابن خلدون » فإنه كان لانحرافه عن العلوية يثبت نسب العبيديين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم ، وكون بعضهم نسب إلي الزندقة وادعي الالهية كالحاكم ، فكأنه أراد أن

يجعل ذلك ذريعة إلي الطعن هكذا حكاه السخاوي عن ابن حجر ، والله أعلم بالحقيقة . وإذا صح صدور تلك الكلمة عن صاحب الترجمة — فهو ممن أضله الله علي علم وختم على سمعه وبصره ، انتهي .

قال ابو تراب : كلمة ابن خلدون المشار إليها فى كلام الحافظ ابن حجر موجودة فى مقدمة تاريخ ابن خلدون ، وكأن النسخة التى اطلع عليها الحافظ كانت عارية عنها ، أو أنه راجع التاريخ ولم يراجع المقدمة والله اعلم .

قال ابو تراب : ترجمته في الضوء اللامع ج ٤ ص ١٤٥ ونيل الابتهاج ص ١٧ وتعريف الخلف ج ٢ ص ٢١٣ ونفح الطيب ج ٤ ص ٤١٤ وغيرها .

المقـــريـزي

أحمد بن علي المعروف « بابن المقريزي » صاحب الخطط والآثار للقاهرة .
قال السخاوي : كان مولده ــ حسبما كان يخبر به ويكتبه ــ بعد الستين يعني وسبع مائة ، لقي الكبار وجالس الأئمة وتفقه حنفياً على مذهب جده لأمه ، ثم تحول شافعياً ، قال السخاوي ولكن كان مائلا إلى الظاهر ، وكذا قال ابن حجر إنه أحب الحديث ، فواظب عليه حتي كان يتهم بمذهب ابن حزم ، انتهي .

وكان قد اتصل بالطاهر برقوق ، ودخل دمشق مع والده الناصر وعرض عليه قضاؤها مراراً فأبى ، وحج غير مرة وجاور ثم أعرض عن جميع ذلك ، وأقام ببلده عاكفاً علي الاشتغال بالتاريخ حتي اشتهر به ذكره وبعد وصيته ، ومن جملة تصانيفة « الخطط » وهو من أحسن الكتب وأنفعها وفيه عجائب ومواعظ ، وكان فيه نشر محاسن العبيدية ويفخم شأنهم ويشيد بذكر مناقبهم ، وكنت قبل أن أعرف انتسابه أعجب من ذلك لكونه علي غير مذهبهم فلما وقفتُ علي نسبه علمت أنه استروح إلي ذكر مناقب سلفه ، ووجد بخطه أن تصانيفُه زادت علي مائتى مجلد .

وكان متبحراً في التاريخ علي اختلاف أنواعه ، ومؤلفاته تشهد له بذلك ــ وإن جحده السخاوي ــ فذلك دأبه في غالب أعيان معاصريه ، مات في سنة ٨٤٥ ، وانتهي .

قال ابو تراب : كتابه شازع النجاة قد أجاب فيه عن جميع ما اعترض به على الحافظ ابن حزم فى كتاب الحجة ، ومؤلفات المقريزى كثيرة منها إمتاع الأسماع طبع الأول منه وهو تسع مجلدات وتاريخ بناء الكعبة بخطه فى الظاهرية ، والخبر عن البشر وهو تاريخ عام كبير وبخطه مختصر الكامل لابن عدى فى مكتبة ملاّ مراد باستنبول رقم ٥٦٩ كما فى مذكرات الراجكوتى وتصانيفه مئتا مجلد كبير وترجمته فى التبر المسبوك ص ٢١ والبدر الطالع ج ١ ص ٧٩ وخطط مبارك ج ٩ ص ٦٩ وآداب اللغة ج ٣ ص ١٧٥ .

الصـــدفي

أبو موسي ، يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفى ، المصرى الفقيه الشافعي ، أحد أصحاب الشافعي — والمكثرين في الرواية عنه — والملازمة له .

وكان كثير الورع متين الدين ، وكان علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم ، لم يشاركه في زمانه في هذا أحد ، وسمع سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب المصري ، وكان محدثاً جليلا ذكره القضاعي في كتاب « خطط مصر » وقال : صحب الشافعي وأخذ عنه الحديث والفقه ، وحدث بهما عنه جماعة ، وله حبس في ديوان الحكم وعقب ، وله دار مشهورة في خطة الصدف مكتوب عليها اسمه .

وذكر غير القضاعي أن يونس بن عبد الأعلي روى عنه الإمام مسلم بن الحجاج القشيري وأبو عبد الرحمن النسائي وأبو عبد الله بن ماجة القزويني وغيرهم ، وقال يونس ، قال لي الشافعي : يايونس ! دخلت بغداد فقلت : لا ، قال : ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس ، وقال علي بن قديد : كان يونس يحفظ الحديث ويقوم به ، وذكر أبو عبد الرحمن النسائي فقال هو ثقة وقال غيره .

ولد سنة سبعين ومائة ، وتوفي سنة أربع وستين ومائتين ، رحمه الله تعالي .

قال ابو تراب : ترجمته فى التهذيب ج ١١ ص ٤٤٠ والوفيات ج ٢ ص ٤١٧ وغاية النهاية ج ٢ ص ٤٠٦ وطبقات السبكى ج ١ ص ٢٧٩ والانتقاء ص ١١١ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٧٦ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١٦٩ .

ابن خلـكان

قاضي القضاة ، شمس الدين أبو العباس ، أحمد بن إبراهيم بن أبي بكـر « ابن خلكان » الأربلي الشافعي ، هو من بيت كبير بناحية أربل مدينة بالعراق الشاطىء الشرقي من نهر دجلة بالقرب من موصل ، ذكره ابن كثير في تاريخه « البداية والنهاية » فيمن توفي من الأعيان في سنة ٨٦١ ، فقال : أحد الأئمة الفضلاء والسادة العلماء الصدور الرؤساء ولي التدريس بعدة مدارس لم تجتمع لغيره ،

ولم يبق معه في آخر وقته إلا منيته ، وبيد ابنه كمال الدين موسي تدريس التجيبة .

وكانت وفاته ـــ بالمدرسة المذكورة ـــ عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد كان له نظم حسن رائق ومحاضرته في غاية الحسن ـــ وله التاريخ المفيد الذى وسمه بـ « وفيات الأعيان » من أكبر المصنفات .

وقال عن نفســه في ترجمـة أم المؤيد النيسابورية ، ومولدي يوم الخميس ـــ بعد صلاة العصر ـــ حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ ، بمدينة أربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين ، وقال أيضاً في ترجمته عبد الأول السجزي أنه سمع صحيح البخاري سنة ٦٢١ بمدينة أربل علي الشيخ الصالح ابن هبة الله وبالجملة ، فمن تتبع كتابه هذا وتصفحه يعلم أحواله وأطواره وتنقلاته ، وكان له ميل إلي بعض أولاد الملوك وله فيه أشعار رائقة وهو الملك المسعود ابن المظفر صاحب حماة ، وكان قد تيمه حبه وكرر هذين البيتين : ليلة إلي أن أصبح :

أنـــــا والله هــــالك آيــس مــن سلامـتــي
أو أري القامــة التــي قــد أقامــت قيامتــي

وقـــال :

تمثلتمـولي والديـار بعيـــدة فخيل لي أن الفؤاد لكـم مغنا
وناجاكم قلبي علي البعد والنوي فأوحشتم لفظا وآنستم معنى

قال ابو تراب : ترجمته في الفوات ج ١ ص ٣٥٣ والنجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٥٣ والنعيمي ج ١ ص ١٩١ .

اللخمـــي

أبو الحسن ، علي بن الأنجب أبي المكارم « المفضل اللخمي » المقدسي المالكي المذهب .

كان فقيهاً فاضلا ، ومن أكابر الحفاظ المشاهير في الحديث وعلومه ، وصحب أبا طاهر السلفي وانتفع به ، وصحبه المنذري ولازم صحبته ، وبه انتفع وعليه تخرج ، وذكر عنه فضلا غزيراً وصلاحاً كثيراً .

قال ابن خلكان : وأنشدني له مقاطيع عديدة ، فمما أنشدني لنفسه :

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل   وأصحـابه والتـابعين تمسكي
عساك إذا بالغت في نشر دينه   بما طاب من نشر له أن تمسكي
وخافي غداً يوم الحساب جهنما   إذاً لفحت نيرانها أن تمسكي

وأنشـدني أيضاً لنفسه :

ثلاث بآت بلينـا بها   البق والبرغـوث والبرغش
ثلاث أوحش مافي الـوري   ولست أدري أيها أوحش

كانت ولادته سنة أربع وأربعين وخمس مائة ، وتوفي سنة إحدي عشرة وستمائة بالقاهرة .

قال ابو تراب : كتابه « الأربعين ، المرتبة على طبقات الأربعين » مخطوط بالظاهرية وترجمته في حسن المحاضرة ج١ ص ٢٠٠ وتكملة وفيات النقلة .

الدارقطني

أبو الحسن ، على بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي « الدارقطني » الحافظ المشهور .

كان عالماً حافظاً فقيهاً علي مذهب الإمام الشافعي ، وانفرد بالإمامة في علم الحديث في عصره ولم ينازعه في ذلك أحد من نظرائه ، وكان عارفاً باختلاف الفقهاء ويحفظ كثيراً من دواوين العرب .

وروي عنه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى ، صاحب « حلية الأولياء » وجماعة كثيرة ، وقبل القاضي بن معروف شهادته فندم علي ذلك ، وقال كان يقبل قولي علي رسول الله ﷺ بانفرادي ، فصار لا يقبل قولى علي نقلي إلا مع آخر .

وصنف كتاب « السنن » و « المختلف والمؤتلف » وغيرهما ، وأقام عند أبى الفضل بمصر مدة ، وبالغ أبو الفضل في إكرامه ، وانفق عليه نفقة واسعة . وأعطاه شيئاً كثيراً ولم يزل عنده حتي فرغ المسند ، وكان يجتمع هو والحافظ عبد الغني المذكور علي تخريج المسند وكتابته إلى إن نجز .

وقال الحافظ عبد الغني : أحسن الناس كلاماً علي حديث رسول الله ﷺ ثلاثة ١ — علي بن المدينى ، في وقته ٢ — وموسي بن هارون ، في وقته ٣ — والدارقطني ، في وقته وسأل الدارقطني يوماً أحد أصحابه ، هل رأي الشيخ مثل نفسه ؟ فامتنع من جوابه ، وقال ، قال الله تعالي : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقي » فألح عليه ، فقال :

إن كان في فن واحد فقد رأيت من هو أفضل مني ، وإن كان من اجتمع فيه ما اجتمع فيّ ، فلا ، وكان متفنناً في علوم كثيرة ، إماماً في علوم القرآن .

وكانت ولادته في ذي القعدة سنة ٣٠٦ ، وتوفي يوم الأربعاء لثمان خلون ، وقيل للثاني من ذي القعدة ، وقيل ذي الحجة سنة ٣٨٥ ببغداد ، وصلى عليه الشيخ أبو حامد الأسفراييني الفقيه المشهور ، ودفن قريباً من معروف الكرخي في مقبرة باب حرب ، ودار القطن : محلة كبيرة ببغداد ، والله أعلم .

قال ابو تراب : ترجمته في سير النبلاء والوفيات ج ١ ص ٣٣١ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١٤ وغاية النهاية ج ١ ص ٥٥٨ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٣٤ واللباب ج ١ ص ٤٠٤ وكتابه العلل نسخته بخطى من المكتبة الراشدية ببلاد السند وهو مجلدات ثمان .

ابن عبد البر

أبو عمـرو ، يوسف « ابن عبد البـر » بن محمد بن عبد البـر بن عاصم النمري القرطبي الحافظ جمال الدين ، إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما .

روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وأبي سعيد نصر وأبي محمد بن عبد المؤمن وأبي عمر الباجي وأبي عمر الطلمنكى وأبي الوليد بن الفرضي وغيرهم . وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وأبو محمد النحاس المصري وغيرهم .

قال القاضي أبو علي بن سكرة ، سمعت شيخنا القاضي أبا الوليد الباجي يقول : لم يكن بالاندلس مثل أبي عمرو « ابن عبد البر » في الحديث ، وقال الباجي أيضا أبو عمرو أحفظ أهل المغرب .

وقال أبو علي الغساني الأندلسي : إن « ابن عبد البر » أخذ كثيرا من علم الأدب والحديث ودأب في طلب العلم وأفتي به وبرع براعة ، فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس ، وألف في الموطأ كتباً مفيدة ، منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ورتبه علي أسماء شيوخ مالك علي حروف المعجم وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلي مثله ، وهو سبعون جزءاً .

قال أبو محمد بن حزم : لا أعلم في الكلام علي فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ، ثم صنع كتاب الاستذكار لمذاهب الأعصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار ، شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه ، وجمع في أسماء الصحابة رضي الله عنهم كتاباً مفيداً جليلا سماه « الاستيعاب » وله كتاب « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله » وغير ذلك من تأليفه .

وكان موفقاً في التأليف معاناً عليه ونفع الله به ، وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث ، له بسطة كثيرة في علم النسب .

تولي قضاء ــ الاشبونة وشنترين ــ في أيام ملكها المظفر بن الافطس .

توفي يوم الجمعة آخر يوم من شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٣ بمدينة شاطبة من شرق الأندلس ، وولد يوم الجمعة ــ والإمام يخطب ــ لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٨ وذكرنا في ترجمة الخطيب : أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ أنه كان حافظ المشرق ، « وابن عبد البر ، حافظ المغرب ــ وماتا في سنة واحدة ــ وهما إمامان في هذا الفن .

والنمري : بالفتح نسبة إلي نمر بن قاسط وهي قبيلة كبيرة مشهورة ، رحمــه الله .

قال ابو تراب : كتابه التمهيد طبع منه أجزاء بالرباط ، وترجمته فى الديباج ص ٣٥٧ والمغرب ج ٢ ص ٤٠٧ والوفيات ج ٨ ص ٣٤٨ والصلة ص ٦١٦ وبغية الملتمس ص ٤٧٤ وآداب اللغة ج ٣ ص ٦٦ وكتابه الاستيعاب مطبوع وكذلك الانتقاء والبهجة وجزء من الاستذكار .

ابن رجـــب

العلامة زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ، أبي العباس أحمد بن حسن « ابن رجب » شيخ الحنابلة والمحدثين .

قال نعمان آفندي قساطلي في كتابه « الروضة الغناء » في تاريخ دمشق الفيحاء هو الإمام الأصولي المحدث الفقيه الواعظ الشهير ، كان إماماً في العلوم له مصنفات كثيرة ، منها « شرح البخاري » و « شرح الأربعين » النووية و « طبقات الحنابلة » والقواعد ورياض الأندلس وغيرها ، مات بدمشق ، ودفن بباب الصغير عند قبر معاوية ، انتهى .

قال القنوجى : وهذه الروضة مؤلفها نصراني قد عقد فصلا في كتابه المذكور لذكر من مات واشتهر ضريحه بدمشق من الأولياء المقربين والعلماء والعاملين وذكر فيه جمعاً من حفاظ الحديث ، منهم ابن عساكر بن حسين بن هبة الله وقال هو الفخر الحافظ الكبير أبو القاسم إمام أهل الحديث ، الف تاريخ الشام في ثمانين مجلداً ، وله تآليف ـــ غير التاريخ ـــ بلغت ثمانية وعشرين مصنفاً توفي سنة ٥٧١ ودفن بالحجرة التي فيها معاوية ، انتهى .

ومنهم إبراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق كان إماماً ورعاً عارفاً بالصحابة ورجال الحديث ، مات بدمشق وقبره على الطريق ، ومنهم الشيخ عمر بن حسن الخرقي من تابعي أصحاب الإمام أحمد ومن علماء مذهبه المعتبرين ـــ ومن المعول عليهم بالفقه ـــ كان زاهداً عالماً قانعاً بالقليل ، رحل من بغداد وسكن بدمشق ، فرأي يوماً منكراً ـــ فأنكره ونهي عنه ـــ فقتل لأجل ذلك . ومنهم تقي الدين بن الصلاح وهو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري ، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه متبحراً في الأصول ، مات بدمشق سنة ٥٤٤ .

قال ابو تراب : ترجمته في شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٣٩ والذيل على طبقات الحنابلة وذيل طبقات الحفاظ للسيوطي والمنهج الأحمد (خط) والدرر الكامنة ج ٢ ص ٣٢١ والدارس ج ٢ ص ٧٦ .

الربيـــع

أبو محمد ، الربيع بن سليمان بن داوود بن الأعرج الأزدي بالولاء المصري « الجيزي » صاحب الإمام الشافعي لكنه قليل الرواية عنه ، وإنما روى عن عبد الله ابن الحكم كثيراً وكان ثقة ، روى عنه أبو داوود والنسائي . قيل : إنه اجتاز يوماً بمصر فطرحت عليه إجّانة رماد ، فنزل عن دابته وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يقل شيئاً ، فقيل له : ألا تزجرهم ؟ فقال : من استحق النار وصولح بالرماد فقد ربح .

توفي في ذي الحجة سنة ٢٥٦ بالجيزة وقبره بها ، كذا قاله القضاعي في « الخطط » والجيزة بليدة في قبالة مصر ــ رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٤٥ والانتقاء ص ١١٢ وابن خلكان ج ١ص ١٨٣ .

ابن بـــكار

أبو عبد الله ، « الزبير بن بكار » وكنيته أبو بكر من آل الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، كان من أعيان العلماء وتولى القضاء بمكة ، حرسها الله تعالى .

وصنف الكتب النافعة ، منها كتاب « أنساب قريش » وقد جمع فيه شيئاً كثيراً ، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين ، وله مصنفات دلت على اطلاعه وفضله ، روى عن ابن عيينة ومن فى طبقته ، وروى عنه ابن ماجة القزويني وابن أبي الدنيا وغيرهما .

توفي بمكة ــ وهو قاض عليها ــ ليلة السبع وقيل لتسع ليال بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦ ، وعمره أربع وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته في تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٦٧ وابن خلكان ج ١ ص ١٨٩ وآداب اللغة ج ٢ ص ١٩٣ .

الواقـــدي

أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن واقد « الواقدي » المدني مولى بني هاشم . كان إماماً عالماً وله المغازي وغيرها .

سمع من أبي ذئب ومعمر بن راشد ومالك بن أنس والثوري وغيرهم . وروى عنه كاتبه محمد « ابن سعد » وتولى القضاء بشرقي بغداد ــ وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي ــ وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه .

ولد في أول سنة ١٠٣ ، وتوفي سنة ٢٧٥ قال ابن قتيبة ــ وهو يومئذ قاضي بغداد ــ وله ثمان وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ١ ص٣١٧ وميزان الاعتدال ج ٣ ص١١٠ وتاريخ بغداد ج٣ ص٣ والوفيات ج١ ص٥٠٦ والتهذيب ج٩ ص٣٦٣ خلف ستمئة قمطر كتبا كل قمطر حمل رجلين ، وكان له غلامان يكتبان الليل والنهار ، وكان في أول الأمر حناطاً .

الثـــوري

أبو عبد الله ، سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب رافع الثوري الكوفي ، كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم .

وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته وهو أحد الأئمة المجتهدين ويقال إن الشيخ أبا القاسم الجنيد كان على مذهبه على الاختلاف فيه .

قال سفيان بن عيينة : ما رأيت رجلا أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري .

سمع الحديث من أبي إسحق السبيعي والأعمش ــ ومن في طبقتهما وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحق ومالك ــ وتلك الطبقة .

قال المسعودي : في « مروج الذهب » قال المهدي ، أكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفع إليه فأخذه وخرج ــ فرمى به في دجلة وهرب ــ فطلب في كل بلد فلم يوجد ، ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعي ، قال الشاعر :

تحرَّز سفيـــان وفـــرَّ بدينـــه وأمسى شريك مرصدا للدراهم

وحكى عن أبى صالح شعيب بن حرب المدائنى ــ وكان أحد السادة الأئمة الأكابر فى الحفظ والدين ــ أنه قال : إننى لأحسب يُجَاء بسفيان الثورى فى القيامة حجة من الله على الخلق ، يقال لهم لم تدركوا نبيكم عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلقد رأيتم سفيان الثورى ــ ألا اقتديتم به .

مولده فى سنة ٩٥ ، وقيل ست ، وقيل سبع وتسعين للهجرة ، وتوفى بالبصرة سنة ١٦١ متواريا من السلطان ودفن عشاء ــ ولم يعقب ، والثورى : نسبة إلى ثور ابن عبد مناة ، وثم ثورى آخر من بنى تميم ، وثورى آخر بطن من همدان .

قال ابو تراب : ترجمته في فهرسة النديم ج ١ ص ٢٢٥ وطبقات ابن سعد ج ٦ ص ٢٥٧ والحلية ج ٦ ص ٣٥٦ والتهذيب ج ٤ ص ١١١ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥١ وذيل المذيل ١٠٥ ودول الإسلام ج ١ ص ٨٤ وابن خلكان ج ١ ص ٢١٠ والجواهر المضيئة ج ١ ص ٢٥٠ والمعارف ص ٢١٧ .

ابن عيينـــة

أبو محمد ، « سفيان بن عيينة » بن أبي عمران ميمون الهلالى ، مولى امرأة من بنى هلال بن عامر ، رهط ميمونة زوج النبى ﷺ ، وقيل مولى بنى هاشم ، وقيل غير ذلك .

كان إماماً عالماً زاهداً ورعاً ، مجمعا على صحة حديثه وروايته . حج سبعين حجة ، روى عن الزهرى وأبى اسحاق السبيعى وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبى الزناد وعاصم والأعمش وغير هؤلاء من أعيان العلماء .

وروى عنه الإمام الشافعى ، وشعبة بن الحجاج ومحمد بن اسحاق وابن جريج والزبير بن بكار ، وعمه مصعب وعبد الرزاق وخلق كثير .

قال الشافعى : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما فى سفيان ، وما رأيت أكف منه عن الفتيا ، قال سفيان : دخلت الكوفة ولم يتم لى عشرون سنة ، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار ، قال فجاء الناس يسألونني عن عمرو بن دينار ، فأول من صيرنى محدثاً : أبو حنيفة ، فذاكرته ، فقال لى : يا بنى ! ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث — يضطرب فى حفظ تلك الأحاديث .

ومولد سفيان بالكوفة فى منتصف شعبان ١٠٧ ، وتوفى يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة ، وقيل أول يوم من رجب سنة ١٩٨ بمكة ، ودفن بالحجون .

قال ابو تراب : ترجمته في تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٤٢ وصفة الصفوة ج٢ ص١٣٠ وتاريخ بغداد ج٩ ص١٧٤ والحلية ج٧ ص٢٧٠ وطبقات الشعراني ج١ ص٤٠ وميزان الاعتدال ج١ ص٣٩٧ وابن خلكان ج١ ص٢١٠ وذيل المذيل ص١٠٨ .

ابن سلاّم

« أبو عبيد » القاسم بن سلام ، بتشديد اللام . كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة ، واشتغل « أبو عبيد » بالحديث والأدب والفقه ، وكان ذا دين وسيرة جميلة ، ومذهب حسن وفضل بارع ، حسن الرواية صحيح النقل .

قال القاضي أحمد بن كامل : لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه فيه شيء من أمر دينه ، ولى القضاء بمدينة طرطوس ثماني عشرة سنة ، روى عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وابن الأعرابي والكسائي والفراء وجماعة كثيرة ، وروى عنه الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً في القرآن الكريم ، والحديث وغريبه والفقه .

ويقال إنه أول من صنف في « غريب الحديث » ، ولما وضع كتاب الغريب عرضه على عبد الله بن طاهر فاستحسنه ، وقال محمد بن وهب : سمعت « أبا عبيد » يقول : مكثت في تصنيف هذا الكتاب « أربعين سنة » ، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال فأضعها في موضعها من الكتاب ، فأبيت ساهراً فرحا مني بتلك الفائدة ، وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أو خمسة أشهر ، فيقول قد أقمت كثيراً .

قال الهلال بن علاء الرقي : منّ الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم ، ١ — بالشافعي ، تفقه في حديث رسول الله ﷺ ٢ — وبأحمد بن حنبل ، ثبت في المحنة ، ولولا ذلك لكفر الناس ، ٣ — ويحيى بن معين ، نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ ، ٤ — وبأبي عبيد القاسم بن سلام ، فسر « غريب الحديث » ولولا ذاك لاقتحم الناس الخطأ . وقال اسحاق بن راهويه : « أبو عبيد » أوسعنا علماً ، وأكثرنا أدباً وأجمعنا جمعاً ، إنا نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا .

وكان يخضب بالحناء — أحمر الرأس واللحية ، وكان له وقار وهيبة .

قدم بغداد فسمع الناس منه كتبه ، ثم حج وتوفى بمكة — وقيل بالمدينة — بعد الفراغ من الحج سنة ٢٢٣ ، وقال البخارى : سنة ٢٢٤ .

وقال الخطيب فى « تاريخ بغداد » بلغنى أنه عاش سبعاً وستين سنة .

قال ابو تراب : ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٥ التهذيب ج ٧ ص ٣١٥ وابن خلكان ج١ ص٤١٨ وغاية النهاية ج٢ ص١٧ وتاريخ بغداد ج١٢ ص٤٠٣ وطبقات السبكي ج١ ص٢٧٠ وطبقات الحنابلة ج١ ص٢٥٩ والانتقاء ص١٠٧ وكتابه غريب الحديث طبع بحيدر اباد وطبع له قديما كتاب الأموال وكتاب الأمثال وكتاب الأجناس فى اللغة .

قاضى الخافقين

قاضى الخافقين أبو بكر ، محمد بن أحمد القاسم بن المظفر بن على الشهرزورى . اشتغل بالعلم على أبى اسحاق الشيرازى ، وولى القضاء بعدة بلاد ، ورحل إلى العراق وخراسان والجبال ، وسمع الحديث الكثير ، وسمع منه السمعانى ولد سنة ثلاث أو ٤٥٤ ، وتوفى سنة ٥٣٨ ببغداد . وإنما قيل له : قاضى الخافقين ، لكثرة البلاد التى ولى فيها .

قال ابو تراب : ترجمته في التاج المكلّل للقنوجى .

السمعـاني

تاج الإسلام ، أبو سعد ، ويقال أبو سعيد ، عبد الكريم بن أبي بكر ، محمد بن ابى المظفر ، منصور بن محمد التميمى « السمعانى » المروزى ، الفقيه الشافعى الحافظ .

ذكره الشيخ عز الدين أبو الحسن على بن الأثير الجزرى ، فى أول مختصره فقال : كان أبو سعد واسطة عقد البيت السمعانى وعينهم الباصرة ويدهم الناصرة ، وإليه انتهت رياستهم وبه كملت سيادتهم .

رحل فى طلب العلم والحديث إلى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها ، وسافر إلى ما وراء النهر وسائر بلاد خراسان عدة دفعات ، ولقى العلماء وأخذ عنهم وجالسهم ، وروى عنهم واقتدى بأفعالهم الجميلة وآثارهم الحميدة ، وكان عدة شيوخه تزيد على أربعة آلاف شيخ ، وصنف التصانيف الحسنة الغزيرة الفائدة .

كانت ولادته سنة ٥٠٦ ، وتوفى بمرو سنة ٥٦٢ .

وكان أبوه إماماً فاضلا محدثاً حافظاً فقيهاً شافعياً ، وله الإملاء الذى لم يسبق مثله ، تكلم على المتون والأسانيد ، وأبان مشكلاتها .

وكان جده المنصور إمام عصره بلا مدافعة ، أقر له بذلك الموافق والمخالف ، وكان حنفى المذهب فحج فى سنة ٤٦٢ ، وظهر له بالحجاز مقتضى انتقاله إلى مذهب الإمام الشافعى ، فلما عاد إلى مرو لقى بسبب انتقاله محنا وتعصباً شديداً فصبر على ذلك ، وصار إمام الشافعية بعد ذلك يدرس ويفتى ، وجمع فى الحديث ألف حديث عن مائة شيخ وتكلم عليها فأحسن ، وله وعظ مشهور بالجودة .

توفى سنة ٤٨٩ بمرو ومولده سنة ٤٢٦ . وسمعان : بطن من تميم .

وكان لأبى سعد عبد الكريم ولد يقال له : أبو المظفر عبد الرحيم بكر به والده فى سماع الحديث ، وطاف فى بلاد خراسان وما وراء النهر ، وأسمعه الحديث ، وحصل له النسخ ، وجمع له معجما لمشايخه فى ثمانية عشر جزءاً ، وعوالى فى مجلدين ضخمين ، وحدث بالكثير ، ورحل إليه الطلاب ، وكان محترماً ببلاده .

مولده سنة سبع وثلاثين وخمسائة بنيسابور ، وتوفى بمرو ما بين أربع عشرة وست مائة ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته فى طبقات السبكي ج ٤ ص ٢٥٩ والوفيات ج ١ ص ٣٠١ والنجوم الزاهرة ج٥ ص٥٦٣ واللباب ج١ ص٩ ومفتاح السعادة ج١ ص٢١١ وآداب اللغة ج٣ ص٦٨ وتذكرة الحفاظ ج٤ ص١٠٧ .

عبد الرزاق الصنعاني

أبو بكر « عبد الرزاق » بن همام بن نافع الصنعانى ، مولى حمير . قال أبو سعد السمعانى : قيل ما رحل إلى أحد بعد رسول الله ﷺ مثل ما رحلوا إليه ، يروى عن معمر بن راشد الأزدى مولاهم البصرى والأوزاعى وابن جريج وغيرهم .

وروى عنه أئمة الإسلام فى زمانه منهم :

سفيان بن عيينة وهو من شيوخه ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين وغيرهم . كانت ولادته فى سنة ١٢٦ ، وتوفى سنة ٢١١ باليمن ، رحمه الله تعالى .

والصنعانى نسبة إلى صنعاء وهى من أشهر مدن اليمن ، وقال أبو محمد عبد الله بن الحارث الصنعانى ، سمعت عبد الرزاق يقول : من يصحب الزمان ير الهوان .

وقال سمعته ينشد :

فذاك زمـــان لعبنـــا به وهـذا زمـــان بنـــا يلـعب

قال ابو تراب : ترجمته في التهذيب. ج ٦ ص ٣١٠ وميزان الاعتدال ج ٢ ص١٢٦ وابن خلكان ج١ ص٣٠٣ وطبقات الحنابلة ص١٥٢ ونكت الهميان ص١٩١ .

الشـــاطبي

أبو محمد ، القاسم بن فيره خلف بن أحمد « الشاطبى » الضرير المقرى صاحب القصيدة التى سماها « حرز الأمانى ووجه التهانى » فى القراءات — وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً — ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهى عمدة قراء هذا الزمان فى نقلهم .

وكان عالماً بكتاب الله تعالى — قراءة وتفسيراً — وبحديث رسول الله ﷺ مبرزاً فيه ، وكان إذا قرئ عليه صحيح البخارى ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ، ويملى النكت على المواضع التى تحتاج إليها .

وكان أوحد زمانه فى علم النحو واللغة ، عارفاً بعلم الرؤيا ، وسمع الحديث من أبى عبد الله محمد بن يوسف الخزرجى ، والحافظ أبى الحسن بن النعمة ، وغيرهما وانتفع به خلق كثير .

ولد سنة ٥٣٨ ، وتوفى سنة ٥٩٠ . والشاطبى : نسبة إلى شاطبة ، مدينة كبيرة ذات قلعة حصينة بشرف الأندلس ، وفيره : بكسر الفاء وسكون التحتية وتشديد الراء وضمها ، هو بلغة اللطينى : من أعاجم الأندلس ، معناه بالعربى : الحديد .

قال المقرى ، فى « نفح الطيب » حكى أن الأمير عز الدين موسك الذى كان والد ابن الحاجب — حاجباً له ، بعث إلى الشاطبى يدعوه إلى الحضور عنده ، فأمر الشيخ بعض أصحابه يكتب إليه :

قل للأمير مقالـــــــــة من ناصح فطـــن نبيـــه
إن الفقيـــــــه إذا أتى أبوابكـــــم لا خير فيـــه

قال ابو تراب : ترجمته في الشذرات ج ٤ ص ٣٠١ ومعجم الأدباء ج ٦ ص٢٨٤ والوفيات ج١ ص٤٢٢ ونكت الهميان ص٢٢٨ ومفتاح السعادة ج١ ص٣٨٧ .

الضيــاء المقدسي

محمد بن عبد الواحـد بن أحمد المقدسى الحافظ الكبير ، ضياء الدين ، محدث عصره ، وشهرته تغنى عن الاطناب فى ذكرها والاسهاب فى أمره .

ولد سنة ٥٦٩ ، سمع ببغداد الكثير من ابن الجوزى وطبقته ، ورحل مرتين إلى أصبهان وسمع بها ما لا يوصف كثرة ، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، ويقال إنه كتب أزيَدْ من خمس مائة شيخ وحصل أصولا كثيرة ، وأقام بهراة ومرو مدة ، وله إجازة من السلفى . قال ابن النجار : كتبت عنه وهو حافظ متقن ثبت ثقة صدوق نبيل حجة عالم بالحديث وأحوال الرجال ، له مجموعات وتخريجات — وهو يحتاط فى أكل الحلال — مجاهد فى سبيل الله — ولعمرى ما رأت عيناى مثله .

أثنى عليه جمع جم من الحفاظ منهم عمر بن الحاجب ، قال رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فاطنبوا فى حقه ومدحوه بالحفظ والزهد — ومنهم البرزالى وابن النابلسى والصريفينى — ونقل الذهبى عن المزى أنه قال : كان أعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد الغنى ولم يكن فى وقته مثله . وقال الذهبى : الإمام العالم الحافظ محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين صنف وصحح ولين ورجح وعدل وكان الرجوع إليه فى هذا الشأن . وقال الشريف أبو العباس : كان أحد أئمة هذا الشأن عارفاً بالرجال وأحوالهم والحديث صحيحه وسقيمه ، انتهى . بنى مدرسة للمحدثين والغرباء الواردين مع الفقر والقلة ، ويعمل فيها بنفسه ولم يقبل من أحد فيها شيئاً ، ومناقبه أكثر من أن تحصر .

ومن مؤلفاته كتاب « الأحاديث المختارة » قال ابن رجب : وهى الأحاديث التى يصلح أن يحتج بها سوى ما فى الصحيحين خرجها من مسموعاته — كتب

منها تسعين جزءاً ولم تكمل — قال بعض الأئمة هى خير من صحيح الحاكم ، وله كتاب « مناقب أصحاب الحديث » أربعة أجزاء ، وأطراف الموضوعات لابن الجوزى ، وجزء فى الاستدراك على الحافظ عبد الغنى ، وجزء « الأمر باتباع السنن واجتناب البدع » إلى غير ذلك مما لا يحصى ، وتوفى رحمه الله سنة ٦٤٣ ، ودفن بسفح قاسيون .

قال ابو تراب : ترجمته في الفوات ج ٢ ص ٢٣٨ والدارس ج ٢ ص ٩٤ والشذرات ج٥ ص٢٢٤ وذيل طبقات الحنابلة ج٢ ص٢٣٦ .

السيف ابن قدامـة

أحمد بن عيسى بن عبد الله بن قدامة المقدسي ، المحدث الحافظ سيف الدين ابن شيخ الإسلام موفق الدين ، ولد سنة ٦٠٥ . سمع من جده الكثير وكتب بخطه الكثير ، وخرج وألف وحدث وكتب العالى والنازل وجمع وصنف .

قال الذهبى : كان ثقة حافظاً متيقظاً مليح الخط عارفاً بهذا الشأن عالماً بالأثر ، صاحب عبادة وإنابة — قوالا بالحق — ولو طال عمره لساد أهل زمانه علماً وعملا ومحاسنه جمة ، له مصنفات حسنة ، توفى سنة ٦٤٣ ، وله ثمان وثلاثون سنة ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته في الشذرات ج ٥ ص ٢١٧ والتبيان (خط) .

ابن سلامة

أحمد « بن سلامة » الحرانى ، المحدث الزاهد الصالح القدوة . سمع الكثير وكتب بخطه الأجزاء والطبقات ، وصحب الحافظ عبد الغنى والحافظ الرهاوى والشيخ موفق الدين المقدسى وسمع منهم وحدث ، وسمع منه جماعة .

قال ابن حمدان : سمعت عليه كثيراً وكان من دعاة أهل السنة وولاتهم بصدر منشرح وقلب طيب ، توفى رحمه الله بحران سنة ٦٤٦ .

قال ابو تراب : ترجمته في التاج المكلّل للقنوجى .

الطــبراني

أبو القاسم ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمى « الطبرانى » كان حافظ عصره ،رحل فى طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة الفراتية ، وأقام فى الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة ، وسمع الكثير ، وعدد شيوخه ألف شيخ .

وله المصنفات الممتعة النافعة الغريبة منها المعاجم الثلاثة « الكبير » و « الأوسط » و « الصغير » وهى أشهر كتبه وروى عنه الحافظ « أبو نعيم » والخلق الكثير .

مولده سنة ستين ومائتين بطبرية الشام ، وسكن أصبهان إلى أن توفى بها يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ٣٦٠ ، وعمره تقديراً مائة سنة ، وقيل إنه توفى فى شوال ، والله أعلم . ودفن إلى جانب حمة الدوسى — صاحب رسول الله ﷺ .

والطبرانى : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء — وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى طبرية ، والطبرى نسبة إلى طبرستان .

واللخمى : بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى لخم ، واسمه : مالك بن عدى وهو أخو جذام ، ومطير : تصغير مطر .

قال ابو تراب : ترجمته فى ابن عساكر ج٦ ص ٢٤٠ والوفيات ج ١ ص ٢١٥ والنجوم الزهرة ج ٤ ص٥٩ .

الطيــبي

حسين بن محمد بن عبد الله الطيبى — صاحب شرح المشكاة — إمام مشهور وعالم مبرور ، كان فى مبادىء عمره صاحب ثروة عظيمة ، بذل المال فى وجوه الخيرات حتى صار فقيراً فى آخر عمره ، قال فى البدر الطالع : كان حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة ، مظهراً فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين فى عصره ، شديد المحبة لله ورسوله ، كثير الحياء ملازماً للجمعة والجماعة ، ملازما لتدريس الطلبة فى العلوم الاسلامية ، له إقبال على استخراج الدقائق من الكتاب والسنة ، وحاشيته على الكشاف هى أنفس حواشيه على الاطلاق مع ما فيها من الكلام على الأحاديث فى بعض الحالات إذا اقتضى الحال ذلك على طريقة المحدثين مما يدل على ارتفاع طبقته فى علمي المعقول والمنقول ، شرع فى جمع كتاب فى التفسير وعقد مجلساً عظيماً لقراءة كتاب البخارى ، فكان يقرأ فى التفسير من بكرة إلى ظهر ومن ثم إلى العصر لاسماع البخارى ، إلى أن كان يوم وفاته — فرغ من قراءة التفسير وتوجه إلى مجلس الحديث ، فدخل مسجداً عند بيته فصلى النافلة قاعداً وجلس ينتظر الاقامة للفريضة ، فقضى نحبه متوجهاً إلى القبلة فى شعبان سنة ٧٤٣ ، انتهى — رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : ترجمته في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٦٨ والبدر الطالع ج ١ ص ٢٢٩ وشذرات الذهب ج ٦ ص ١٣٧ وبغية الوعاة ص ٢٢٨ .

ابن المبارك

أبو عبد الرحمن ، « عبد الله بن المبارك » ابن واضح المروزى ، مولى بنى حنظلة .

كان قد جمع بين العلم والزهد ، وتفقه على سفيان الثورى ومالك بن أنس رضى الله عنهما ، وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع محباً للخلوة شديد التورع .

ونقل أبو على الغسانى الجيانى ، أن عبد الله بن المبارك سئل أيما أفضل معاوية بن أبى سفيان أم عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : والله ، إن الغبار الذى دخل فى أنف معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة ، صلى معاوية خلف رسول الله ﷺ ، فقال سمع الله لمن حمده ، فقال معاوية : « ربنا لك الحمد » فما بعد هذا ؟ وكان لعبد الله شعر — فمن ذلك قوله شعراً :

قد يفتح المرء حانوتاً لمتجره وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الأساطين حانوت بلا غلق تبتاع بالدين أموال المساكين
صيرت دينك شاهينا تصيد به وليس يفلح أصحاب الشواهين

ومن كلامه : تعلمنا العلم للدنيا — فدلنا على ترك الدنيا .

توفى بهيت : بالكسر ، مدينة على الفرات فوق الأنبار — من أعمال العراق ، سنة ١٨١ ، وقيل سنة ١٨٢ ، وقبره ظاهر بها يزار .

قال ابن خلكان : وقد جمعت أخباره فى جزءين وأثنى عليه الذهبى .

توفى سنة ٦١٥ ، وفى الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الشيطان قال وعزتك يا رب ! لا أبرح

أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . قال الرب : وعزتى وجلالى ! لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى ، رواه ابن رجب بسنده عنه متصلا .

قال أبو تراب : ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٥٣ والحلية ج ٨ ص ١٦٢ وذيل المذيل ص ١٠٧ والشذرات ج ١ ص ٢٩٥ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٥٢ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ١١٢ والمستطرفة ص ٣٧ .

العكـــبري

عبد الله بن الحسين « العكبرى أبو البقاء » الفقيه المفسر الفرضى اللغوى النحوى الضرير ، ولد سنة ٥٣٨ . قرأ القرآن وسمع الحديث من أبى زرعة المقدسى وابن هبيرة الوزير ، وأخذ النحو عن ابن الخشاب وبرع فى فنون عديدة .

وصنف التصانيف الكثيرة ، ورحلت إليه الطلبة من النواحى ، وكان معيداً لابن الجوزى فى المدرسة — وكان يفتى فى تسعة علوم — قال الدبيثى ، ونعم الشيخ كان . وقال ابن النجار قرأت عليه كثيراً من مصنفاته وصحبته مدة طويلة ، ذكر لى أنه بالليل تقرأ زوجته عليه فى كتب الأدب وغيرها ، وذكر لى أنه أضر فى صباه فى الجدرى .

وقال : جاء إلىَّ جماعة من الشافعية فقالوا انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية ، فأقسمت ! وقلت : لو أقمتمونى وصببتم علىّ الذهب حتى أتوارى ما رجعت عن مذهبى ، وله شعر رائق ، أخذ عنه العربية والحديث خلق كثير ، وروى عنه الدبيثى وابن النجار والضياء وابن الصيرفى وبالإجازة جماعة منهم الكمال البزار .

توفى سنة ٦١٦ . وعن ابن عمر قال ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نزع يداً من طاعة إمام لقى الله عز وجل ليست له حجة ، ومن مات مفارقاً للجماعة مات ميتة جاهلية ، رواه ابن رجب بسنده عنه متصلا وذكر عنه فوائد فى طبقاته .

قال ابو تراب : ترجمته في الوفيات ج١ ص٢٦٦ وبغية الوعاة ٢٨١ وذيل الروضتين ص١١٩ وابن الوردي ج٢ ص١٣٨ ونكت الهميان ص١٧٨ وآداب اللغة ج٣ ص٤٢ .

ابن سنينة

محمد بن عبد الله بن الحسين السامرى ، يعرف بابن سنينة .

ولد سنة ٥٣٥ ، برع فى الفقه والفرائض وولى القضاء بسامرة .

وتوفى سنة ٦١٦ ، وفى كتابه « المستوعب والفروق » فوائد جليلة ومسائل غريبة .

قال ابن رجب : رأيت لابن الوليد المحدث إليه رسالة يعاتبه فيها على قوله إن أحاديث الصفات لا تقبل — لكونها أخباراً آحاداً — وبسط القول فى ذلك على طريقة أهل الحديث وملأها بالأحاديث والآثار المسندة .

قال ابو تراب : ترجمته في شذرات الذهب ج٥ ص٧٠ وذيل طبقات الحنابلة ج٢ ص١٢١ والمنهج الأحمد (خط) والمقصد الأرشد (خط) .

ابن الخضرى

نصر بن محمد بن على « أبو الفتوح بن الخضرى » الحافظ المحدث الزاهد الأديب ، يلقب برهان الدين ، نزيل مكة وإمام حطيم الحنابلة ، ولد سنة ٥٣٦ .

قرأ القرآن وسمع الحديث الكثير من أبى الوقت وطبقته وعنى بهذا الشأن ، وقرأ بنفسه وكتب بخطه الكثير ، ولم يزل يسمع ويقرأ ويفيد إلى أن علت سنه أثنى عليه ابن الدبيثى وابن نقطة ، وقال ابن النجار : كان حافظاً حجة نبيلا ، جم الفضائل كثير المحفوظ ، من أعلام الدين وأئمة المسلمين : قال أبو المظفر : سمعت منه بمكة — فى المسجد الحرام — وكان محدثاً حافظاً عابداً ، قال إن سماعه ظهر ولا أعلم أحداً ، قال ذلك غيره ، وتوفى سنة ٦١٩ ، رحمه الله تعالى .

قال ابو تــراب : ترجمته في التاج المكلّل للقنوجى .

الموفق ابن قـدامة

عبد الله بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى ، شيخ الإسلام وأحد الأعلام ، ولد سنة ٥٤١ .

قرأ القرآن واشتغل وسمع وقرأ عليه جماعة وانتفع بعلمه طائفة كثيرة .

وكان كثير الحياء عزوفاً عن الدنيا وأهلها ، هيناً ليناً متواضعاً محباً للمساكين ، من رآه كأنما رأى بعض الصحابة ، وكان كامل العقل شديد التثبت دائم السكوت ، نزهاً ورعاً عابداً على قانون السلف — على وجهه النور وعليه الوقار والهيبة — ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه . صنف التصانيف — قصده التلامذة والأصحاب — وسار اسمه فى البلاد واشتهر ذكره ، وكان حسن المعرفة بالحديث ، وله يد فى علم العربية .

قال عمر بن الحاجب الحافظ فى معجمه : هو إمام الأئمة ومفتى الأمة ، خصه الله بالفضل الوافر والخاطر الماطر والعلم الكامل ،فأما الحديث فهو سابق فرسانه ، وأما الفقه فهو فارس ميدانه . وقال أبو شامة : كان شيخ الحنابلة إماماً من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين سمعت عليه أشياء ، ومن أظرف ما حكى لى عنه أنه كان يجعل فى عمامته ورقة مصرورة فيها رمل يرمل به ما يكتبه للناس من الإجازات وغيرها ، أثنى عليه الحافظ الضياء وأفرد سيرته وكذلك الذهبى ، وقال الضياء : كان إماماً فى القرآن وتفسيره وفى الحديث ومشكلاته . قال ابن غنيمة : ما أعرف أحداً فى زماننا أدرك درجة الاجتهاد إلا الموفق — يعنى المترجم له — وأن رسول الله ﷺ قال : ما أنعم الله على عبد نعمة أفضل من أن يلهمه ذكره ، فقد ثبت بهذا أن إلهام الذكر أفضل الكرامات ، وأفضل الذكر ما يتعدى

إلى العباد وهو تعليم العلم والسنة ، وأعظم من ذلك ما كان جبلة وطبعاً كالعلم والكرم والعقل والحياء .

وكان لا يكاد يناظر أحداً إلا وهو متبسم ، حتى قال بعض الناس هذا الشيخ يقتل خصمه بتبسمه ، ومن كراماته ما حكاه سبط ابن الجوزى قال : قلت فى نفسى لو كان لى قدرة لبنيت للموفق مدرسة وأعطيته كل يوم ألف درهم ، قال فجئت بعد أيام فسلمت عليه فنظر إلىّ وتبسم وقال : إذا نوى شخص نية كتب له أجرها .

وذكر له ابن رجب كرامات أخرى ، ثم ذكر تصانيفه وقال : تصانيفه فى أصول الدين فى غاية الحسن أكثرها على طريقة أئمة المحدثين — مشحونة بالأحاديث والآثار بالأسانيد كما هى طريقة الإمام أحمد وأئمة الحديث ، ولم يكن يرى الخوض مع المتكلمين فى دقائق الكلام ولو كان بالرد عليهم ، وهذه طريقة أحمد والمتقدمين ، وكان كثير المتابعة للمنقول فى باب الأصول وغيره لا يرى إطلاق ما لم يؤثر من العبارات ويأمر بالإقرار والإمرار لما جاء فى الكتاب والسنة — من الصفات — من غير تفسير ولا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل .

ومن تصانيفه « البرهان فى مسئلة القرآن » و « مسئلة العلو » و « ذم التأويل » و « رسالة إلى الشيخ العالم فخر الدين بن تيمية » فى تخليد أهل البدع فى النار ، و « مسئلة فى تحريم النظر فى كتب أهل الكلام » و « مختصر العلل » فى فن الحديث ، و « المغنى » فى الفقه ، و « ذم الوسواس » و « الروضة » فى أصول الفقه و « كتاب المتحابين فى الله » .

قال الشيخ عز الدين : ما رأيت فى كتب الاسلام فى العلم مثل المحلى والمجلى لابن حزم وكتاب « المغنى » للشيخ موفق الدين بن قدامة ، فى جودتهما وتحقيق ما فيهما وأيضاً قال : لم تطب نفسى فى الفتيا حتى صار عندى نسخة « المغنى » وقال ابن رجب : كتاب « المغنى » عظم النفع به وكثر الثناء عليه ، وذكر من شعر ابن قدامة شيئاً كثيراً . وقال تفقه عليه خلق كثير ، وسمع منه الحديث خلائق من الأئمة والحفاظ وغيرهم ، وروى عنه الضياء والمنذرى .

توفى رحمه الله سنة ٦٢٠ . حكى اسماعيل الكاتب قال رأيت ليلة عيد الفطر : كأن مصحف عثمان قد رفع من جامع دمشق إلى السماء فلحقنى غم شديد ـــ فتوفى الموفق يوم العيد ـــ ورأى آخر : ملائكة ينزلون من السماء ، فقال ما هذا ؟ قالوا : ينقلون الموفق لطيبه من الجسد الطيب . وقال آخر : رأيت كأن النبى ﷺ مات ـــ فوصل الخبر بموت الموفق ـــ وذكر ابن رجب نبذاً من فتاواه فى طبقاته .

قال أبو تراب : ترجمته في الشذرات ج ٥ ص ٨٨ والبداية ج ١٣ ص ٩٩ ومرآة الزمان ج ٨ ص ٦٢٧ ومختصر طبقات الحنابلة ص ٤٥ والمقصد الأرشد (خط) وفوات الوفيات ج ١ ص ٢٠٣ وذيل طبقات الحنابلة ج ٢ ص ١٢٣ .

البرني

إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم « البرنى » الحربى الموصلى ، الواعظ المحدث ، يلقب برهان الدين ، ولد سنة ٥٤٢ .

قرأ على ابن الجوزى ، وولى مشيخة دار الحديث بالموصل ، وحدث بها ووعظ . قال ابن الحنبلى : كان واعظاً فاضلا من أهل السنة لم يكن بالموصل أعرف بالحديث والوعظ منه . وقال المنذرى لنا منه إجازة ومن شعره :

كم جاهل متواضع * ستر التواضع جهله ومميز فى علمه * هدم التكبر فضله
فالكبر عيب للفتى أبداً يقبح فعله

توفى سنة ٦١٢ .

قال ابو تراب : ترجمته في التاج المكلّل للقنوجى .

ابن ماكولا

الأمير سعد الملك أبو نصر على بن هبة الله بن علي بن جعفر العجلي المعروف بابن ماكولا ، أصله من جرباذقان من نواحي أصبهان ، ووزر أبوه أبو القاسم هبة الله للامام القائم بأمر الله ، سمع الحديث الكثير وصنف المصنفات النافعة وأخذ عن مشايخ العراق وخراسان والشام وغير ذلك .

وكان أبو نصر أحد الفضلاء المشهورين . تتبع الألفاظ المشتبهة في الأسماء الأعلام وجمع منها شيئا كثيراً ، وكان الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد أخذ كتاب أبى الحسن الدارقطنى المسمى « المختلف والمؤتلف » وكتاب الحافظ عبد الغنى ابن سعيد الذى سماه « مشتبه النسبة » وجمع بينهما وزاد عليهما ، وجعله كتاباً مستقلا سماه « المؤتنف تكملة المختلف » وجاء الأمير أبو نصر المذكور وزاد على هذه التكملة وضم إليها الأسماء التى وقعت له ، وجعله أيضاً كتاباً مستقلا وسماه « الإكمال » وهو فى غاية الإفادة فى رفع الإلتباس والضبط والتقييد وعليه اعتماد المحدثين وأرباب هذا الشأن ، فإنه لم يوضع مثله ، ولقد أحسن فيه غاية الإحسان ، ثم جاء ابن نقطة وذيّله وما قصَّر فيه أيضاً وما يحتاج الأمير المذكور مع هذا الكتاب إلى فضيلة أخرى ، وفيه دلالة على كثرة إطلاعه وضبطه وإتقانه ، ومن شعره المنسوب إليه :

قوض خيامك عن أرض تهان بها وجانب الذل إن الذل يجتنب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة فالمندل الرطب فى أوطانه حطب

وكانت ولادته فى عكبرا خامس شعبان سنة ٤٢١ الهجرية ، وقتله غلمانه بجرجان فى سنة نيف وسبعين وأربعمائة ، وقال ابن خلكان : لا أعرف معناه ، ولا أدرى سبب تسميته بالأمير ، هل كان أميراً بنفسه؟ أم لأنه من أولاد أبى دلف العجلى.

قال ابو تراب : ترجمته فى الفوات ج ٢ ص ٩٣ وسير النبلاء والمنتظم ج ٩ ص ٥ والمختصر لأبى الفداء ج ٢ ص ١٩٤ والتذكرة للذهبى ج ٤ ص ٥ والبداية ج ١٢ ص ١٢٣ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١١٥ .

ابن عساكر

الحافظ أبو القاسم ، على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، المعروف « بابن عساكر » الدمشقى ، الملقب ثقة الدين .

كان محدث الشام فى وقته ، ومن أعيان الفقهاء الشافعية ، غلب عليه الحديث فاشتهر به ، وبالغ فى طلبه إلى أن جمع منه ما لم يتفق لغيره ، ورحل وطوف وجاب البلاد ولقى المشائخ .

وكان رفيق الحافظ أبى سعيد ، عبد الكريم السمعانى فى الرحلة ، وكان حافظاً ديناً ، جمع بين المتون والأسانيد ، سمع ببغداد فى سنة ٥٢٠ من أصحاب البرمكى والتنوخى والجوهرى ، ثم رجع إلى دمشق ، ثم ارتحل إلى خراسان ودخل نيسابور وهراة وأصبهان والجبال ، وصنف التصانيف المفيدة وخرَّج التخاريج .

وكان حسن الكلام على الأحاديث محفوظاً فى الجمع والتأليف ، صنف « التاريخ الكبير » لدمشق ، فى ثمانين مجلداً ، أتى فيه بالعجائب ، وهو على نسق تاريخ بغداد ، وله غيره تواليف حسنة وأجزاء ممتعة ، وله شعر لا بأس به ، فمن ذلك قوله :

ألا إن الحديث أجلّ علْم ... وأشرفه الأحاديث العوالى
وأنفع كل نوع منه عندى ... وأحسنه الفوائد والأمالى
وإنك لن ترى للعلم شيئاً ... وخذه عن الرجال بلا ملال
ولا تأخذه من صحف فترمى ... من التصحيف بالداء العضال

ومن المنسوب إليه :

أيا نفس ويحك جاء المشيب ... فماذا التصابى وماذا الغزل

تولى شبابى كأن لم يكن وجاء مشيبى كأن لم يزل
كأنى بنفسى على غرة وخطب المنون بها قد نزل
فيا ليت شعرى ممن أكون وما قدر الله لى بالأزل

قال فى الآثار : وله كتاب « الاجتهاد فى إقامة فرض الجهاد » وكتاب « تبيين الوهم والتغليط الواقع فى حديث الأطيط » وهو رسالة فى جزء — ردَّ فيه الحديث الذى أخرجه أبو داود ، وهو : أن أعرابياً أتى النبى ﷺ ، فاستشفع للمطر ، وفيه لفظ : أطيط الرحل بالراكب ، ذكره ابن كثير ، وله كتاب « تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى أبى الحسن الأشعري » قال ابن السبكى : وهو من أجل الكتب فائدة ، فيقال — كل سنى لا يكون عنده ذلك الكتاب — فليس من نفسه على بصيرة ، ولا يكون الفقيه شافعياً على الحقيقة حتى يحصل له ذلك ، اختصره الإمام اليافعى ، وكتاب « مبهمات القرآن » وغير ذلك ، انتهى .

وكانت ولادته فى أول المحرم سنة ٤٩٩ ، وتوفى ليلة الاثنين الحادى والعشرين من رجب سنة ٥٧١ بدمشق ، وحضر الصلاة عليه السلطان صلاح الدين ، رحمه الله وكان ولده أبو محمد القاسم الملقب بهاء الدين أيضاً حافظاً ، وتوفى أخوه الفقيه المحدث الفاضل صائن الدين هبة الله بن الحسين سنة ٥٦٣ بدمشق ، ودرس فى جامع دمشق ، وأفتى وحدث .

قال ابو تراب : له كتب كثيرة منها الأطراف وكشف المغطّى فى فضل الموطأ ، ومعجم الصحابة ومعجم أسماء القرى والأمصار ومعجم الشيوخ والنبلاء وهو بالظاهرية وترجمته في البداية ج١٢ ص٢٩٤ وطبقات الشافعية ج٤ ص٢٧٣ والوفيات ج١ ص٣٣٥ ومفتاح السعادة ج١ ص٢١٦ وابن الوردي ج٢ ص٨٧ والنعيمي ج١ ص١٠٠ وآداب اللغة ج٣ ص٧٣ ومرآة الزمان ج٨ ص٣٣٦ .

الخلعي

أبو الحسن ، علي بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضي المعروف « بالخلعي » الموصلي الأصل المصري الدار الشافعي ، صاحب الخلعيات ، المنسوبة إليه ، سمع أبا الحسن الجوفي وأبا محمد بن النحاس وأبا الفتح العداس وأبا سعيد المالينى وغيرهم .

قال القاضي عياض : سألت أبا علي الصدفي عنه ، فقال فقيه ، له تواليف حسنة ، ولي القضاء — وقضى يوماً واحداً واستعفى : وانزوى بالقرافة الصغرى وكان مسند مصر بعد الحبال ، وذكره أبو بكر بن العربي ، فقال له علو في الرواية وعنده فوائد ، وحدث عنه الحميدي ، وكنى عنه بالقرافي .

قال الحافظ أبو طاهر السلفي : كان أبو الحسن « الخلعي » إذا سمع الحديث يختم مجالسه بهذا الدعاء : « اللهم ما مننت به فتممه ، وما أنعمت به فلا تسلبه ، وما سترته فلا تهتكه — وما علمته فاغفره » .

وكانت ولادته سنة ٤٠٥ بمصر ، وتوفي بها سنة ٤٩٢ . والخلعي : نسبة إلى الخلع ، لأنه كان يبيع بمصر الخلع لأملاك مصر ، فاشتهر بذلك وعرف به .

قال ابو تراب : ترجمته في سير النبلاء وابن خلكان ج ١ ص ٣٣٨ وكشف الظنون ص٧٢٢ و١٢٩٧ .

ابن عقيل

على « بن عقيل » بن محمد أبو الوفاء ، أحد الأعلام وشيخ الإسلام .

ولد سنة ٤٣١ ، حفظ القرآن وسمع الحديث وتعلم الفرائض والأصول وبرع في العلوم كلها . ذكره أبو إسحق الشيرازي ، وقال إمام الدنيا وزاهدها ، وفارس المناظرة وواحدها . قال ابن الجوزي : درس وناظر الفحول وصنف ، وكان دائم التشاغل بالعلم ، حتى إني رأيت بخطه ، لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري ، وإني لأجد من حرصي على العلم — وأنا في عمر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين — فلما كانت سنة ٤٧٥ جرت فيه فتن بين الحنابلة والأشاعرة — فترك الوعظ — واقتصر على التدريس ، ومتعه الله بسمعه وبصره وجميع جوارحه .

قال السلفي : ما رأت عيناي مثله ، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه وحسن إيراده وبلاغة كلامه وقوة حجته ، وله في ذم الكلام وأهله شيء كثير ، قال أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض ، قال ولقد بالغت في الأصول طول عمري ثم رجعت القهقرى إلى مذهب المكتب ، وله من الكلام في السنة والانتصار لها والرد على المتكلمين شيء كثير ، وقد صنف في ذلك مصنفاً .

وكتب بعضهم إليه يقول له : صف لي أصحاب أحمد على ما عرفت من الإنصاف ، فكتب إليه يقول : هم قوم خشن تقلصت أخلاقهم عن المخالطة ، وغلظت طباعهم عن المداخلة وغلب عليهم الجد ، وقل عندهم الهزل ، وعريت نفوسهم عن ذل المرايات وفزعوا عن الآراء إلى الروايات ، وتمسكوا بالظاهر تحرجا عن التأويل ، وغلبت عليهم الأعمال الصالحة ، فلم يدققوا في العلوم الغامضة بل دققوا في الورع وأخذوا ماظهر من العلوم ، ولم أحفظ على أحد منهم تشبيهاً إنما غلب عليهم الشناعة لإيمانهم بظواهر الآي والأخبار من غير تأويل ولا إنكار ، والله يعلم أنني لا

أعتقد في الإسلام طائفة محقة خالية من البدع سوى من سلك هذا الطريق والسلام .

ومن كلامه : ومن عجيب ما اسمعه من هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون : أحمد ليس بفقيه لكنه محدث ، وهذا غاية الجهل لأنه قد خرج اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم ، وخرج من دقيق الفقه ما لا تراه لأحد منهم ، وذكر مسائل من كلام أحمد ، وقال : إن أكثر العلماء يقولون أصلي : أصل أحمد ، وفرعي : فرع فلان ، فحسبك بمن ترضى به الأصول قدوة .

وكان يقول : هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه ، لأن أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء وغيره من الولايات فكانت الولاية سبباً لتدريسه واشتغاله بالعلم ، وأما أصحاب أحمد فإنه قلَّ فيهم من يعلق بطرف من العلم إلا ويخرجه ذلك إلي التعبد والتزهد لغلبة الخير علي القوم فينقطعون عن التشاغل بالعلم .

وكان مع ذلك يتكلم كثيراً بلسان الاجتهاد والترجيح واتباع الدليل الذي ظهر له ، ويقول : الواجب اتباع الدليل لا اتباع أحمد . ولابن عقيل مسائل كثيرة ينفرد بها ويخالف فيها المذهب ، فإن نظره كثيراً يختلف واجتهاده يتنوع .

وكان يقول : عندي إن من أكبر فضائل المجتهد أن يتردد في الحكم عند تردد الحجة ، ومن مسائله ان النساء لا يجوز لهن استعمال الحرير إلا في اللبس دون الافتراش والاستناد ، ومنها إن صلاة الفذ تصح في الجنازة خاصة ، ومنها إن الربا لا يجرى إلا في الأعيان الستة المنصوص عليها ، ومنها إن الوقف لا يجوز بيعه وإن خرب وتعطل نفعه ، ومنها إن المشروع في عطية الأولاد التسوية بين الذكور والإناث ، ومنها إنه لا يجوز وطء المكاتبة وإن اشترط وطؤها في عقد الكتابة ، ومنها إن الزروع والثمار التي تسقي بماء نجس — طاهرة مباحة — وإن لم تسق بعده بماء طاهر ، ومن غرائبه إنه اختار وجوب الرضا بقضاء الله في الأمراض والمصائب ، واختار أن النهار أفضل من الليل . وقيل له : ما تقول في عزلة الجاهل ؟ فقال خيال ووبال تضره ولا تنفعه ، فقيل له : فعزلة العالم ؟ قال : مالك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وترعي الشجر إلي أن تلقى ربها ، وله شعر رائق .

توفي سنة ٥١٣ . ترجم له ابن رجب ترجمة حسنة إلى أوراق في طبقاته .

قال ابو تراب : له كتاب الفنون قال الذهبي : لم يصنف في الدنيا أكبر منه وهو في أربعمئة جزء والواضح في الأصول والفرق والفصول عشر مجلدات والرد على الاشاعرة ، وفي شستربتي مخطوط من كتبه وهو كفاية المفتي ، وطبع له الجدل على طريقة الفقهاء وترجمته في لسان الميزان ج٤ ص٢٤٣ وشذرات الذهب ج٤ ص٣٥ وغاية النهاية ج١ ص٥٥٦ ومرآة الزمان ج٨ ص٨٣ والذيل على طبقات الحنابلة ج١ ص١٧١ .

أبو عوانة

« أبو عوانة » يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النيسابوري . ثم الأسفراييني الحافظ ، صاحب المسند الصحيح المخرج على كتاب مسلم بن الحجاج .

كان « أبو عوانة » أحد الحفاظ الجوادين والمحدثين المكثرين ، طاف الشام ومصر والبصرة والكوفة وواسط الحجاز والجزيرة واليمن وأصبهان والري وفارس .

قال الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر في تاريخ دمشق : سمع أبو عوانة بدمشق يزيد بن محمد بن عبد الصمد وإسمعيل بن محمد بن قيراط وشعيب ابن شعيب بن إسحق وغيرهم ، وبمصر يونس بن عبد الأعلى وابن أخي وهب والمزني والربيع ، ومحمداً وسعداً — ابنى عبد الحكم — وبالعراق سعدان بن نصر والحسن الزعفراني وعمر بن شبة وغيرهم ، وبخراسان محمد بن يحيى الذهلي ، ومسلم بن الحجاج ومحمد بن رجاء السندي وغيرهم وبالجزيرة على بن حرب وغيره .

وروى عنه أبو بكر الإسماعيلي وأحمد بن علي الرازي وأبو علي الحسين بن علي وأبو محمد ، علي وسليمان الطبراني ومحمد بن يعقوب بن إسمعيل الحافظ وأبو الوليد الفقيه ، وابنه أبو مصعب ، محمد بن أبي عوانة . وحج خمس مرات ، قال : وكنت بالمصيصة فكتب إلي أخي محمد بن إسحاق ، فكان في كتابه :

فإن نحن التقينا قبل موت شفينا النفس من مضض العتاب
وإن سبقت بنا أيدي المنايا فكم من غائب تحت التراب

وقال أبو عبد الله الحاكم : « أبو عوانة » من علماء الحديث وأثباتهم ومن الرحالة في أقطار الأرض لطلب الحديث .

توفي سنة ٣١٦ ، قال أبو القاسم بن عساكر : إن قبر أبي عوانة بأسفرايين مزار العالم ومتبرك الخلق وبجنب قبره قبر الراوية عنه أبي نعيم عبد الملك بن أبي الحسن الأزهر الأسفراييني في مشهد واحد داخل المدينة على يسار الداخل من باب نيسابور من أسفرايين وقريب من مشهده مشهد الإمام الأستاذ إبي إسحاق الأسفراييني على يمين الداخل من نيسابور ، وبجنب قبره قبر الأستاذ أبي منصور البغدادي الإمام الفقيه المتكلم صاحبه الصاحب بالجَنْب حياً وميتاً المتظاهرين لنصرة الدين بالحجج والبراهين ، سمعت جدي الإمام عمر بن الصفار رحمه الله تعالى ، ونظر إلي القبور حول قبر الإمام الأستاذ إبي إسحاق ، وأشار إلى المشهد وقال : قد قيل هاهنا من الأئمة والفقهاء على مذهب الإمام الشافعي أربعون إماماً ، كل واحد منهم لو تصرف في المذهب وأفتى برأيه واجتهاده — يعنى على مذهب الشافعي — لكان حقيقاً بذلك : والعوام يتقربون إلي مشهد الأستاذ إبي إسحاق أكثر مما يتقربون إلي أبي عوانة ، وهم لا يعرفون قدر هذا الإمام الكبير المحدث أبي عوانة لبعد العهد بوفاته وقرب العهد بوفاة الأستاذ أبي إسحق ، و « أبو عوانة » هو الذي أظهر لهم مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بأسفرايين بعد ما رجع من مصر ، وأخذ العلم عن إبي إبراهيم المزني ، .

قال : وكان جدي اذا وصل إلى مشهد الأستاذ لا يدخله احتراماً ، بل كان يقبل عتبة المشهد وهى مرتفعة بدرجات ويقف ساعة علي هيئة التعظيم والتوقير ثم يعبر عنه كالمودع لعظيم الهيبة ، وإذا وصل إلي مشهد أبي عوانة كان أشد تعظيما له وإجلالا وتوقيراً ويقف أكثر من ذلك . وعوانة ، بفتح العين المهملة وبعد الألف نون .

قال ابو تراب : ترجمته في التذكرة ج ٣ ص ٢ وابن خلكان ج ٢ ص ٣٠٨ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٢٩ ومعجم البلدان ج ١ ص ٢٢٨ أما ماحكاه من التقبيل والتبرك فهذا فعل الناس . والمؤرخ ينقل واقع الحال من غير تصحيح للفعل .

ابن الصائغ

أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش المعروف « بابن الصائغ » .

سمع الحديث على أبي الفضل ، عبد الله بن أحمد الخطيب الطوسي بالموصل ، وعلى أبي محمد عبد الله بن عمرو بن سويد التكريتي ، وبحلب من أبي الفرج يحي بن محمود الثقفي ، وبدمشق علي تاج الكندي وغيرهم وحدث بحلب ، وكان فاضلا ماهراً في النحو والتصريف ولد سنة ٥٥٦ بحلب وتوفي بها سنة ٦٤٣ ، رحمه الله تعالي

قال ابو تراب : له شرح المفصل فى عدة أجزاء وهو مطبوع كان يدرس في الأزهر وشرح التصريف لابن جني وترجمته في الشذرات ج٥ ص٢٢٨ والوفيات ج٢ ص٣٤١ وبغية الوعاة ص٤١٩ وصحح فيه أنه « ابن الصانع » وفي سائر الكتب « ابن الصائغ » وانظر ابن الوردي ج٢ ص١٧٦ .

القاضي عياض

القاضي أبو الفضل ، عياض بن موسي بن عياض اليحصبي السبتي .

كان إمام وقته بالحديث وعلومه ، والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، وصنف التصانيف المفيدة ، منها كتاب « الإكمال » في شرح كتاب مسلم كمل به المعلم في شرح كتاب مسلم للمازرى ، ومنها « مشارق الأنوار » وهو كتاب مفيد جداً في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة ، وهي الموطأ ، والبخاري ومسلم وشرح حديث ـــ أم زرع شرحاً مستوفياً ، وله كتاب سماه « التنبيهات » جمع فيه غرائب وفوائد .

وبالجملة ، فكل تواليفه بديعة ، ذكره أبو القاسم بن بشكوال في كتاب « الصلة » فقال : دخل الأندلس طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيراً ، وكان له عناية كثيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده ، وهو من أهل اليقين والعلم والذكاء والفطنة والفهم ، واستقضى ببلده يعني مدينة سبتة مدة طويلة حمدت سيرته فيها ، ثم نقل منها إلي قضاء غرناطة فلم تطل مدته فيها ، انتهى كلامه .

وله شعر حسن وذكره العماد في الخريدة ، فقال : كبير الشأن غزير البيان ، وذكره ابن الأبار في أصحاب أبى علي الغساني ، وقال أحد الأئمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الأدباء ، تواليفه وأشعاره شاهدة بذلك كتب إليه أبو علي في جماعة جلة ولقى أيضاً آخرين مثلهم ، وشيوخه يقاربون المائة .

ولد سنة ٤٧٦ بسبتة ، وتوفى بمراكش سنة ٥٤٤ . واليحصبي : مثلثة الصاد نسبة إلى يحصب بن مالك ـــ قبيلة من حمير ، وسبتة : مدينة مشهورة بالمغرب وكذلك غرناطة مدينة بالأندلس ، رحمه الله تعالي .

قال ابو تراب : من أشهر كتبه الشفا بتعريف حقوق المصطفى وله شروح وترتيب المدارك في معرفة أعلام مذهب مالك وقد طبع بالمغرب والإلماع في المصطلح وقد طبع وجمع المقرّى أخباره في كتاب خاص أسماه أزهار الرياض ، وله كتاب الإسلام بحدود قواعد الاسلام وترجمته في قضاة الأندلس ص١٠١ وقلائد العقيان ص٢٢٢ ومعجم الأبار ص٢٩٤ وجذوة الاقتباس ص٢٧٧ والوفيات ج١ ص٣٩٢ وبغية الملتمس ص٤٢٥ ومفتاح السعادة ج٢ ص١٩ وأجلى المسانند ص٣١ .

العيـــني

محمود بن أحمد بن موسى الحنفي ، المعروف « بالعينى » ولد سنة ٧٦٢ ، وحفظ كتباً في فنون عن جماعة وبرع في جميع العلوم ، وارتحل إلي حلب ودمشق وبيت المقدس ، وحج ودخل القاهرة ، ودرس في مواطن منها ، وتولي قضاء الحنفية .

وتصانيفه كثيرة جداً ، منها : شرح البخاري في أحد وعشرين مجلداً ، سماه « عمدة القارى » . وكان ينقل فيه من شرح الحافظ ابن حجر ، وربما تعقب ذلك ، وقد أجاب ابن حجر عن تلك التعقبات — لأنهما متعاصران ، وبينهما منافسة شديدة ، وله شرح « الكلم الطيب » لابن تيمية ، وتاريخ الاكاسرة ، وطبقات الشعراء وكتاب في الرقائق والمواعظ ، مات في ذي الحجة من سنة ٨٥٥ — رحمه الله انتهى المنقول من التاج .

قال ابو تراب : وقد نسخت من دار الكتب كتاب الحافظ الذى أجاب به العينى واسمه انتقاض الاعتراض .

قال ابو تراب : ومن كتبه المطبوعة البناية في شرح الهداية ست مجلدات وشرح الكنز والمقاصد النحوية وفرائد القلائد والسيف المهند ، والروض الزاهر وشرح سنن أبي داوود في مجلدين ولم يطبع وكذلك رجال الطحاوي وشرح معاني الآثار وغيرها وترجمته في الضوء اللامع ج١٠ ص١٣١ والتبر المسبوك ص٣٧٥ والشذرات ج٧ ص٢٨٦ والجواهر المضيئة ج٢ ص١٦٥ وإعلام النبلاء ج٥ ص٢٥٥ وهادي المسترشدين إلى اتصال المسندين ص٤٤٦ وخطط مبارك ج٦ ص١٠ وآداب اللغة ج٣ ص١٩٦ .

الغزالى

الإمام العلامة الزاهد العابد أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد « الغزالي » الطوسى ، قال الخفاجى في « نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض » في ترجمته ما نصه : صاحب المؤلفات الجليلة الذي علي كاهله فقه الشافعي والاصلان .

ولد بطوس سنة ٤٥٠ ، واشتغل بها ثم جال البلاد لأخذ العلم ، ودخل بغداد فصار مدرساً بالنظامية ، وأقام بدمشق عشر سنين بعدما أخذ العلم عن إمام الحرمين وعن النصر المقدسى ثم انتقل لمصر والإسكندرية ، ثم رجع لبغداد وعقد بها مجلس وعظ .

وتوفي سنة ٥٠٥ — عن خمس وخمسين سنة — ودفن بطوس وقيل بقصبة طائران .

قال ابن تيمية . بضاعته في الحديث مزجاة ، ولذا أكثر من إيراد الموضوعات في كتبه : وأكثر فيها من مقالات الفلاسفة حتى قال صاحبه أبو بكر ابن العربي مع شدة تعظيمه له ، شيخنا أبو حامد دخل في بطن الفلسفة ، ثم أراد أن يخرج منها فما قدر .

قال النواب : كتاب التهافت والاحياء يناديان على خلافه . قال ابن العربي : لقيته في الطواف وعليه مرقعة ، فقلت له — أولى لك من هذا غير هذا فأنت صدر — بك يقتدى ، وبنورك إلى معالم المعارف يهتدى ، فقال هيهات لما طلع قمر السعادة في تلك الارادة ، أشرقت شموس الأفول علي مصابيح الأصول ، فتبين الخالق لأرباب الألباب والبصائر ، إذ كل لما طبع عليه راجع وصائر ، وأنشد يقول :

تركت هوي ليلى وسعدي بمعزل　　وصرت إلى مصحوب أول منزل
ونادتني الأكوان حتى أجبتها　　ألا أيها الساري ! رويدك فانزل
فعرست في دار الندى بعزيمة　　قلوب ذوى التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقا ، فلم أجد　　لغزلي نساجا ، فكسرت مغزلي

وإذا سمعت هكذا ، فكيف يظن اتباع خرافات الفلاسفة ، وقد رأى بعض المشايخ الغزالى بين يدي رسول الله ﷺ يشكو من شخص طعن فيه ، فأمر رسول الله ﷺ بضربه بالسياط ، فانتبه وبه اثر الضرب وألمه ، انتهى كلام الخفاجي .

قال النواب : وقد حكى القارى ، أن الغزالى مات وكتاب الصحيح للبخاري على صدره وهذا يرشدك إلى أنه رجع آخرا عما ذهب إليه أولا ، ولله الحمد ، وفي كتابه « الإحياء » بعض الأخبار الضعيفة والأفكار الفلسفية ، وظنى أنه تاب عنه وأناب ، فما أحقها بان تغتفر مع صحة الأصل ، والله أعلم بالصواب .

قال ابو تراب : مؤلفاته كثيرة وترجمته في الوفيات ج ١ ص٤٦٣ وطبقات السبكي ج٤ ص١٠١ والشذرات ج٤ ص١٠ والوافي ج١ ص٢٧٧ ومفتاح السعادة ج٢ ص١٩١ وآداب اللغة ج٣ ص٩٧ واللباب ج٢ ص١٧٠ وفيه أن في تخفيف الزاى في نسبته خلافاً مشهوراً .

القعنبي

أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثى المعروف « بالقعنبي » .

كان من أهل المدينة وأخذ العلم والحديث عن الإمام مالك ، وهو من جلة أصحابه وفضلائهم وثقاتهم وخيارهم ، وهو أحد رواة الموطأ عنه ، فان الموطأ رواه عن مالك جماعة ، وبين الروايات اختلاف وأكملها رواية يحيى بن يحيى .

وكان يسمى : الراهب ــ لعبادته وفضله ، قال الهيثم : كنا إذا أتينا عبد الله ابن مسلمة خرج إلينا كأنه مشرف على جهنم ــ نعوذ بالله منها ، وكان يسكن البصرة .

وتوفى يوم الجمعة من محرم سنة إحدى وعشرين ومئتين بالبصرة ، وقال ابن بشكوال : بمكة .

قال ابو تراب : ترجمته فى تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣١ روى عنه البخارى ١٢٣ حديثا ومسلم ٧٠ حديثا .

ابن قتيبة

أبو محمد ، عبد الله بن مسلم « ابن قتيبة » الدينورى ، وقيل المروزى ، صاحب كتاب « المعارف » كان فاضلا ثقة ، سكن بغداد وحدث بها عن إسحق ابن راهـويه وأبى حاتم السجستانى — وتلك الطبقة ، وروى عنه ابنه أحمد وابن درستوريه . تصانيفه كلها مفيدة ، منها : « غريب القرآن » و « غريب الحديث » و « مشكل القرآن » و « ومشكل الحديث » .

توفى سنة سبعين ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل ست وسبعين ومئتين ، والأخير أصح الأقوال ، وكانت وفاته فجاءة — صاح صيحة سمعت من بعد ثم أغمى عليه — فمات .

وقتيبة : واحدة الأقتاب — والأقتاب : الأمعاء وبها سمى الرحل والنسبة إليه قتبى . والدينورى : بالكسر نسبة إلى دينور ، وهى بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين — خرج منها خلق كثير .

قال ابو تراب : ومن كتبه أدب الكاتب والمعارف وكتاب المعاني وعيون الأخبار والشعر والشعراء والأشربة والرد على الشعوبية والرحل والمنزل والاشتقاق والعرب وعلومها والميسر والقداح ، والألفاظ المغربة وهو في القرويين كما في تذكرة النوادر وترجمته في لسان الميزان ج٣ ص٣٥٧ والوفيات ج١ ص٢٥١ والأنباري ص٢٧٢ وسماه عبدالله بن مسلمة وكتب الغريب له مطبوعة .

ابن درستويه

أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزبان الفارسى الفسوى النحوى .

كان عالماً فاضلا ، أخذ فن الأدب عن ابن قتيبة ، وعن المبرد وغيرهما ببغداد ، وأخذ عنه جماعة من الأفاضل كالدارقطنى وغيره .

وكانت ولادته سنة ٢٥٨ ، وتوفى يوم الاثنين لتسع بقين من صفر ، وقيل لست بقين منه سنة ٣٤٧ ببغداد ، رحمه الله وكان أبوه من كبار المحدثين وأعيانهم .

وتصانيفه في غاية الجودة والإتقان ، منها كتاب « غريب الحديث » .

قال ابو تراب : ومن كتبه تصحيح الفصيح يعرف بشرح فصيح ثعلب منه نسخة فى مكتبة عارف حكمت رقم ٧٨ وكتابه الكتاب وكتاب الإرشاد فى النحو ، ومعانى الشعر ، وأخبار النحويين ، ونقض كتاب العين وشرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال على حروف المعجم ، وهو بخزانة الرباط .

وترجمته فى بغية الوعاة ص ٢٧٩ وابن النديم ج ١ ص ٦٣ والوفيات ج ١ ص ٢٥١ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٤٢٨ ونزهة الألباء ص ٣٥٦ .

الشهرزوري المرتضى

أبو محمد ، عبد الله بن القاسم بن المظفر بن على الشهرزورى ، المنعوت بالمرتضى — والد القاضى كمال الدين — كان مشهوراً بالفضل والدين .

وكان مليح الوعظ مع الرشاقة والتجنيس . وأقام ببغداد مدة يشتغل بالحديث والفقه ، ثم رجع إلى الموصل وتولى بها القضاء ، وروى الحديث ، وله شعر رائق .

ولادته فى شعبان سنة ٤٦٥ ، وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة أحدى عشرة وخمسمائة بالموصل ، وقيل توفى بعد سنة ٥٢٠ ، قاله السمعانى .

قال أبو تراب : من شعره الرائق :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل ومَلَّ الحادى وحار الدليل

ترجمته في مرآة الزمان ج٨ ص١٢١ والوفيات ج١ ص٢٥٣ .

ابن قــاطن

أحمد بن محمد بن قاطن . قال فى البدر الطالع :

كان له شغف بالعلم وله عرفان تام بفنون الاجتهاد على اختلاف أنواعها وكان له عناية كاملة بعلم السنة ويد قوية في حفظها ، وهو عامل باجتهاد نفسه « لا يقلد أحداً » واستمر مشتغلا بنشر العلم مجتهداً في الطاعات حتى توفاه الله في سنة ١١٩٩ . وله أولاد أعلمهم عبد الحميد بن أحمد ، وله عرفان كامل في علوم الاجتهاد مع حسن سمعت ووفور عقل وجودة فهم وقوة ادراك ، وهو على طريقة والده فى العمل بالأدلة وله قراءة في بعض مؤلفاتي ، مولده سنة ١١٧٥ ، وتوفى — رح — في سنة ١٢٥٠ .

وقال في ترجمة السيد إسمعيل بن الحسن الشامي : بينى وبينه مودة صادقة ومحبة خالصة ولنا اجتماعات نفيسة ، وله يد في المعارف العلمية وعمل بما يقتضيه الدليل وانصاف في جميع مسائل الخلاف توفى رح فى سنة ١٢٣٤ . وقال فى النفس اليماني في ترجمة « أحمد قاطن » ومنهم شيخنا العلامة المسند وحيد عصره صفى الإسلام « أحمد قاطن ، كان من أجل الإعلام والأعيان كبير المقدار عظيم الشأن ، ومن مشائخه السيد الإمام محمد بن إسمعيل الامير ، والسيد المحقق هاشم بن يحيى الشامي ، وسيدي الجد يحيى بن عمر مقبول الأهدل ، ثم ذكر له قصائد رائقة لا يتسع المقام لذكرها .

قال ابو تراب : من كتبه قرة العيون في أسانيد الفنون ، والإعلام بأسانيد الأعلام وهو مخطوط بالمكتبة المتوكلية بصنعاء وبمكتبة الحبشى بحضرموت وكتابه تحفة الاخوان بسند سيد ولد عدنان مخطوط بالمكتبة المتوكلية ، ونفحات الغوالي بالأسانيد العوالي ومختصر الإصابة لابن حجر وترجمته في نبلاء اليمن ج١ ص٢٧٤ والبدر الطالع ج١ ص١١٣ وغيرهما .

ابن كثـــير

« ابن كثير » عماد الدين بن إسماعيل بن عمر ، قال فى البدر الطالع : برع في الفقه والتفسير والنحو ، وأمعن النظر في الرجال والعلل .

ومن حملة مشائخه « شيخ الإسلام ابن تيمية » ولازمه وأحبه حباً عظيماً كما ذكر معنى ذلك ابن حجر في « الدرر » وأفتى ودرس ، وله تصانيف مفيدة — منها التفسير المشهور وهو في مجلدات ، وقد جمع فيه فاوعى ونقل المذاهب والأخبار والآثار وتكلم بأحسن كلام وأنفسه — وهو من أحسن التفاسير ، مات في سنة ٧٧٤ رحمه الله تعالى .

قال ابو تراب : من كتبه الشهيرة البداية والنهاية ١٤ مجلداً في التاريخ وشرح صحيح البخاري لم يكمله وله طبقات الشافعيين مخطوط في شستربتي ، وجامع المسانيد مخطوط بدار الكتب بالقاهرة غير كامل والباعث الحثيث في المصطلح والتكميل في معرفة الثقات والمجاهيل خمس مجلدات وترجمته في ذيل طبقات الحفاظ للحسيني والسيوطي والدرر الكامنة ج١ ص٣٧٣ والبدر الطالع ج١ ص١٥٣ والدارس ج١ ص٣٦ وشذرات الذهب ج٦ ص٢٣١ وآداب اللغة ج٣ ص١٩٣ .

ابن مـــالك

محمد بن عبد الله « بن مالك » جمال الدين الطائي الجياني الشافعي النحوي نزيل دمشق ، الإمام العلامة الأوحد ، ولد سنة ٦٠٠ .

سمع بدمشق وصرف همته إلى اتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وأربى على المتقدمين ، وكان إليه المنتهى في اللغة ، يشيعه ابن خلكان إلى بيته تعظيماً له .

وكان في الصرف والنحو بحراً لا يشق لججه ، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو فكان أمراً عجيباً ، وكان الأئمة الأعلام يتحيرون في أمره ، وأما الاطلاع على الحديث فكان فيه غاية وكان أكثر ما يستشهد بالقرآن . فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى الحديث ، فإن لم يكن فيه شيء عدل إلى أشعار العرب ، هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وكثرة النوافل وحسن السمت وكمال العقل .

وكان نظم الشعر عليه سهلًا ، وله إعراب مشكل البخاري ، توفى سنة ٦٧٢ .

قال ابو تراب : من كتبه سوى الألفية تسهيل الفوائد وشرحه والضرب في معرفة لسان العرب والكافية الشافية ثلاثة آلاف بيت وشرحها وسبك المنظوم وفك المختوم ولامية الأفعال وعدة الحافظ وعمدة اللافظ وقد طبع ببغداد وشواهد التوضيح وإيجاز التعريف ومثلث الكلام والمقصور والممدود والاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد وترجمته في بغية الوعاة ص٥٣ والفوات ج٢ ص٢٢٧ وغاية النهاية ج٢ ص١٨٠ وطبقات السبكي ج٥ ص٢٨ والوافي ج٣ ص٣٥٩ ونفح الطيب ج١ ص٤٣٤ وآداب اللغة ج٣ ص١٤٠ .

الخيـــمي

محمد بن عبد المنعم بن محمد الخيمى الأصل المصري الدار .

حدث بجامع الترمذي عن ابن البناء المكي ، وحدث بكثير من مروياته ، روى الصقلي وابن منير وابن الطاهري ، وكان مقدماً على شعراء عصره مع المشاركة في كثير من العلوم ، وشعره في الذروة الأعلي ، ذكر له الصلاح الكتبي — قصائد بديعة — عاش اثنتين وثمانين سنة ، وتوفى سنة ٦٨٥ بالقاهرة .

قال ابو تراب : لديوانه نسخة جيدة في مكتبة فلورانس برقم ١٨٦ وترجمته في الفوات ج ٢ ص ٢٣٠ وابن الفرات ج ٨ ص ٤٢ .

المـــزى

يوسف بن الزكي عبد الرحمن ، يعرف بأبي الحجاج « المزي » الإمام .

اسمه : يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي ، أبي محمد القضاعي الكلبي « المِزِيّ » .

قال ابن حجر في « الدرر الكامنة » : يوسف الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن على بن أبي الزهر الحلبى الأصل « المزي » أبو الحجاج جمال الدين الحافظ . مرض أياماً يسيرة ، بسبب وجع في باطنه ، ظنه قولنجا ، وإنما كان طاعوناً ، قاله صهره ، « ابن كثير » قال : فاستمر به إلى أن مات بين الظهر والعصر من يوم السبت ١٢ صفر سنة ٧٤٢ ، وهو يقرأ آية الكرسي ، وصلي عليه من الغد بالجامع ثم خارج باب النصر ، ثم دفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن تيمية انتهي .

ولد بظاهر حلب سنة ٦٥٤ هـ ، ونشأ بالمزة ، وتوفي في دمشق .

قال ياقوت الحموي ، في « معجم البلدان » المزة : بالكسر ثم التشديد ، وأظنه عجميا فإني لم أعرف له في العربية مع كسر الميم معنى ، وهي قرية كبيرة — غَنَّاءُ — في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ .

وبها يقال قبر « دحية الكلبي » صاحب رسول الله ﷺ ، وقال نعمان في الروضة الغناء ولد سنة ٦٥٠ .

وقال دفن بمقبرة الصوفية غربي قبر ابن تيمية ، انتهى .

وبالجملة ، طلب بنفسه فأكثر — ومشائخه نحو الألف ، ومن مشائخه النووي ، وتبحر في الحديث ودرس بمدارس ، منها دار الحديث الأشرفية ، ولما ولي

تدريسها ، قال ابن تيمية لم يلها من حين بنيت إلى الآن أحق بشرط الواقف منه . قال الذهبي : ما رأيت أحداً في هذا الشأن أحفظ منه ، وأوذى مرة بسبب ابن تيمية ، لأنها لما وقعت له المناظرة مع الشافعية وبحث معه الصفي الهندي وابن الزملكاني شرع صاحب الترجمة يقرىء كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ، قاصداً بذلك الرد علي المخالفين لابن تيمية ، فغضب الفقهاء وقالو : نحن المقصودون بهذا ، فبلغ ذلك القاضي الشافعي يومئذ ، فأمر بسجنه ، فتوجه ابن تيمية ، وأخرجه من السجن بيده ، فغضب النائب فأعيد ، ثم أفرج عنه ، فأمر النائب أن ينادي : بأن من تكلم في العقائد ، يقتل . ومن مصنفاته « تهذيب الكمال » اشتهر في زمانه ـــ وحدث به خمس مرات وكتاب « الأطراف » وهو كتاب مفيد جداً .

ولم يكن مع توسعه في معرفة الرجال يستحضر تراجم غير المحدثين لا من الملوك ولا من الوزراء والقضاء والأدباء . قال الذهبي : كان خاتمة الحفاظ وناقد الأسانيد والألفاظ ، وهو صاحب معضلاتنا ومرجع مشكلاتنا ، وقال : فيه حياء وكرم وسكينة .

قال ابو تراب : من أجلّ كتبه تهذيب الكمال وقد طبع مصوراً وبدىء بطبعه محققا وله المنتقى والكنى وللحافظ العلائي كتاب أفرده لترجمته وسماه سلوان التعزّى بالحافظ المزّى وترجمته في الدرر الكامنة ج٤ ص٤٥٧ والنجوم الزاهرة ج١٠ ص٧٦ والقلائد الجوهرية ص٣٢٩ وفهرس الفهارس ج١ ص١٠٧ ومفتاح الكنوز ج ١ ص ٤١ ومفتاح السعادة ج ٢ ص ٢٢٤ وكتاب الأطراف طبع بسعى صديقنا الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبى ببومباى .

الكـــركي

يوسف بن شاهين الجمال بن الأمير أحمد العلائي قطلوبغا الكركي الحنفي ، ثم الشافعي ، سبط الحافظ ابن حجر ، ولد سنة ٨٢٨ ، سمع على جده — أبي أمه — كثيراً ، وعلى ابن القطان وجماعة آخرين ، وقرأ في الفنون على المحلى والرشيدى ، ودار على الشيوخ ، وكتب الأجزاء وصنف مصنفات ، منها : رونق الألفاظ لمعجم الحفاظ ، والمنتخب بشرح المنتخب في علوم الحديث ، ومنحة الكرام بشرح بلوغ المرام ، وقد طار ذكره في الآفاق وتناقلت مؤلفاته الرفاق . وأما السخاوي في « الضوء اللامع » فجرى على قاعدته المألوفة فى معاصريه وأقرانه ، فترجم صاحب الترجمة بما هو محض السباب والانتقاص لا سبب يوجب ذلك ، بل مجرد كونه كان يعترض على جده ابن حجر أو يغلط في بعض الأحوال كما هو شأن البشر مات سنة ٨٩٩ ، انتهى .

قال القنوجي : وعندي نسخة من بلوغ المرام منقولة عن نسخة الحافظ الإمام ، وما عليها قراءة خطه هذا بقلمه ، وقد قرأ في هذه النسخة جماعة من الحفاظ على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، من الله تعالي بتيسيرها عليَّ في هذا العصر الأخير ، وقد صحح جماعة من أهل العلم نسخهم عليها في شهرنا هذا ربيع الأول من شهور سنة ١٢٩٨ ، ولله الحمد .

قال ابو تراب : من كتبه رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ وهو ذيل طبقات الحفاظ للذهبي والمجمع النفيس بمعجم أتباع ابن إدريس والفوائد الوفية بترتيب طبقات الصوفية وبلوغ الرجاء بالخطب على حروف الهجاء ، وشرح منتخب التركماني ، وتلخيص رفع الإصر لابن حجر وصف فيه تصنيف جده بالنقص والإخلال وزاد أشياء منكرة ، وأملق فباع كتبه وطعن فيه السخاوي وترجمته في الضوء له ج ١٠ ص٣١٣ ونظم العقيان ص١٧٩ .

ابن سعـــد

أبو عبد الله محمد « بن سعد » الزهري كاتب الواقدي .

كان أحد الفضلاء والنبلاء ـــ صحب الواقدي ـــ وسمع سفيان بن عيينة وأنظاره ، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا ، وأبو محمد الحارث بن أبي أسامة التميمي .

وصنف كتاباً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلي وقته ، فأجاد فيه وأحسن ، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة .

وكان صدوقاً ثقة ، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية ـــ كثير الكتب ـــ كتب الحديث والفقه وغيرهما . قال الخطيب في « تاريخ بغداد » : محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ـــ وحديثه يدل على صدقه ـــ فإنه يتحرى في كثير من روايته ، وهو من موالي بنى العباس . توفي سنة ٢٣٠ ببغداد ، رحمه الله تعالي .

قال ابو تراب : ترجمته في تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٨٢ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٣٢١ والوافي ج ٣ ص ٨٨ والوفيات ج ١ ص ٥٠٧ .

ابن معـــين

أبو زكريا ، « يحيى بن معين » بن عون بن زياد بن بسطام المري البغدادي ، الحافظ المشهور .

كان إماماً عالماً حافظاً متفنناً ، قيل إنه من قرية نحو الأنبار تسمى نقياي ، وكان أبوه كاتبا لعبد الله بن مالك ، وقيل إنه كان على خراج الري ، فمات فخلف لابنه يحيي المذكور ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم ، فانفق جميع المال على الحديث .

وسئل يحيي كم كتبت من الحديث ؟ فقال : كتبت بيدى هذه ستمائة ألف حديث ــ وقال راوي هذا الخبر وهو أحمد بن عقبة ــ وأني أظن أن المحدثين قد كتبوا له بأيديهم ست مائة ألف ، وست مائة ألف ، وخلف من الكتب مائة قمطر وأربع حباب شرابية مملوءة كتباً ــ وهو صاحب الجرح والتعديل ــ وروى عنه الحديث كبار الأئمة منهم أبو عبد الله ، محمد بن إسمعيل البخاري ، وأبو الحسين ، مسلم بن الحجاج القشيري ، وأبو داوود السجستاني وغيرهم من الحفاظ .

وكان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل من الصحبة والألفة والاشتراك بالاشتغال بعلوم الحديث ــ ما هو مشهور.ــ ولا حاجة إلي الإطالة فيه ، وروى عنه هو وأبو خيثمة ــ وكانا من أقرانه .

وقال علي بن المديني : انتهى العلم بالبصرة إلى يحيي بن أبي كثير وقتادة ، وعلم الكوفة إلى إسحق والأعمش ، وانتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب وعمرو بن دينار ، وصار علم هؤلاء الستة بالبصرة إلى سعيد بن أبي عروبة وشعبة ومعمر وحماد ابن سلمة وأبي عوانة ، ومن أهل الكوفة إلى سفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومالك ابن أنس ، ومن أهل الشام إلى الأوزاعي ، وانتهى علم هؤلاء إلى محمد بن إسحاق

وهيثم ويحيي بن سعيد وابن أبي زائدة ووكيع وابن المبارك ، وهو أوسع هؤلاء علماً وابن مهدي ويحيي بن آدم وصار علم هؤلاء جميعاً إلي « يحيي بن معين » .

وقال أحمد بن حنبل : كل حديث لا يعرفه « يحيي » فليس هو بحديث ، وكان يقول : ههنا رجل خلفه الله لهذا الشأن ، يظهر كذب الكذابين يعني « يحيي ابن معين » .

وقال ابن الرومي : ماسمعت أحداً قط يقول الحق في المشايخ غير « يحيي بن معين » وغيره كان يتحامل بالقول ، وقال يحيي : مارأيت على رجل قط خطأ إلا سترته وأحببت أن أزين أمره ، وما استقبلت رجلا في وجهه بأمر يكرهه ولكن أبين خطأه فيما بينى وبينه فإن قبل ذلك وإلا تركته ، وكان يقول : كتبنا عن الكذابين وسجرنا به التنور ، وأخرجنا به خبزاً نضيجاً . وكان ينشد كثيراً :

المال يذهب حله وحرامه طرا ويبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتق لإلهه حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يحوي وتكسب كفه ويكون في حسن الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه فعلى النبي صلاته وسلامه

وقد ذكره الدارقطنى فيمن روى عن الإمام الشافعي رحمه الله وفي ترجمة الشافعي رحمه الله خبره معه وما جرى بينه وبين الإمام أحمد في ذلك وسمع أيضاً من عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة .

وكان يحيى يحج فيذهب إلى مكة ويرجع إلى المدينة ، فلما كان آخر حجة حجها خرج إلى المدينة ورجع إلى المدينة — فأقام بها ثلاثة أيام — ثم خرج حتى أتى المنزل مع رفقائه ، فباتوا فرأى — في النوم — هاتفاً يهتف به : ياأبا زكريا ! أترغب عن جواري ، فلما أصبح قال لرفقائه : امضوا فإني راجع إلى المدينة فمضوا ورجع — وأقام بها ثلاثة أيام — ثم مات ، فحمل على أعواد النبي ﷺ .

وكانت وفاته لسبع ليال من ذي القعدة سنة ٢٣٣ ، هكذا قاله في « تاريخ بغداد » وهو غلط قطعاً .

ذلك أنه خرج إلى مكة للحج ثم رجع إلى المدينة ومات بها ، ومن يكون قد حج ـ كيف يتصور ـ أن يموت بذي القعدة من تلك السنة ؟ فلو ذكر انه توفي في ذي الحجة لأمكن ـ ويحتمل أن يكون هذا غلطاً من الناسخ .

قال ابن خلكان : لكنى وجدته فى نسختين على هذه الصورة فيبعد أن يكون من الناسخ ، والله أعلم ، ثم ذكر بعد ذلك أن الصحيح أنه مات قبل أن يحج ، وعلى هذا يستقيم ما قاله من تاريخ الوفاة .

ثم نظرت فى كتاب الإرشاد فى معرفة علماء الحديث : تاليف أبى يعلى الخليل بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل الحافظ أن « يحيى بن معين » المذكور توفى لسبع ليال بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة ، فعلى هذا يكون قد حج .

وذكر الخطيب أيضاً أن مولده كان آخر سنة ١٥٨ ، ثم قال بعد ذكر وفاته إنه بلغ سبعاً وسبعين سنة إلا عشرة أيام وهذا أيضاً لا يصح من جهة الحساب فتأمله .

ورأيت فى بعض التواريخ : أنه عاش خمساً وسبعين سنة ، والله أعلم ، وصلى عليه والى المدينة ، ثم صلى عليه مراراً ، ودفن بالبقيع ، رحمه الله .

وكان بين يدى جنازته رجل ينادى : هذا الذى كان ينفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ . ورثاه بعض المحدثين فقال :

ذهب العليم بعيب كل محدث   وبكل مختلف من الأسناد
وبكل وهم فى الحديث ومشكل   يعيى به علماء كل بلاد

ومعين : بفتح الميم وكسر العين المهملة وسكون التحية ، وبسطام : بكسر الباء والله أعلم .

قال ابو تراب : ترجمته في تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٦ وتهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٨٠ والوفيات ج٢ ص٢١٤ وطبقات الحنابلة ٢٦٨ وتاريخ بغداد ج٤ ص١٧٧ وتنوير بصائر المقلدين (خط) وهادي المسترشدين إلى اتصال المسندين ص٤١٨ .

خليفـــة

أبو عمرو ، خليفة بن خياط بن أبى هبيرة ، خليفة بن خياط الشيبانى العصفرى البصرى ، المعروف بشباب صاحب « الطبقات » كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس — غزير الفضل .

روى عنه محمد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه وتاريخه ، وعبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل ، وأبو يعلى الموصلى ، والحسن بن سفيان النسرى : فى آخرين ، وروى هو عن سفيان بن عيينة وأبى داوود الطيالسى ودرست بن حمزة وتلك الطبقة .

توفى فى شهر رمضان سنة ٢٣٠ ، وقال الحافظ ابن عساكر — فى معجم مشايخ الأئمة الستة : إنه توفى سنة ٢٤٠ ، وقيل سنة ٢٤٦ ، رحمه الله . والعصفرى : بالضم نسبة إلى العصفر الذى يصبغ به الثياب حمراً ، وشباب : اختلفوا فى تلقيبه بذلك لأى معنى هو .

قال ابو تراب : طبقاته وتاريخه مطبوعان ، وترجمته في تذكرة الحفاظ ج ٢ ص٢١ والوفيات ج١ ص١٧٢ .

(كمـل الجـزء الأول)

الترجمة	الصفحة
البويطى	١٦٤
الجرجانى	١٦٦
ابن سيد الناس	١٦٧
ابن الجزرى	١٦٩
ابن فهد	١٧٠
قاضى المارستان	١٧١
ابن الجواليقى	١٧٢
السلامى	١٧٣
ابن هبيرة	١٧٤
ابن الدجاجى	١٧٨
الجيلانى	١٧٩
الرافعى	١٨٤
سبط الخياط	١٨٥
الخيضرى	١٨٦
ابن الراوندى	١٨٧
القضاعى	١٨٨
ابن زكى الدين	١٨٩
ابن حبيب	١٩٠
أبو شامة	١٩١
ابن أبي حاتم	١٩٢
عبد الرحمن بن مندة	١٩٣
يحيى بن أكثم	١٩٥
عبد الرحمن بن عساكر	١٩٦
الداوودى	١٩٧
يحيى بن منده	١٩٨
ابن سعدون	٢٠٠
الخطيب التبريزى	٢٠١
محمد بن منده	٢٠٢
الفربرى	٢٠٣
الصاعدى	٢٠٤
الحاكم	٢٠٥
الحميدى	٢٠٧
المازرى	٢١٠
الحربى	٢١١
ابن نجار	٢١٢
الحليمى	٢١٣
ابن الخشاب	٢١٤
الجيّانى	٢١٦
الخطابى	٢١٧
ابن خلدون	٢١٩
المقريزى	٢٢٢
الصدفى	٢٢٣
ابن خلكان	٢٢٤
اللخمى	٢٢٦
الدارقطنى	٢٢٧
ابن عبد البر	٢٢٩

الترجمة	الصفحة
ابن رجب	٢٣١
الربيع	٢٣٣
ابن بكار	٢٣٤
الواقدى	٢٣٥
الثورى	٢٣٦
ابن عيينة	٢٣٨
ابن سلاّم	٢٣٩
قاضى الخافقين	٢٤١
السمعانى	٢٤٢
عبدالرزاق الصنعانى	٢٤٤
الشاطبى	٢٤٥
الضياء المقدسى	٢٤٧
السيف ابن قدامة	٢٤٩
ابن سلامة	٢٥٠
الطبرانى	٢٥١
الطيبى	٢٥٢
ابن المبارك	٢٥٣
العكبرى	٢٥٥
ابن سنينة	٢٥٦
ابن الخضرى	٢٥٧
الموفق ابن قدامة	٢٥٨
البرنى	٢٦١
ابن ماكولا	٢٦٢
ابن عساكر	٢٦٤
الخلعى	٢٦٦
ابن عقيل	٢٦٧
أبو عوانة	٢٧٠
ابن الصائع	٢٧٢
القاضى عياض	٢٧٣
العينى	٢٧٥
الغزالى	٢٧٦
القعنبي	٢٧٨
ابن قتيبة	٢٧٩
ابن درستويه	٢٨٠
الشهرزورى المرتضى	٢٨١
ابن قاطن	٢٨٢
ابن كثير	٢٨٣
ابن مالك	٢٨٤
الخيمى	٢٨٥
المزى	٢٨٦
الكركى	٢٨٨
ابن سعد	٢٨٩
ابن معين	٢٩٠
خليفة	٢٩٣

هذا الكتاب ...

الوقوف على أخبار السلف ، والإلمام بأحوالهم ، والتعرف على تراجمهم علم غزير مترامي الأطراف . والعناية به واجبة لدى الخلف منذ دوّنه الأوائل في أسفار كبيرة لأن معرفة جوانب حياة العلماء السابقين وأطوارها العلمية والاجتماعية مما يحتاج إليه الأجيال التي تتبعهم في سلوكها ودراساتها لما خلفوه من آثار وتراث علمي عظيم .

إلا أننا نرى أكثر مثقفي هذا العصر عزوفين عن الانتهال من مناهل كتب التراجم ، لا لندرتها في الغالب ولكن لضخامة المراجع بحيث يتقاعس عن التنقيب فيها من جارت عليه شواغل المدنية ، حتى أصبح ـ مع الأسف ـ كثير من مشاهير الرجالات للزمن الغابر مجهولين لدى الجيل الحاضر .

وانطلاقاً من مبدأ نشر الثقافة الإسلامية وبثها على كافة المستويات تصدر (دار القبلة) هذا الكتاب المختصر المفيد بالتراجم اقتصر فيه مؤلفه على أهم الشخصيات ثم أهم أحداثها دون أن يعرج على الاختلافات التاريخية مما يفوت الفائدة على القارىء المتزود ، أما الباحث فقد أحاله المؤلف على مصادر التراجم بأحفل سجل عقب كل ترجمة ، وفي ذلك استيفاء لها .

وأملنا أنا أحيينا بهذا الأسلوب ذكرى سلف هذه الأمة المرحومة .

وبالله التوفيق ،،

د. محمد عبده يماني

دار القبلة للثقافة الإسلامية

دار القبلة للثقافة الإسلامية

إعلام أهل الحاضر برجال من الماضي الغابر

الجزء الأول

تأليف
أبي تراب الظاهري
عفا الله عنه